

أَيْسَرُ حِلْمٍ

فِي بِلَادِ الشَّيْخِ

رَحْلَةٌ إِلَى دِمَشْقَ وَحَلَبَ وَحِمَصَ وَبَيْرُوتَ

دَوْنَهَا

الدَّكْتُورُ مُحَمَّدٌ أَكْرَمُ النَّدَوِي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٨٨

إِسْمَاعِيلُ
فِي بَيْتِ الشَّامِ

أيام في بلاد الشام

الدكتور محمد أكرم الندوي

المؤلف

2021MO2657

الإيداع القانوني

978-9954-698-80-8

رقم الكتاب

الأولى - ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م

الطبعة



جميع الحقوق محفوظة

يحظر طبع أو تصوير أو ترجمة واختصار أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على إسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

الآراء الواردة في الكتاب لا تعتبر بالضرورة عن آراء الدار

تطلب منشوراتنا من

تركيا | دار الشامي

استانبول - بايزيد

٠٠٩٠٢١٢٥٢٦٠٥٤٦

٠٠٩٠٥٤٢٣٣٢٣١٥٧

الأردن | دار مسك

عمان - العبدلي

٠٠٩٦٢٧٩٦٠٥٤٨٠٠

المغرب | دار الأمان

الرباط - زنقة المأمونية

٠٠٢١٢٥٣٧٢٦٣٧٨٧

الجمهورية اللبنانية

بيروت - شارع برج أبي حيدر

ص.ب ٥٥٥٦ - بيروت

٠٠٩٠٥٣١٥٩٠٣٥٩٣

دار الحديث الكتانية

المملكة المغربية

طنجة - شارع لبنان - إقامة يامنة

الطابق الثالث - رقم ٤٧

٠٠٢١٢٦٥٦٩٩٣١٤٧

dar.alkatani@gmail.com



أَيْسَرُ حِلْمٍ فِي بِلَادِ الشَّيْخَانِ

رَحْلَةٌ إِلَى دِمَشْقَ وَحَلَبَ وَحِمَصَ وَبَيْرُوتَ

الْكَتَبُ الْمَدْرُوسَةُ الَّتِي تَفَرَّجُ الْهَوْلَ مَرَّةً

دَوَّنَهَا

الدَّكْتُورُ مُحَمَّدُ أَكْرَمُ النَّدَوِي

دَارُ الْكِتَابِ



إهداء

إلى معدن العلم والكرم والفضل والشرف الذي عمل ويعمل على نشر العلم
والمعرفة ومحاربة الجهل بكل أنواعه وأشكاله فضيلة الشيخ محمد حسام الدين
الفرفور، الذي استضافنا في هذه الرحلة العلمية التذكارية، أهدي إليه هذه المذكرات
تقديرًا للفضل واعترافًا بالجميل.

الكتبة النادرة التي تفتح لأهل المعرفة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معلقة الشام

تقريظ لكتاب أيام في بلاد الشام

بقلم فضيلة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم اليعقوبي

ألا يا دمشق الشام يا خير متدى	حُبِيتِ ثناءً ثم مجداً وسوددا
فلله كم لي في ربوعك مجلس	كريم مع الخلان قد طاب موردا
وكم لي في أفياك الخضر مربع	به بتُّ أرعى الشارقات مسهدا
وكم لي في مغناك ذكرى أثيرة	لها القلب سهم الحب راش وسددا
إذا ما ذكرت الروض فيها تجاوبت	بقلبي أصداء الحمام مغردا
يردد أنغام الجمال بلحنه	فيمسي له الضرغام عبداً مجندا
فذلك روض فيه كل خميلة	يعانق منها الغصن غصناً ممددا
تفتحت الأزهار في كل دوحة	بها الورد خد الياسمين توسدا
كأن حمام الأيك إذ هام ساجعاً	به منشد قد أطرب العيس إذ حدا
ترى الزهر فيه باسم الثغر يتشني	ويفرّ عن مثل الجمان منضدا
إذا اهتز أزرى بالجمال وعطفه	يميل على ريح الصبا مترددا

وتلك هي الأغصان نشوى تمايلت
 فما شئت من زهر تراه منمنماً
 وما رمت من أثماره تلق ناضجاً
 وقد كفر الكافور وجهه متيم
 وآسى جراح الصب آس فلم يدع
 إذا ما لوت خيل الدياجي عنانها
 حسبت كأن الصبح سل مهنداً
 فهل من ملام إن رونا من الهدى
 فتلك هي الجنات في الأرض لم تزل
 وتلك ربي الفيحاء في عرس مجدها
 وهذي رياض العلم في الشام قد غدت
 مرابع أحباب معاهد فتية
 فكم كنت يوماً للأعزة منزلاً
 وكم حل دوماً في ربوعك سيد
 هم الشم من أبناء يعرب من بهم
 هم شيدوا من بلقع الأرض دولة
 هم جعلوا من نسل عدنان أمة
 هم شيدوا صرح العدالة شامخاً
 لقد توجوا الدنيا بعلم وحكمة
 مضوا في الورى من بعد ما فتحوا لنا
 إذا افتخر التاريخ يوماً بأمة

وما خمرها عند الغبوق سوى النداء
 كأن حلى الأفكار وشت له الرداء
 كأن شعاع الشمس مد له يدا
 وفاح من الريحان عطر تجددا
 لآس عليلاً في الفراش ممددا
 وهب ضياء الفجر يعدو ليصعدا
 وجرد عزمًا ماضيًا أو تمردا
 صحائف مجد في الشام توطدا
 لمن تاه في روض الهوى مترصدا
 تتيه بأهل الشام شيئاً ومردا
 لأهل التقى والفضل ساحاً ومعهدا
 وروضات جنات وساحات متدى
 وكم كنت يوماً للأكارم معهدا
 كريم السجايا طاب فرعاً ومحتدا
 سما الدين بين الخافقين ممجدا
 بها ملك الرومان بات مهددا
 بها عرش كسرى في سنين تبددا
 ليقى مدى الأزمان رسماً مؤبدا
 مع الدين والأخلاق والعدل والهدى
 طريق العلا والمكرمات ممهدا
 ففخر بني الإسلام قد جاء مفردا

منارات مجد شاد قدماً بناءها
 حباه إله العرش كل فضيلة
 يحيط به فتیان صدق وسادة
 ينادون واشوقاه للموت إنما
 لذكراهم يعنو البيان وأهله
 بنور هداهم أنظر الكون واسعاً
 بهم أقرأ التاريخ عقداً منظماً
 وحُق لقوم قام فيهم محمد
 هم قدوتي في كل شيء ورثته
 وأحميه من كل البغاة ولو طغوا
 إذا فاخر الأحزاب بالبغي والعدا
 سلالة مجد صانها الله للورى
 تمسكت من بعد الكتاب بسنة
 بها قام دين الله في كل بقعة
 فليس لقوم مثل قومي من الهدى
 بلى لهم نفع الروى عذب منهل
 فقل لبني الرومان أين صروحكم
 وناد بني الدنيا وقل أين مجدكم
 نعم إنما قوم سراة غطارف
 نعم نحن أبطال المعامع فارتقب
 نتيه على الدنيا بمجد مؤثّل

نبي غدا خير البرية سؤددا
 فلا غرو أن كان المثال المخلدا
 له جعلوا الأرواح في الحرب مفتدى
 نريد لقا المولى العشية أو غدا
 وتأتي القوافي راكعات وسجّدا
 فسيحاً ويضحى ضيق الأرض فدفا
 من المعجزات الخالدات على المدى
 بأن يعتلوا هام الفرط تمردا
 أذود الردى عنه وأمنعه العدا
 وأدفع دوماً عن حماه من اعتدى
 أتيت بأهل البيت من نسل أحمد
 فلم تك إلا المسك فرعاً ومحتدا
 بها المصطفى قد شاد ديناً مؤبدا
 هدى وتقى علماً ورأياً مسددا
 وأنى لهم هذه المكارم موردا
 أفأويق ضيم ترتوي فيه أعبدا
 أبقت لها الأيام ذكراً مخلدا
 فذا مجدنا ذا عزنا ذلك النداء
 بهاليل أقرام بهم صار يقتدى
 لنا غارة شعواء تحصد من عدا
 وعز طريف قد بته يد الهدى

فلا مجد حقًا غير هذا وإن تشأ
فأعظم بهذا الفخر فخراً وذا الهدى
أجول بشرق الأرض والغرب سائلاً
وأضرب في طول البلاد فلم أجد
وأنظر نحو الغرب حيث تجمعت
لعل خيال الدين يبدو فلا أرى
فأرجع لا أسطيع صبراً على الردى
ولا أرتضي إلا النجوم منازلًا
ولا أمتطي إلا عنان مُضَمَّر
فقرطاسي الأيام أرقم فوقها
وما ذاك إلا أن جدي خير من
فلا وطئت رجلاي أرضاً بها أرى
ولا سمعت أذناي دعوى لمبغض
بني أمتي إني غيور على الهدى
بني أمتي إني لكم جد ناصح
بني أمتي إن الأعادي تسابقوا
هجرنا كتاب الله وانحاز ركبنا
وما المجد إلا العلم والدين والتقوى
فإذ ذاك نعقد بين ماضي وحاضر
أنغضي على وخز السفا تلك ذلة
وكيف ولم نعطي الصغار وعندنا

دعوت فلبى الكون طوعاً ليشهدا
وذا المجد من رب العباد مؤيدا
ألا هل أرى في الربع يا مجد مسعدا
كقومي قومًا أو كمجدي سيدا
قوى الكفر من أرض الأمارق حشدا
سوى البهم تغدو في المراتع شردا
ولا أرتضي حقًا سوى المجد مقصدا
وإلا ذباب السيف للحق منجدا
إذا شام حربًا هب يختال أجردا
وريشتي الصمصام سيفًا مجردا
على الأرض ما غاب النهار وما بدا
فضائل جدي أصبحت متصيدا
يسيء لخير الخلق أو يضمم العدا
وقلبي لما قد حل فيكم توقدا
أمين فجدوا السير كي تلحقوا العدا
إلى العلم مذ نمنا فصار لهم ردا
إلى الغرب في كل الأمور مقلدا
بهن طريق النصر بات معبدا
أواصر قربى تجعل المجد أوحدا
بغيركم أولى فسلوا المهندا
نفوس أيّات ترى الموت مولدا

شبا السيف يهوى للظلام مبددا
 منال فصبراً للعلی وتجلدا
 إذا دهمت الإنسان عاش منكدا
 تُصيرُ أمر القوم شتى مبددا
 وإن رمت الأخرى أتاكم بها الهدى
 وشام المعالي دمت للعز معقدا
 وأرتقب الرايات للفتح وردا
 رأيتك لا تخشين شيئاً من الردى
 وأنت منار الدين سيفاً مهندا
 يتيه على الدنيا بما قلت منشدا
 مدى الدهر عقداً صغت فيه زمردا
 ومجدك بين الخافقين ترددا
 بقلبي فأغدو في هواها مقيدا
 جنان بثوب العز ترفل سرمدا
 إلى قلل العلياء عزم تجددا
 تلوح على الأكوان مجدداً وسوددا
 لها الكون أضحي عبد رق مصفدا
 لها وأرى الشعرى من الهول أرعدا
 جمعت بها هذا الكتاب مقيدا
 تفرق من أخبارها وتبددا
 وأبواب علم فضلها قد تأكدا

إذا نطقت فالموت حرف يخطه
 بني أمتي إن المعالي عزيزة الـ
 فلا تيأسوا فاليأس أعظم محنة
 ولا تركنوا للضعف فالضعف ذلة
 فإن رمت الدنيا أتتكم ذليلة
 دمشق للعلا والمفخرات على المدى
 أشيم بروق النصر منك لوامعاً
 لقد كان عهدي فيك يا شام أنني
 وما نمت عن ضيم فأنت أبية
 وهذا قريضي فيك تاج مرصع
 نظمت القوافي فيك سلكاً منمقاً
 فحبك في قلبي وذكرك في فمي
 وهل مثل حب الشام يشرق نوره
 فطوبى لأهل الشام بالشام إنها
 وحيى إله العرش قوماً سما بهم
 فكم لبلادي من مفاخر جمّة
 بها صحف التاريخ تفخر أن رأت
 أرى الشعر يسعى خاضعاً متذللاً
 ويا أيها الندوي حسبك رحلة
 وصفت بلاد الشام ثم جمعت ما
 حديث وتاريخ وشعر وسيرة

وما جئت فيما قلت قط مقلداً ولكن لتيجان العلى متقلدا
لقد صغت من در الكلام لئالئاً وحليت عقد الشام دراً وعسجدا
ووشى بنان الفكر منك خريدة فصاد بها الألباب فيما تصيدا
فما بعد ما صنفته من فضائل مقال لمن يبغي الكلام مفندا
فلا والذي أعطى المكارم إنها بثوب العلا والمجد ترفل سرمدا

* * * *

الكتاب المسمى بـ

مقدمة

بقلم فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم العقبوي

الحمد لله الذي جعل الأرض ذلولاً للمشاة في مناكبها، وسخر البحار للمسافرين في مراكبها، وأرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته تحمل الطائرات إلى أطراف الأرض بنعمته، نحمده على جزيل نواله وعظيم إفضاله، ونسأله سبحانه أن يوفقنا لنملاً أيماناً بصالح الأعمال، وأن يجعل لنا من حوادث الدنيا مذكرات بقرب الآجال، والصلاة والسلام على أفضل الراجلين إلى الله والمهاجرين إليه دون سواه، الذي اجتاز الأرض ليلاً في طرفه عين، ثم عرج بجسده وروحه إلى السماوات بلا مين، سيدنا محمد وآله الأمجاد وأصحابه الأنجاد.

أما بعد، فإن الله تعالى بارك في الشام للعالمين، وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام عن فضائله، واختاره لأصحابه، ورأى عمود الكتاب ينتقل إليه وهو فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى، ومهبط سيدنا عيسى عليه السلام، وقاعدة ملك الإمام المهدي. فلا غرو أن انعقدت القلوب على محبة أهل الشام واتجهت المطايا من سائر الأصقاع إلى بلاد الشام، رحل إليها العلماء، وحل فيها الصالحون، فأقاموا فيها خير مقام، فكانوا بين أهلها كأهلها، لا ضيوفاً فيملوا، ولا غرباء فيجفوا، كان منهم الحكام والعلماء والأولياء، ومن ينسى فضل الشيخ تاج الدين الحسيني على بلاد الشام وأهله، ولا يزال خير من تولى رئاسة هذا البلد من ذلك العصر، ولم يأت من بعده مثله، وهو حفيد أحد المهاجرين المغاربة، ومن ذا الذي ينسى فضل أبيه المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسيني في إحياء العلم ورفع راية الجهاد، ولا تجد

أحدًا ينتسب إلى العلم إلا له عليه يد وله إليه سند. ولو أخذنا نعدد أسماء من هاجر إلى الشام ووصل إلى أعلى المناصب فيها لطال بنا الكلام، ولكننا أحببنا أن نشير إلى خصلة تميزت بها هذه البلاد ببركة دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبركة من دخلها من الصحابة الكرام، وقد قيل: هم عشرة آلاف، وبركة من حل فيها من آل البيت الأطهار.

وأنا إذ أقدم هذا الكتاب الممتع للقراء بعد أن قرأته ونظرت فيه أجدني مقصرًا في الوفاء بحق الشكر لله تعالى على نعمة النشأة في بلاد الشام، وعلى أن وفق أجدادنا لاختيار هذه البلاد دون سائر بلاد الإسلام، ومن يقرأ هذا الكتاب ير ما بذله المؤلف فيه من جهد ويتعرف على ولعه بالشام وتعلقه بأهله. والشيخ محمد أكرم الندوي علامة جليل، بذل عمره للعلم بين تعلمه وتعليمه، ثم وفقه الله تعالى للتأليف ورزقه القبول، وقد وهبه الله تعالى من حسن البيان مع أنه من بلاد الهند ما يزري بكلام كثير من كتاب العرب في هذه الأيام. وما هي بأول منة لأهل الهند وعلماء الهند على الشام وأهله، ورحم الله السيد أبا الحسن الندوي شيخ المؤلف، فقد دخل الشام من قبله وقيد مذكراته وأفاد أهل الشام واستفاد، ولو رأينا ما عند علماء الهند من تعظيم العلم وتوقيره والجد في طلب العلم وتعليمه لشددنا الرحال إليهم، وبذلنا كرائم الأموال في تحصيل ما لديهم.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى الاعتصام بالسنة والجماعة وأن يبارك في بلادنا، ويجعلها بلادًا آمنة مطمئنة وسائر بلاد المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رقمه بقلمه بمدينة لندرة: خادم أهل العلم بدمشق الشام

محمد اليعقوبي الحسني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد النبي الأمي الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فإن الرحلات العلمية سنة ماضية متصلة في تاريخنا الإسلامي، مارسها العلماء المسلمون، وطلاب العلم على مر العصور، كان من نتائجها هذا الكم الهائل من العلوم والفنون، الذي ورثته عنهم الأجيال اللاحقة، فالرحلات العلمية مصدر تثقيف ومعارف مكتسبة متنوعة، وتجارب أجيال تختصر الزمان، وتصل العقول، وتنمي الشخصية، وترفع الأمة مكاناً علياً.

إن أدب الرحلات في دراستنا الإسلامية من أغزر الآداب، وتاريخ المسلمين حافل بكتب الرحلات قديماً وحديثاً، وأحسن ما ألف في ذلك: كتاب «الرحلة في طلب الحديث» للخطيب البغدادي، ذلك الكتاب الفريد في موضوعه، يتحدث عن الرحلة في طلب الحديث وأخبار الراحلين الذين قطعوا المسافات الشاسعة من الصحابة فمن بعدهم في طلب الحديث.

ومن المغرمين بالرحلات في القرون المتأخرة ممن عنوا بسياسة بلاد الشام الشيخ عبد الغني النابلسي، له خمس رحلات، وأول رحلة قام بها النابلسي كانت إلى دار الخلافة في الآستانة عام ١٠٧٥ هـ، وهي الرحلة الوحيدة التي لم يسجل عنها ملاحظاته وانطباعاته وخط سيره. أما الرحلة الثانية فقد كانت إلى لبنان عام

١١٠٠هـ، والثالثة إلى فلسطين ١١٠١هـ، والرابعة هي الرحلة الكبرى إلى مصر والحجاز والشام عام ١١٠٥هـ، أما الرحلة الخامسة فكانت إلى طرابلس عام ١١١٢هـ، وجميع الرحل باستثناء الرحلة الأولى كتبت تفاصيلها من قبل الشيخ النابلسي.

وتلاه في ذلك شيخ كثير من مشايخنا العلامة المحدث محمد بن جعفر الكتاني (١٢٧٤-١٣٤٥)، رحل من المغرب إلى المشرق مرتين، وكانت رحلته الأولى سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة وألف، والرحلة الثانية سنة ثمان وعشرين، وبقي في المدينة المنورة عدة أعوام، وسافر أواخر ربيع الثاني عام ١٣٣٦ إلى بلاد الشام، وجمع تفاصيل رحلاته في كتابه الشهير «الرحلة السامية إلى الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية».

نشأت منذ طفولتي على محبة أرض الحرمين الشريفين، ثم بلاد الشام والعراق ومصر، وهذه البلدان الأربعة تتميز بين بلاد العالم بأن مشى عليها خليل الله إبراهيم عليه السلام بقدميه المباركتين، ولد ونشأ في العراق، ثم هاجر إلى بلاد الشام ومصر والجزيرة العربية، ومنذ ذلك الوقت اختارها الله تعالى وأنعم عليها بكثرة من بعث فيها من الأنبياء والمرسلين.

وقعت وأنا طفل صغير على فتوح الشام للواقدي^(١) في جامع قرיתי، فقرأت

(١) وقد نظمته باللغة الأردنية السيد عبد الرزاق الحسني عم والد الشيخ أبي الحسن الندوي، يشتمل على خمسة وعشرين ألف بيت، وهي في غاية القوة والعدوبة وصدق التصوير وبراعة التعبير، بحيث إذا سمعها الإنسان امتلأ إيماناً وحماسة، وتحركت فيه الحمية الدينية، والتهبت العاطفة الإسلامية، وكانت هذه الملحمة تنشد في بيت الشيخ الندوي وهو صغير، يقول: «كنت أرافق أُمِّي وأحضر معها هذه المجالس، وكانت خالتي الكبرى السيدة صالحة بنت العارف الكبير السيد ضياء النبي الحسني وهي حافظة للقرآن الكريم تتصدر هذا المجلس، وتتلو هذه المنظومة في صوت عذب رنان، =

= ترفعه الحماسة ويرققه الإيمان، وتمضي في الإنشاد في هدوء واعتدال حتى إذا دخل خالد بن الوليد المعركة أو حضر ضرار بن الأزور، وهزءا بالأعداء وخاضا غمار الموت تغير صوتها وارتفع وأشرقت وجوه المؤمنات، وكن أشد ما يكن إيمانًا وحماسة وتأثرًا إذا حضرت خولة بنت الأزور شقيقة ضرار الحرب، فكادت تقع في أسر الأعداء أو خرجت من الساحة ظافرة منتصرة ساخرة من العدة، هنالك يملكن الإعجاب والاعتباط بها - وهي من الإناث - وتدمع عيونهن فرحًا، حتى إذا استشهد أحد المجاهدين بعد ما أبلى في الحرب بلاءًا حسنًا فاضت عيونهن وبدا الحزن والتوجع على وجوههن، كأنما فجعن بعزيز أو قريب، وكأن الرزية جديدة والحادثة شخصية.

كل ذلك كنت أشاهده وأعياه وأشارك في المسرات والأحزان، وكانت هذه المناظر تؤثر في قلبي أكثر من ألف كتاب، وقد حببت إلي هذه المجالس، وقد حجب هذا الكتاب شخصيات الصحابة والمجاهدين إلى نفسي، ورفعت منزلة الجهاد في سبيل الله في عيني، حتى لم يستطع كل ما قرأته بعد ذلك من بحث ومناقشات وشبهات وكل ما قرأته للمستشرقين والمستغربين أن يقلل قيمة الجهاد، ولم تحم حوله شبهة، وكان كما قال الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبًا فارغًا فتمكننا

كان من حسنات هذا الكتاب تلك الثقافة الدينية والتاريخية التي حصلت لي بفضلها، فقد عرفت كثيرًا من الصحابة وأبطال الجهاد الإسلامي وكثيرًا من المدن والبلدان الإسلامية والوقائع التاريخية في سن مبكرة حين لم يعرفها كثير من أترابي ممن حرموا هذه الفرص في سن عالية، وارتسمت هذه الذكريات وهذه الحوادث في خاطري، حتى لما قدر الله لي الرحلة إلى سورية عام ١٩٥١م تمثلت هذه المناظر لعيني وهاجت الذكرى، ولما دخلت حمص بادرت إلى زيارة سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه، ووقفت أمام قبره وقفة طويلة أستحضر مواقفه في الجهاد وبلاءه في الحرب واستهاتته بحياته واستخفافه بالعدو وانتصاره في كل معركة، وأترحم عليه، وقد طاب لي المقام وهاج البكاء.

وكان من حسنات هذا الكتاب أيضًا أني أصبحت أنظر إلى الأوربيين، وهم خلفاء الروم الذين قاوموا المسلمين في الشام وفلسطين، كمنافسين للإسلام، ولا ينشرح لهم صدري، بل وأجدهم أحق بالعداء من الروم والفرس الذين انقضت دولتهم وزالت أيامهم وتقلص ظلمهم، أما الأوربيون فقد اكتسحوا العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، واستعبدوا أممه وشعوبه ونشروا الفساد في البر والبحر، وملؤوا أرض الله جورًا وظلمًا وفسادًا وشرًا. إن لهذا الكتاب فضلًا علي لا أنساه، فقد غرس في=

الكتاب بكامله مرارًا معجبًا بما فيه من انتصارات الجيوش الإسلامية، ومشاهد البطولة والشجاعة النادرة لأبطالها المشهورين وقادتها الغر الميامين: أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وخالد بن الوليد سيف الله الذي لم يواجه هزيمة في حياته، وصاحبه ضرار بن الأزور، وأخته خولة بنت الأزور، أقرأ مشاهد بطولتهم، وقصص خوضهم المعارك، فأشعر باهتزاز غريب وفرحة لا أشبهها بشيء، وقد يغلبني البكاء إذا مررت بمشهد يواجه المسلمون فيه صعوبة. قرأت فتوحاتهم لأجنادين، واليرموك، وحمص ودمشق وغيرها من بلاد الشام بكل لذة وسرور، قرأت عن دمشق يدخلها أبو عبيدة بن الجراح من باب الجابية صلحًا، ويدخلها خالد بن الوليد من باب توما عنوة، وقرأت عن أبوابها، وعلق بقلبي كل جزء من هذه الأرض الطيبة المباركة الطاهرة.

لقد مررت بمطار دمشق مرارًا، وفي قلبي رغبة جامحة لزيارتها، وأمنية حلوة للاستفادة من علمائها ومشايخها، ولم أعرف متى تتحقق هذه الرغبة وتكتمل هذه الأمنية، إذ نشأ في نفسي أن أزور ببناي بعض بلاد العرب خلال إجازتهن الصيفية حتى يتدربن على اللغة العربية نطقًا وقراءة وكتابة، ويجودن القرآن الكريم، ويحصل لهن السماع العالي والإجازة العالية للحديث النبوي الشريف، واستشرت أصدقائي، حتى ألقى الله في روعي أن أختار دمشق، فإن زيارة دمشق أمنية لي قديمة، وسوف توفر لي فرصة الالتقاء بالشيخ والقراءة عليهم والاستفادة منهم، والاستفادة من مكتباتها، وأحمد الله عز وجل على ما وفقني إليه من هذا الاختيار المبارك.

= قلبي حب أصحاب رسول الله ﷺ وحب المجاهدين الأولين، وإجلال الجهاد وبذل النفوس والأرواح في سبيل الله، وأوغر صدري على أعداء الإسلام وأعداء الإنسانية (أبو الحسن علي الندوي: شخصيات وكتب ص ١٦٢-١٦٥).

اصطحبت في رحلتي هذه إلى دمشق جميع أهلي: زوجي فرحانة، وبناتي حسنى، وسمية، وهالة، ومريم، وفاطمة، وعائشة.

رحلتي إلى بلاد الشام ذات أغراض متنوعة، وأسباب متعددة، فإلى جانب محبتي لها محبة شديدة جداً حملتني على التطلع السياحي، وزيارة الآثار الإسلامية، والمكتبات، وتوفير الفرصة لبناتي ليتقن اللغة العربية، ويتعرفن على ثقافة بلد عريق في الإسلام، كان الباعث الرئيسي هو الحصول على الإسناد العالي، والقراءة على المشايخ المسنين والسماع منهم والاستجازة منهم، لاسيما من تبقى من تلامذة المحدث الأكبر بدر الدين الحسني رحمه الله تعالى.

والشيخ بدر الدين الحسني (١٢٦٧-١٣٥٤) المعروف «بالمحدث الأكبر»، ولد في دمشق، ودرس فيها علوم الحديث والفقه وغيرها كالرياضيات واللغة والفلسفة، وكان ذا حافظة متفوقة يحفظ أحاديث الأصول الستة مع أسانيدھا وتواريخ الرواة، وكان يفسر القرآن عن ظهر قلب من تفسير البيضاوي. وكان علماء الحديث يطلبون إجازته لعلو سندها. وكان الأطباء والمهندسون الذين يحضرون دروسه يقولون: لقد أفنينا العمر في تعلم مهنتنا لكنه يعرفها أكثر منا.

عمل بالتدريس في مساجد دمشق، ثم أمر السلطان العثماني عبد الحميد الثاني إليه بالتدريس تحت قبة النسر في الجامع الأموي، وفقاً لتقليد قديم يعطي هذا الشرف لشيخ علماء الشام، وقد انتهى هذا التقليد بوفاة الحسني. حضر درسه الأول في الأموي والي دمشق مدحت باشا، وأبهر الناس بعلمه وفصاحته. تتلمذ على يده الكثير من العلماء. كانت له شعبية ومكانة كبيرة بين الناس. رفض التدخل في السياسة، إلا أنه رفض إعطاء فتوى بصحة أحكام الإعدام التي أصدرها جمال باشا

١٩١٦، كما أنه دعا إلى مقاومة الفرنسيين بعد احتلالهم لسوريا ١٩٢٠، وكان محرّضاً على الثورة السورية ١٩٢٥.

من آثاره: «الدرر البهية في شرح المنظومة البيقونية»، و«روض المعاني لشرح عقيدة العلامة الشيباني»، و«البدور الجلية في شرح نظم السنوسية»، و«حاشية على شرح الرحبية في علم الفرائض»، و«غاية المرام على شرح القطر لابن هشام». أقر له جميع علماء الشام ومن عرفه من علماء الدنيا بقدّم السبق في العلم وخاصة في علوم الحديث، وكان علماء دمشق يحضرون دروسه اليومية. قال العلامة الأكبر الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية حين زيارته له وحضوره درسه العام يوم الجمعة: لو كان عندنا بمصر لم تحمله العلماء إلا فوق الرؤوس.

ذكرت للأستاذ أديب العربية الدكتور بسام ساعي نيتي لزيارة دمشق، فرحب بالفكرة، وذكر ذلك لفضيلة الشيخ حسام الدين فرفور، فوعد بأن يساعدني في ترتيب دورة مكثفة للغة العربية لبناتي، فجزاه الله تعالى خيراً.

الشيخ الفقيه الأديب حسام الدين فرفور، ولد بدمشق سنة ١٣٧١ هـ، وأبوه هو العلامة المحدث الفقيه صاحب النهضة العلمية في دمشق محمد صالح فرفور، تخرج عليه، وأجازه، وحصل على إجازة معهد الفتح الإسلامي بدمشق عام ١٩٦٧، وعلى الإجازة في الشريعة من جامعة الأزهر سنة ١٩٧٠، وعلى الإجازة في اللغة العربية من جامعة الأزهر عام ١٩٧١، وحصل على الدكتوراه في الفقه الإسلامي من باكستان سنة ١٩٩٥، والدكتوراه في القراءات والأصوات من أكاديمية العلوم بباكستان بآذربيجان سنة ١٩٩٧، ويشغل نائباً لرئيس جمعية الفتح الإسلامي بدمشق منذ عام ١٩٨٤، ورئيساً لقسم التخصص بمعهد الفتح.

وأشكر صديقنا الفاضل الدكتور محمد التكريتي وهو أعلم من لقيته بالنحو، حفظه الله تعالى ونفعنا به، فقد وفر لي كثيرًا من المعلومات اللازمة، وصديقنا الفاضل عبد الله الفالق رئيس معهد البصيرة للغة العربية في جامعة لندن الشرقية، فقد ساعدني في الحصول على التأشيرة، وجزى الله تعالى خيرًا كل من ساعدني في هذه الرحلة المباركة.

خرجنا إلى دمشق يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الآخرة ١٤٢٦ هـ الموافق للثامن والعشرين تموز ٢٠٠٥ م، ورجعنا يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب ١٤٢٦ هـ الموافق للتاسع والعشرين من آب ٢٠٠٥ م.

* * * *

الذكر في الدار التي ترفق بالعلم

يوم السفر

٢٢ جمادى الآخرة يوم الخميس

استيقظنا في الصباح الباكر وأنا أعاني من الصداع والرمد، اغتسلت وصليت الفجر، وكانت الأمتعة قد جهزناها في الليلة، فتناولنا فطورًا خفيفًا، وخرجنا الى محطة الحافلات، وأخذنا حافلة إلى مطار هيثرو في لندن، وبعد الإجراءات اللازمة ركبنا الطائرة السورية في الساعة العاشرة إلا الربع، وكان موعد إقلاعها الساعة العاشرة، ولكنها تأخرت بنحو نصف ساعة.

رحلتي إلى دمشق رحلة علمية وسياحية، وظللت أفكر - ونحن على متن الطائرة - كيف نستغل إقامتنا في دمشق وأن لا نضيع شيئًا من وقتنا الثمين، وأن نولي بالغ عنايتنا بلقاء الشيوخ والعلماء والصالحين، والقراءة عليهم، والاستفادة منهم، والاستفادة منهم، وزيارة مدن سورية وأماكنها التاريخية والأثرية والسياحية، والشوق قد غلبني، والصداع والرمد قد اشتد بي، فاستطلت السفر، ولو كنت صحيحًا لاستمتعت بكل لحظة من هذه الرحلة المباركة، ولجال بي فكري وشوقي إلى أبعد ما يشاق إليه المشتاقون، ويهيم فيه الهائمون.



دمشق

الكتاب النادر الذي توضع الأول مرة

هبطت الطائرة مطارَ دمشق في الساعة الخامسة إلا الربع مساءً، إن بلاد الشام بلاد مباركة ذات خيرات كثيرة ومنافع وفيرة، وهي أرض الأنبياء وموطن عدد كبير من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وموئل الأولياء الصالحين، ومقر العلماء الربانيين. وعاصمتها دمشق، وتبدو في واحة كأنها الزمردة الخضراء وسط رمال الصحراء الذهبية اللون، يطل عليها جبل قاسيون بأجمل المناظر الخلابة، إن موقع دمشق على الطريق العالمية ومعاصرتها الصراع الدولي عبر العصور مما خلد اسمها في الكتب المقدسة والوثائق التاريخية بمختلف اللغات العالمية القديمة والحديثة.

تاريخ دمشق قديم قدم التاريخ، ففي نهاية الألف الثاني قبل الميلاد أسس فيها القائد العربي الأرامي روزون مملكته الشهيرة بدفاعها عن المنطقة، وتوحيد صفوف الممالك الأرامية، قضى عليها الآشوريون عام ٧٣٢ قبل الميلاد، ثم شهدت دمشق عهود العرب الكلدانيين (٦٠٥-٥٣٨ ق.م)، ثم الإخميميين (٥٣٨-٣٣٣ ق.م)، وبعد ظهور العرب الأنباط كقوة هامة في المنطقة جعلوها عاصمتهم في عهد الحارث الثالث (٧٨-٦٢ ق.م) والحارث الرابع، وفي عام ١٠٥ م قضى الرومان على مملكة العرب الأنباط وأسسوا (الولاية العربية) وجعلوا بصرى عاصمتها، وبعد انقسام الإمبراطورية الرومانية أصبحت دمشق - كسائر بلاد الشام - خاصغة للإمبراطورية البيزنطية، حيث تزايد نفوذ العرب الغساسنة فيها.

وفتحها المسلمون في رجب سنة ١٤ بعد حصار ومنازلة، وكان قد نزل على كل باب من أبوابها أمير من المسلمين، فصدّهم خالد بن الوليد من الباب الشرقي حتى افتتحها عنوة، فأسرَّ أهل البلد إلى أبي عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشرَّ حبيب بن حسنة وكان كل واحد منهم على ربع من الجيش وسألوهم الأمان،

فأمنوهم وفتحوا لهم الباب، فدخل هؤلاء من ثلاثة أبواب بالأمان، ودخل خالد من الباب الشرقي بالقهر، وكتبوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالخبر وكيف جرى الفتح فأجراها كلها صلحاً، ولما آل أمر الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما غدت عاصمة العالم العربي والاسلامي، وشهدت دمشق عصرها الذهبي في عهد الأمويين، وظلت مدينة هامة في عهود العباسيين، وحكمها ولاية طولونيون وإخشيديون وفاطيون ومماليك، وعثمانيون.

استغرقت الإجراءات اللازمة وقتاً طويلاً، ولم يتمكن من الخروج من المطار إلا بعد الساعة السادسة، وكان في انتظارنا أهل الشيخ حسام الدين فرفور السيدة الكريمة، وبنته الشريفة العالمة أسماء، وابنه الشاب النابه ضياء الدين فرفور، فركبنا سيارتين إلى حي المهاجرين الواقع في سفح جبل قاسيون، حيث استأجروا لنا شقة مقابل شقة الأخ الشيخ علاء الدين ابن الشيخ حسام الدين فرفور قرب جامع الخياط.

والأخ الشيخ علاء الدين المولود سنة ١٣٩٤ تخرج في معهد الفتح ثم في قسم التخصص شعبة اللغة العربية، ونال درجة الإجازة في الشريعة من جامعة الأزهر.

فَتَى كَرَّمَ اللهُ أَخْلَاقَهُ وَأَلْبَسَهُ الْحَمْدَ غَضًّا قَشِيًّا
وَأَعْطَاهُ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ يُعَدُّ حِظًّا وَمِنْ كُلِّ مَجْدٍ نَصِيْبًا

كنت تعباً جداً وكانت أهلي وبناتي متعبات كذلك، ولم يأل أهل الشيخ حسام الدين فرفور أي جهد في توفير أسباب الراحة لنا، كأننا نزلنا بين أهلينا وفي وطننا، وصليت المغرب في جامع الخياط، ودعنا زوجة الشيخ حسام الدين فرفور للغداء بعد صلاة الجمعة.

وزارنا بعد العشاء فضيلة الشيخ حسام الدين الفرفور^(١) حاملاً معه أنواعاً من الحلوى والكعك، ورَّحَّب بنا، وتحدثت على هاتفه مع الأخ الشيخ محمد وائل الحنبلي^(٢) والأخ عبد الماجد الغوري الندوي^(٣)، وغيرهما من الإخوان، وتواعدنا على اللقاء في منزل الشيخ حسام الدين فرفور للغداء، وتواعدت مع الأخ الكريم محمد وائل الحنبلي على اللقاء في الجامع الأموي بعد صلاة الجمعة.



(١) انظر ترجمته في المقدمة ومذكرات الثالث والعشرين من جمادى الآخرة.

(٢) انظر ترجمته في مذكرات السادس من رجب.

(٣) انظر ترجمته في مذكرات الثالث والعشرين من جمادى الآخرة.

٢٣ - جمادى الآخرة يوم الجمعة

خرجت مع الشيخ علاء الدين فرفور في الساعة الثانية عشرة لصلاة الجمعة ومررنا في طريقنا بقلعة دمشق. من المعروف أن القلاع والحصون تشيد فوق أماكن مرتفعة، ولكن قلعة دمشق تكاد تكون الوحيدة التي بنيت على مستوى المدينة في عهد الحكام السلاجقة الذين أحاطوها بالأسوار والأبراج والخنادق، وأقاموا في داخلها الدور والحمامات والمساجد والمدارس، وأثناء الحملات الصليبية أصبحت القلعة مكاناً لإقامة سلاطين مصر والشام، إلا أن الملك العادل هدمها عام ١٢٠٢ م وأعاد بناءها من جديد لتصبح حصناً عسكرياً حصيناً بأسوارها الضخمة وأبراجها الإثني عشر الشاهقة ومرامي النبال الثلاثمئة.

وفي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي تعرضت القلعة لهجمات التتار والمغول، وخلال العهد العثماني أهملت وردمت الخنادق المحيطة بها وأقيمت مكانها الأسواق التي من أشهرها سوق الحميدية، وسوق مدحت باشا (السوق الطويل)، وسوق الحرير وسوق البزورية.

ضريح أبي الدرداء رضي الله عنه

ومررنا بضريح الصحابي الجليل عالم دمشق ومعلمها أبي الدرداء رضي الله عنه، وهو عويمر أبو الدرداء مشهور بكنيته وباسمه جميعاً، واختلف في اسمه فقيل: هو عامر، وعويمر لقب، حكاه عمرو الفلاس عن بعض ولده، وبه جزم الأصمعي في رواية الكديمي عنه، واختلف في اسم أبيه فقيل: عامر، أو مالك، أو ثعلبة، أو عبد الله،

أوزيد، وأبوه قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، قال أبو مسهر: عن سعيد بن عبد العزيز: أسلم يوم بدر وشهد أحدًا وأبلى فيها. قال صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد: نعم الفارس عويمر، وقال: هو حكيم أمتي، وقال الأعمش عن خيثمة عنه: كنت تاجرًا قبل البعث، ثم حاولت التجارة بعد الإسلام فلم يجتمعوا.

وقال ابن حبان: ولله معاوية قضاء دمشق في خلافة عمر. روى عن: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن زيد بن ثابت وعائشة وأبي أمامة وفضالة بن عبيد. روى عنه: ابنه بلال وزوجته أم الدرداء وأبو إدريس الخولاني وسويد بن غفلة وجبير بن نفير وزيد بن وهب وعلقمة بن قيس وآخرون. قال أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز: مات أبو الدرداء وكعب الأحماس لستين بقية من خلافة عثمان. وقال الواقدي وجماعة: مات سنة اثنتين وثلاثين. وقال ابن عبد البر: إنه مات بعد صفين، والأصح عند أصحاب الحديث أنه مات في خلافة عثمان.

الجامع الأموي

نزلنا عند بوابة الجامع، مكتوبًا عليها «الجامع الأموي بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة خمس وثمانين من الهجرة»، ويعتبر من روائع فن العمارة، يتميز بسعته وارتفاع مبناه، وجمال مآذنه وقبته، وجمال لوحاته وفسيفسائه، ويتكون من قاعة للصلاة طولها ١٤٨ مترًا وعرضها ٥٠ متر، وتنقسم القاعة إلى ثلاثة دهاليز متوازية وأروقة متساوية في العرض والارتفاع، تفصلها أقواس متناسقة مرفوعة على أعمدة من الرخام، وسقف المسجد مصنوع من صفوف خشبية مزخرفة باللون الذهبي، وفوق الرواق الأوسط توجد قبة عالية سميت (قبة النسرة) التي يقع تحتها

مباشرة محراب الجامع المزين بالفسيفساء الملونة، وعلى يمين المحراب يوجد المنبر.

وللجامع أربع مآذن كانت تستخدم كأبراج مراقبة في عهد اليونان، فتركها الوليد بن عبد الملك مع الحائط الخارجي، وحولها إلى صوامع للأذان، ولم يبق منها اليوم سوى البرج الجنوبي الغربي، وقد شيدت فوقه مئذنة في عصر المماليك عام ٨٩٤هـ (١٤٨٨م)، بينما اختفت الأبراج الشمالية الغربية والشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية التي توجد مكانها مئذنة بنيت عام ٧٤١هـ، وهناك مئذنة ثالثة يعود تاريخها إلى نهاية القرن السادس الهجري، وقد أقيمت مكان مئذنة كانت موجودة قبل عام ٣٧٥هـ.

وفي حرم الجامع على اليسار من المنبر مدفون رأس يحيى بن زكريا عليها السلام، وفي الجناح الأيسر من الجامع - على ما يزعمون - مدفون رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما.

دخلت الجامع وأجد نفسي تبهرها سعته ورفعة مبانيه وفنونها المعمارية، ومشيت حتى دنوت من المحراب ومكتوب عليه «كلما دخل عليها زكريا المحراب» ورأيت جماعة من أهل باكستان يذكر لهم دليلهم باللغة الأردنية تاريخ الجامع، وتحديث لهم عن قصة قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام، ودفن رأسه في حرم الجامع، ورأيتهم مستمعين إليه مصغين، وبعضهم يعلو صوته بالبكاء، ثم صليت ركعتين.

بعد قليل رأيت الناس كلهم قد قاموا فذكر لي بعض من بجنبي أنه قد أذن فقامت معه، وصليت السنة مع الناس أربع ركعات، وذكر لي صاحبي أنه من العراق، واستغرب أن أنطق بالعربية ولست من أهلها، والعادة هنا قبل أن يؤذن للخطبة أن

بعض القراء يقرأ سوراً من القرآن الكريم، يتلوها بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بصوت جهوري والناس يتبعونه في القراءة والصلاة.

خطبة الجمعة

يتولى آل الخطيب إمامة الجامع الأموي وخطابته منذ مئة سنة، والإمام الآن هو الشيخ نزار الخطيب^(١)، ولكنه كان غائباً في عمرة، فبعثت وزارة الأوقاف عالماً شاباً للخطابة مكانه، لم أر الخطبة تناسب مكانة هذا الجامع العريق.

تلا الخطيب آيات من القرآن الكريم ﴿تَتَابَعَهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾، و﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِيَ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ و﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ وقال: العبادة التي خلقنا الله من أجلها هي معرفة الله عز وجل، وهو جوهر العبادة، وأكد معنى أن العبادة شاملة لنواحي الحياة كلها مستشهداً بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقال: إن حقيقة العبادة تتمثل في أمرين: استقرار معنى العبودية في النفس، والتوجه إلى الله عز وجل بكل حركة من حركات هذا الإنسان، وأكد معنى الشعار الإلهي: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك»، وأشار إلى أهمية الفرائض، ثم قال: بعد إقامة الفرائض يتجه الإنسان في كل عمل من أعماله الدنيوية

(١) انظر ترجمته في مذكرات الخامس والعشرين من جمادى الآخرة.

والأخروية، يتوجه بها إلى الله خالصاً»، ثم قرأ حديث: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»، ودعا الناس إلى اتقاء الله واجتناب المحارم، «اتق محارم الله تكن أعبد الناس».

وقال: إن تزين المرأة لزوجها ليعدل جهاداً. واستند إلى حديث أبي هريرة الذي أخرجه الشيخان في صحيحيهما أن رسول الله ﷺ قال: بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي قد بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله إن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر، وفي رواية البخاري: فشكر الله له فغفر له فأدخله الجنة.

وذكر أن ابن عباس كان معتكفاً فجاءه صاحب حاجة فقطع اعتكافه وخرج لقضاء حاجة أخيه، فلما سئل عن ذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من مشى في حاجة أخيه قضيت أم لم تقض فكأنما اعتكف في مسجدي هذا شهراً. وأكد أن قضاء حاجة المسلمين عبادة، قضيت الحاجة أم لم تقض، وذكر أن العبادة شاملة لنواحي الحياة كلها، فعبادة العالم أن يعلم العلم، وذكر أنواعاً مختلفة من العبادة، وذكر شروط العبادة من أن يكون العمل مشروعاً، وأن تصحبه نية صالحة، وأن يلتزم في عمله بحدود الله، وأن لا يشغله الأمر الدنيوي عن الأمر الأخروي، وما إلى ذلك. وفي الخطبة الثانية صلى على النبي وآله وصحبه، وخص بالذكر الخلفاء الأربعة وخديجة وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين.

الأخ وائل الحنبلي

بعد الصلاة خرجت من الجامع، والتقيت بأخيना الفاضل وصديقنا الحميم الشيخ محمد وائل الحنبلي، ثم دخلت معه الجامع، ولقيت فيه ثلاثة من طلاب العلم

من بريطانيا، وهم تلاميذه، وأخذوا مني رقم هاتفي، وكانوا على معرفة بي، ثم رأينا الشيخ الصالح العلامة الفقيه الشيخ عبد الرزاق الحلبي^(١) خارجاً، فسلمنا عليه وقبلنا يده، أراد الأخ وائل أن يريني الآثار المهمة في الجامع ولكن ضيق الوقت حال دون ذلك فأجّلناه إلى وقت آخر، ثم خرجنا من الجامع وركبنا سيارة الأخ علاء الدين متجهين إلى منزلنا.

قدمت إلى الأخ وائل كتابي «رحلة الحج» باللغة الأردنية، حيث ورد ذكره فيه، وقرأت له منه ما أثنى به شيخنا محمد نمر الخطيب على الشيخ يوسف النبهاني: الشيخ يوسف النبهاني من بلدة من فلسطين، يقال لها «اجزم» قرب حيفا، طلب العلم في الأزهر الشريف، وصار من علمائه، والحمد لله، وهو يعتبر من أكرم المجاهدين في الدفاع عن الدين، وقد ولي منصب القضاء العالي، وكان نعم المجاهد عن الإسلام والمدافع عن المسلمين بقلمه ولسانه، وقد ألّف مئات الكتب في الدعوة إلى الله وسنة رسول الله ﷺ، ومحاربة أهل البدع وأهل الضلال، رحمه الله رحمة واسعة، ألف عشرات الكتب في الرد على الوهابية، وفي الرد على النصارى، ألف كتباً لا تعد، ولم يأخذ منها قليلاً ولا كثيراً من المال، وقال: ابحث عن كتبه حتى ينفعك الله بها.

وقال: كان قاضي الاستئناف في بيروت، أهل لبنان في الزمن الماضي كانوا محبين للرسول ﷺ محبة عجيبة، وحدث أن تجادل مسلم مع نصراني، فسبّ النصراني سيدنا محمداً ﷺ، فما كان من المسلم إلا طعن النصراني بالسكين وقتله، وكان هذا في زمن ضعف الخلافة الإسلامية وعلى أيام السلطان عبد الحميد رحمه الله، وكانت النصرانية في هذا العهد قد تقوّت على الخلافة، وتناولت عليها كثيراً، وكثر الفساد في ذلك الزمان، فاشتدّ النصارى وأقاموا الدنيا

(١) انظر ترجمته في مذكرات الخامس والعشرين من جمادى الآخرة.

وأقعدوها بسبب قتل هذا النصراني، واحتجّت الدول المسيحية لدى السلطة العثمانية، وطلبوا من الخلافة محاكمة هذا المسلم، فأمر السلطان عبد الحميد أن يحاكم، وبالفعل أقيمت المحاكمة، وأظهرت النصارى والدول النصرانية قوتها، وأرسلت المندوبين والسفراء ليحضروا المحاكمة تخويفاً للمسلمين، وكان رئيس المحكمة العليا إذ ذاك الشيخ يوسف النبهاني، وكان رحمه الله يطاول المسيحيين حتى طالت مدة المحاكمة، وأخيراً عين الشيخ يوماً وساعة ليقيم الحكم، واجتمعت السفراء وممثلو الدول المسيحية لتخويف القاضي وتخويف المسلمين، وفي اليوم المشهود نزل الشيخ يوسف النبهاني للقضاء واتجه إلى غرفة السجين وهو في داخل المحكمة ونادى بصوته: هل أنت قتلت هذا النصراني فلاناً؟ فقال المسلم: نعم، ثم قال له: بأي يد قتلته؟ فقال: قتلته بيدي اليمنى هذه ومدّها، فلما مدها أخذها الشيخ يوسف النبهاني وقبلها، وأعلن البراءة ثلاث مرات، فضجت النصارى، وأبرقوا إلى السلطان عبد الحميد محتجين، فما كان من السلطان عبد الحميد رحمه الله استرضاء للنصارى والدول المسيحية إلا أن نفى الشيخ يوسف النبهاني إلى المدينة المنورة، فكان الشيخ يوسف النبهاني في ضيافة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعرف المسلمون فضله وجرأته.

وله كتب مطبوعة طبعها الشيخ مصطفى البابي الحلبي في مصر في مطبعته المشهورة، وفيها الرد على النصارى، وعلى اليهود، وكتب في مدح الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحاسن الإسلام، رحمه الله، وأكثر في المسلمين أمثاله، رد على الشيخ محمد عبده وعلى رشيد رضا، وجهلهم وحقرهم، ومدح علماء الأزهر الشريف، إفريقيا بأكملها تعظم الشيخ يوسف النبهاني، وكان سفير إحدى جمهوريات إفريقيا اسمه يوسف النبهاني، احرص على هذا الرجل وانتفع به.

في منزل الشيخ حسام الدين فرفور

بعد الساعة الثالثة خرجنا إلى منزل الشيخ حسام الدين فرفور، وهو منزل كبير فخم يدل على عظمة صاحبه وثرائه، وفي غرفة الاستقبال عدد كبير من العلماء والطلاب فسلمت عليهم، وكان من بين العلماء أخواه الشيخ ولي الدين فرفور، والشيخ شهاب الدين فرفور، وشيخنا المؤرخ الدكتور محمد مطيع الحافظ، والشيخ الباحث المحقق محمود بن عبد القادر الأرناؤوط، والشيخ العارف محمد عدنان المجد، والشيخ عمر النشوقاتي، وعبدالماجد الغوري الندوي، والأخ نجيب الحسن الندوي، وتناولوا أحاديث علمية، والتمست من الشيخ محمد مطيع الحافظ أن يقرأ لنا المسلسل بالأولية فرواه لنا، ثم رواه لنا الشيخ حسام الدين فرفور والشيخ محمد عدنان المجد وأجازوا لنا إجازة عامة.

وجرى في المجلس ذكر مذاهب الأشاعرة والماتريدية والحنابلة، وكيف أن بعض الناس ضيقوا الأمر فكفروا المسلمين لأرائهم ومذاهبهم في الفقه والعقيدة. وشاركت في الحديث داعياً إلى أن هذه المذاهب ليست ديناً في ذاتها، ولكنها دفاع عن الإسلام بلغة العصر، فلا نتعرض لها إلا إذا دعت الحاجة إليها، ويكفيها ما في القرآن الكريم والسنة من تعليم لأسماء الله وصفاته، وأن الزهري يقول: أمروها كما جاءكم، فلم يرض الزهري وغيره من علماء السلف الخوض في تفاصيل لا تستوعبها عقول عامة الناس، وذكرت أن لا يجر بنا الاختلاف إلى النزاع، وأعدت بهذه المناسبة قصة المناظرة بين الشافعي ويونس الصدي التي نقلها الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة الإمام الشافعي، قال يونس الصدي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة.

بقي المجلس طويلاً حتى صلينا العصر في منزل الشيخ، ثم غادر معظم الضيوف، وبقيت أنا وبعض الضيوف، ثم أهدى إلي ابن الشيخ ولي الدين فرفور شرح والده لأصول الشاشي الذي صدر حديثاً، واسمه «الشافي على أصول الشاشي».

مقروءات الشيخ حسام الدين الفرفور

وقبل أن أغادر سألت الشيخ حسام الدين عن الكتب التي قرأها على والده الإمام، فذكر لي أنه قرأ عليه الكتب الستة وبعض شروحها، لاسيما فتح الباري، وعمدة القاري، وشرح الإمام النووي على صحيح مسلم، وبعض شروح سنن أبي داود، وإعلاء السنن، ومقدمته «إنهاء السكن» وحاشية ابن عابدين على الدر المختار، وفتح القدير شرح الهداية، والإتقان في علوم القرآن، وأصول البزدوي، وفواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت، وذكر أن أباه الشيخ صالح فرفور كان يشيد به إشادة بالغة.

ومما قرأه على والده: التلويح على التوضيح، وشروح المنار، والمستصفى للإمام الغزالي، وجمع الجوامع في أصول الفقه الشافعي، وقال الشيخ حسام الدين عن والده: كان محققاً في العلوم، وكان يقرأ لنا ما وراء السطور، ويربط بين الأصول والفروع، ولا يقبل كلاماً في العلم بلا دليل أو تعليل.

ومما قرأ الشيخ حسام الدين على والده: مغني اللبيب وحواشيه، وشرح الرضي على الكافية، وكان - أي والده - معتنياً به، وكتاب المقتضب للمبرد، وكانت له به عناية خاصة، والوساطة بين المتبني وخصومه، وكتاب الآمدي «الإبانة»، و«العمدة» لابن رشيقي القيرواني، والبيان والتبيين للجاحظ، والكامل للمبرد، وإحياء علوم الدين، والمنقذ من الضلال، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي، والاقتراح

للسيوطي، وله عليه شرح، وكتاب الخصائص لابن جني، والمزهر للسيوطي، والرسالة القشيرية وشرحها لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وشرح زين العلم وعين الحلم للملا علي القاري، وشرح الحكم العطائية لابن عباد، والتنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله الإسكندري، ونوادر الأصول للحكيم الترمذي، وكان لبدر الدين الحسن بن عناية بنوادر الأصول، وطبقات الأولياء لابن الملقن، وطبقات الصوفية للسلمي.

ولما استغربت كثرة قراءته على والده ذكر لي أنه كان يقرأ عليه كل يوم من بعد صلاة الفجر إلى الضحوة الكبرى.

وأوصاه والده بملازمة العلامة الكبير الشيخ إبراهيم العقبوبي، فقرأ عليه حاشية ابن عابدين، والتلويح على التوضيح، وشرح الرضي على الكافية، ومغني اللبيب، وغير ذلك.

لقاء مع طلبة الهند

ثم استأذنت الشيخ ورجعت إلى منزلي، وكان لي موعد مع الأخ نجيب حسن، وعبد الماجد الغوري بعد المغرب، فوصل الأخ عبد الماجد بعد المغرب ومعه طالب من حيدر آباد جاء مع أهله لدراسة اللغة العربية في دمشق، وأما الأخ نجيب فتأخر لأنه ذهب لزيارة الشيخ محمد ديب الكلاس، ولم يره من قبل مع أنه أقام هنا شهرًا ونصف شهر، وكان الشيخ حسام يستغرب أن يقيم رجل من أهل العلم في دمشق هذه المدة ولا يتعرف على الشيخ محمد ديب الكلاس وهو معروف بعلمه وصلاحه.

والأخ عبد الماجد بن أنور الغوري من مواليد ١٩٧٨ م في مدينة حيدرآباد، الهند، درس في دار العلوم لندوة العلماء، ثم التحق بمعهد الفتح الإسلامي في دمشق، حيث أكمل الدراسات العليا في التخصص بالحديث النبوي الشريف عم ٢٠٠٤ م، وقد استفاد أثناء دراسته في دمشق من علمائها الجلّة، من أمثال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط رحمه الله، والشيخ العلامة الدكتور نور الدين عتر حفظه الله تعالى، وعني بالتأليف والكتابة، من آثاره العلمية: معجم ما استعجم من علوم الحديث وفنونه، والوضع في الحديث، وأعلام المحدثين في الهند في القرن الرابع عشر الهجري، وأبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب، ومحمد إقبال الشاعر المفكر الفيلسوف.

بعد العشاء، لقيت بجامعة الخياط الأخ نجيب حسن ومن معه من الإخوان الندويين، وتحدث الشيخ نجيب عن مدة إقامته هنا، وكيف استغل الفرصة للاستفادة من الشيوخ وزيارة بعض المدن، وجرى الحديث عن رسالة التوحيد الذي اعتنى به أخيراً أخونا عبد الماجد الغوري فطبع بعنايته، ولم يعجب بعض الدوائر العلمية هذا الكتاب.

وصحبه من طلاب العلم:

الأخ محمد منتظر بن عبد الحفيظ، من مواليد ١٩٧٨ م من بيهار في الهند، درس في دار العلوم لندوة العلماء، ويدرس الآن في كلية الدعوة الإسلامية فرع دمشق، ويدرس مادة تجويد اللغة العربية في دورات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في مجمع الشيخ أحمد كفتارو، وأخيراً صدر له كتاب «مقدمات الشيخ أبي الحسن علي الندوي»، مع تقديم شيخنا العلامة محمد الرابع الحسني الندوي.

والأخ واجد علي الأنصاري، ولد سنة ١٩٧٧ م في كوركبور من الهند، درس

في دار العلوم لندوة العلماء، وهو الآن طالب في الدراسات العليا في قسم الدعوة بالإنجليزية في جمعية معهد الفتح الإسلامي بدمشق.

والأخوان أرشد ظهير، وسرفراز أحمد أنيس، درسا في دار العلوم لندوة العلماء، وهما طالبان في دمشق.

الأخت زينب

وزارتنا بعد المغرب الأخت زينب، وهي متخرجة من جامعة الهدى في نوتنجهام، إنكلترا، وطالبة في جامعة لندن، وتقضي فترة في دمشق لتعلم التجويد والقراءات والتدرب على اللغة العربية نطقًا وكتابة، ولها معرفة ببنتي سمية، وبقيت في المنزل ساعة أو أكثر، وتواعدت مع أهلي وبناتي أن تزور بهن الساعة الثامنة مساءً من الغد بعض الأسواق.



الكتب النادرة التي توضع لأول مرة

٢٤ جمادى الآخرة يوم السبت

الهدف الرئيسي لرحلتي هذه هو ترتيب دروس اللغة العربية والقراءة والتجويد والفقه والحديث لبناتي، ونيتي أن تكون دورة مكثفة، فيتعلمن في أقل وقت أفضل ما يستطعن، وهذا هو أكبر همي، ولكن اليوم يوم عطلة هنا، فلا يمكن ترتيب الدروس، فقررت أن أزور سوق الكتب وأشتري بعض الحوائج، واتصلت بصديقنا الفاضل وشيخنا العلامة الشيخ أبي الهدى محمد اليعقوبي فوعدني باللقاء في جامع الخياط بعد صلاة العصر، وأن أبقى معه إلى ما بعد صلاة العشاء، فكنت متفرغاً إلى العصر.

سوق الحلبوني

خرجت في الصباح مع بناتي حسنى وهالة ومريم وفاطمة إلى سوق الحلبوني، وركبنا الحافلة وتقاضى صاحبها منا خمساً وسبعين ليرة سورية، ودخلت سوق الحلبوني أمرّ بالمكتبات، فدخلت مكتبة، ورأيت فيها كتاب «الموطأ» برواية أبي مصعب الزهري في مجلدين، ووجدت السعر غالياً، وأجلت شراءه إلى وقت آخر، ودخلت مكتبة أخرى واشترت منها «الموطأ برواية يحيى الليثي» و«تحفة الفقهاء» و«شرح قطر الندى» وكتاباً للأطفال عن الوضوء.

نسخة الموطأ هذه «طبعة جديدة مصححة وفق ترقيمات العلامة محمد فؤاد عبد الباقي» اعتنى به عادل خضر، نشرته مؤسسة المعارف، بيروت سنة ١٤٢٥ هـ، قال المحقق في مقدمته وهو يشرح عمله في التحقيق: ولكون الموطأ من أوائل الكتب التي صنف في تدوين الحديث، فقد علت هممتنا إلى إخراجه وإعادة نشره وضبطه وتحقيقه، وفقاً للمنهج التالي:

١ - قدمنا الكتاب بدراسة موجزة لحياة الإمام مالك رضي الله عنه، ونسخ الموطأ المتعددة.

٢ - اعتنينا بمتن الكتاب لفظاً وضبطاً، واعتمدنا طبعه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي أصلاً في العمل.

٣ - خرجنا أحاديث الموطأ من الكتب السنة معتمدين في ذلك على مسانيد الصحابة، وتركنا تخريج ما لم يكن موجوداً في هذه الكتب، وإذا كان الحديث في الصحيحين اكتفينا به عن باقي الكتب.

٤ - شرحنا الألفاظ الغريبة التي يعسر فهمها، معتمدين في ذلك على كتب اللغة، وشروح الحديث.

٥ - ميّزنا الآيات القرآنية بوضعها بين قوسين مزهرين، ووضعناها برسم المصحف تجنباً للخطأ والزلل.

٦ - ميّزنا الأحاديث النبوية بوضعها بين قوسين.

٧ - رقمنا الأحاديث والآثار والفتاوى تبعاً لترقيم الأستاذ عبد الباقي.

٨ - وضعنا في أعلى الصفحات ترويسات تعين الباحث والقارئ على الوصول إلى مبتغاه.

والكتاب مجلد فاخر، في ٥٣٤ صفحة.

ونسخة تحفة الفقهاء مجلد في ٦٠٦ صفحة في خط دقيق، طباعة دار الفكر سنة

١٤٢٢هـ، مكتوب على واجهته «تحفة الفقهاء لعلاء الدين السمرقندي المتوفى سنة

٥٣٩هـ»، وهي أصل بدائع الصنائع للكاساني.

وكتب مدير قسم التوثيق والدراسات في دار الفكر في كلمته للتقديم وهو يشرح عمله في التحقيق: «اعتمدنا في ضبط النسخة على المطبوع القديم الموجود في حاشية «بدائع الصنائع» والمطبوع في سبعة أجزاء. الأول والثاني بمطبعة شركة المطبوعات العلمية ١٣٢٧ هـ والأجزاء من الثالث إلى السابع بالمطبعة الجمالية سنة ١٣٢٨ هـ.

كما استفدنا كثيرًا من الشرح «بدائع الصنائع» في حل إشكالات وأوهام وضبط اصطلاحات وعبارات غامضة ومشكلة».

وختم التقديم بقول العلامة عبد الحي اللكنوي: «ملك العلماء الكاساني، صاحب البدائع شرح تحفة الفقهاء، أخذ العلم عن علاء الدين محمد السمرقندي، صاحب التفحة».

ثم دخلنا عدة مكاتب حتى رأينا لائحة لمكتبة «دار القلم» فدخلت فيها، وعرفت نفسي للموظف فيها، وذكرت له أن ترجمة أبي الحسن الندوي الذي عملته لسلسلتهم «سير أعلام المسلمين» قد قرأت بروفتها، والكتاب عندي في المنزل، وأريد أن أقابل الأخ عبد الجبار ابن الأستاذ محمد علي دولة، فسألني أن أترك رقم هاتفي لديهم فتركته، ورأت بناي بعض مؤلفاتي معروضة للبيع في المكتبة ففرحت بذلك، ثم اتجهنا الى الأسواق الأخرى.

سوق الحميدية

وفي دمشق القديمة أسواق تتميز بما يعرض فيها من البضائع المحلية الصنع ذات الطابع الشرقي وخاصة الدمشقية كالموزاييك الدقيق الصنع، ونسيج البروكار المصنوع على الأنوال اليدوية، وصناعات الخشب المطعم بالصدف والزخرف، والمطرزات وأشغال الإبرة، والآنية النحاسية المنقوشة، وأشهرها سوق الحميدية،

وتعتبر من أشهر وأجمل أسواق العالم، وتبدو كمعرض دائم للفنون التقليدية، ويبدأ التنزه في هذه السوق قرب قلعة دمشق الأيوبية، وينتهي عند باب الجامع الأموي الكبير.

أنشئت سوق الحميدية في عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني وسميت باسمه، وهي قبل ذلك موقع بقي يستقطب الحركة الاجتماعية طوال تاريخ المدينة، فقبل أن تصبح موقعاً للأسواق كانت نقطة استقطاب الحياة السياسية والثقافية، فكان فيها «دار السعادة»، وهو مركز الولاية في المدينة خلال المرحلة الأيوبية والمملوكية.

دخلنا السوق من بوابته الرئيسية، ومن الممكن الدخول إلى السوق من عدة مناطق بجوار القلعة، والسوق أنيق، وترتفع محاله التجارية على ارتفاع طابقين، وطول السوق يبلغ نحو ٦٠٠ متر، وعرضه بحدود ١٥ متراً، والمتجول داخل هذا السوق يلاحظ التيجان الأثرية والأعمدة التاريخية.

ورأينا في السوق الصناعات الدمشقية التقليدية المنتشرة فيه أكثر تناغمًا وتوافقًا مع بيئته القديمة، ومما يحويه السوق محلات بيع الأغباني وهي أقمشة مصنوعة من الكتان ومطرزة بخيوط حرير وقصب، وصناعة الموزاييك الخشبية والتحف والمصنوعات الشرفية النحاسية، كما تباع فيها الأقمشة الحريرية والأجواخ والمطرزات وأدوات الزينة والملبوسات النسائية الجاهزة كالجلابيات على اختلاف أشكالها.

ووجدنا في السوق تمثيلاً عالمياً، لاسيما السائحون من دول الخليج العربي، فقد يتوافد إليه عدد كبير منهم، ومما يؤسف له أن ليس فيه سعر محدد، فأصحاب المحلات والباعة يزيدون في الأسعار للأجانب زيادة باهظة.

رجوع إلى المنزل

رجعنا من السوق بعد الساعة الواحدة، واشترينا في الطريق دجاجًا مشويًا حتى نضيفه إلى غدائنا، تغدينا واسترحنا قليلًا، وكان لي موعد مع صديقنا الفاضل الشيخ محمد أبي الهدى اليعقوبي في صلاة العصر في جامع الخياط، فذهبت إلى الجامع وصليت، وانتظرت الشيخ قليلًا فلم أره، فرجعت إلى المنزل، واتصلت بمنزله فذكر لي أنه خارج، ومع رغبتني الشديدة في لقائه لم أتمكن منه.

سوق الحمراء

وبعد صلاة المغرب خرجت زوجي وبتتي سمية مع الطالبة زينب إلى السوق لاشتراء بعض الحوائج، وخرجت أنا مع سائر البنات إلى سوق الحمراء مشيًا على الأقدام، ووصلنا بعد نصف ساعة تقريبًا إلى حديقة السوق، فجلسنا على الكراسي في الحديقة وتناولنا عصير المانجو، وكان الجو لطيفًا استمتعنا به استمتاعًا كبيرًا، ورجعنا إلى المنزل حوالي الساعة العاشرة.

* * * *

الكتاب الثاني

٢٥ جمادى الآخرة يوم الأحد

صلاة الفجر في الجامع الأموي

استيقظت في الصباح الباكر وخرجت أنا لأداء صلاة الفجر مع بناتي حسنى وسمية وهالة بالسيارة إلى الجامع الأموي في الساعة الرابعة والربع، وكان الوقت لطيفاً نشعر فيه بالنسمات الملكوتية، ودخلنا من سوق الحميدية، رأيناها بالأمس مزدحمة بالمارة ومكتظة بالمشتريين والباعة، بينما هي الآن فارغة تماماً والمحلات مغلقة، دخلنا الجامع وصلينا ركعتين للسنة، وبعد قليل أقيمت الصلاة.

درس الشيخ فواز

وبعد الصلاة تحلق الطلبة حول أحد الشيوخ، وهو الشيخ الفقيه فواز النمر، من تلامذة الشيخ عبد الرزاق الحلبي، ويقرأ كل يوم للطلبة من كتاب «فتح باب العناية شرح النقاية»، ودرس اليوم في كتاب الديات، فصل في الشجاج: في الموضحة أي خطأ نصف عشر الدية، وذكر الشيخ كيف أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغ هذه الأحكام كلها بتفصيل خلال المدة القصيرة حتى أدق الأمور.

درس الشيخ عبد الرزاق الحلبي

وبعد قليل طلع الشيخ الصالح الفقيه الحنفي عبد الرزاق الحلبي، والدرس في تفسير القرطبي، والشيخ مريض فلا يقرأ، وإنما يقرأ بعض أصحابه وكان الدرس حول الحد: الثامنة: فاجلدوا. واستمر إلى المسألة السابعة عشرة إلى قوله: ذكره أبو عمر ولم يذكر سبباً.

مدفن رأس يحيى عليه السلام

وبعد الانتهاء من الدرس زرنا مدفن رأس يحيى عليه السلام في الجامع، ورأينا في الداخل أوراقاً ونقوداً من الأموال طرحها الناس، وقرأنا هنا الفاتحة.

مدفن رأس الحسين

ثم تجولنا في حرم الجامع، حتى رأينا على يسار المصلى غرفة يقال إنها مدفن رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما.

الرجوع إلى المنزل

رجعنا إلى منزلنا مارين بقبر أبي الدرداء رضي الله عنه، وقلعة دمشق، ثم ضريح محيي الدين ابن عربي، ووصلنا إلى المنزل حوالي الساعة السادسة والنصف. استرحت قليلاً، واستيقظت في الساعة السابعة والنصف واغتسلت، وهاتفني الأخ محمد وائل الحنبلي مذكراً بالدرس عند الشيخ مرشد ابن عابدين في الساعة الثامنة والنصف، والشيخ يسكن في شارع برنية، قريب مشفى هشام سنان، فاجتمعنا هناك، وصحب الأخ الحنبلي معه الأخ محمد بن عبد الله الشعار البيروتي^(١).

الشيخ مرشد ابن عابدين

وهو شيخنا العلامة القاضي الفقيه السيد أبو الإرشاد محمد مرشد بن محمد أبي الخير بن أحمد بن عبد الغني بن عبد الرحيم بن عابدين، يلتقي نسبه الشريف بمؤلف الحاشية العلامة الفقيه محمد أمين في عبد الرحيم، الحسيني الدمشقي، ولد بدمشق سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وألف، كان بصحبة والده في بيروت حينما توفي،

(١) ستأتي ترجمته في مذكرات الثالث من رجب.

وله منه إجازة عالية بالرواية، وتلقى أكثر تعليمه الشرعي وعلوم العربية على شقيقه مفتي الجمهورية السابق الشيخ محمد أبي اليسر، وله منه إجازات عامة وخاصة في كل ما قرأ عليه من حديث وفقه وأصوله وعربية وغير ذلك، وتخرج في كلية الحقوق بجامعة دمشق، فعين قاضيًا شرعيًا، وترقى في القضاء إلى رئيس محكمة الاستئناف، ثم قاضيًا ممتازًا، ثم نائبًا لرئيس محكمة النقض، وترأس غرفتها الشرعية حتى أحيل إلى التقاعد سنة أربع وتسعين وثلاثمائة وألف. ومن تصانيفه: مرشد الحيران إلى بحوث القرآن، والدر الثمين في نسب السادة الطاهرين، والمستظرف من النوادر والقصص والحكايات والحكم. كتب إليّ بالحديث المسلسل بالأولية عن أبيه وأخيه، وأجاز لي إجازة عامة في الثاني من صفر سنة عشرين وأربعمئة وألف.

وكنت مسرورًا جدًا أن أسعد بقاء هذا الشيخ الفقيه المسند المعمر، وأخذ عنه مشافهة، دخلنا عليه في الساعة الثامنة والنصف، والدرس اليوم من كتاب الدر المختار «ويصح أيضًا بتحرير لوجه الله» إلى باب عتق البعض. ثم كان درس آخر من كتاب «إفاضة الأنوار على أصول المنار» لمحمد علاء الدين بن علي الحصكفي الحنفي المتوفى بدمشق سنة ١٠٨٨ هـ، وكان الدرس اليوم من شرط القياس فشروطه أربعة، إلى نهاية هذا البحث.

وفي نهاية الدرس ذكر الأخ محمد وائل للشيخ أن لي منه إجازة، فسر بذلك، ثم سألت الشيخ: هل هنالك كتاب عن تاريخ آل عابدين، فقال: ليس هنا شيء إلا كتابه «الدر الثمين في نسب السادة الطاهرين»، فأهداه إليّ مع الإجازة العامة، ومعه شجرة آل عابدين، كما أهداه للأخ الشعار، وأمر أن يكتب له عليه بمثل ما أمر لي.

أخبرنا أبو الإرشاد محمد مرشد ابن عابدين، أخبرنا والدي أبو الخير ابن عابدين، أخبرنا أحمد مسلم بن عبد الرحمن الكزبري، أنا عبد الرحمن الكزبري، أنا

مصطفى الرحمتي، أنا عبد الغني النابلسي، أنا نجم الدين محمد الغزي، أنا والدي بدر الدين محمد الغزي، أنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، أنا محمد بن مقبل الحلبي، أنا الصلاح ابن أبي عمر المقدسي، أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي، أخبرنا أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرّج الرصافي، أخبرنا الرئيس أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيباني، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن المذهب التميمي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي، حدثنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا إسماعيل، حدثنا ابن إسحاق - يعني عبد الرحمن -، عن الزهري، عن محمد بن جبير، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: شهدت غلامًا مع عمومتي حلف المطيبين، فما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكته.

وبه حدثني أبي، حدثنا بشر بن المفضل، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف، عن النبي ﷺ قال: شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكته. قال الزهري: قال رسول الله ﷺ: لم يصب الإسلام حلفًا إلا زاده شدة، ولا حلف في الإسلام. وقد ألف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار.

الشيخ نزار الخطيب

ثم زرنا ثلاثتنا الشيخ نزار الخطيب، وهو من مواليد سنة ١٩٣١ م، ومن شيوخه العلامة الفقيه المسند أبو اليسر ابن عابدين، والشيخ العلامة محمد صالح فرفور، والشيخ المحدث المسند صالح الخطيب، والعلامة الشريف إبراهيم اليعقوبي.

ولديه من الأولين إجازة خطية، وهو الآن إمام وخطيب بالجامع الأموي، وقد رجع من العمرة، فقدّم إلينا ماء زمزم وشيئاً من القهوة. وذكر أنه نشأ في حلقة الشيخ محمد صالح فرفور، وأخذ عنه النحو والبلاغة والحديث ومصطلح الحديث، والتفسير، والأحوال الشخصية، وكثيراً من حاشية ابن عابدين، وذكر أنه قرأ الحاشية على أبي اليسر ابن عابدين إلا قليلاً منه، فأتمه على الشيخ محمد ديب الكلاس، وقيد مطالب كل جزء في بدايته، وذكر أنه يتولى إمامة الجامع الأموي منذ سبع سنوات، والإمامة مستمرة في بيت الخطيب منذ مئتي سنة، وذكر أنه عمل ستاً وأربعين حجة.

إجازة

استجزناه فأجازنا إجازة عامة.

أخبرنا الشيخ نزار الخطيب، أنا محمد صالح الخطيب، أنا محمد هاشم الخطيب، أنا أبو النصر الخطيب، أنا عبد الرحمن الكزبري، أنا مصطفى الرحمتي، أنا عبد الغني النابلسي، أنا النجم محمد الغزي، أنا والدي بدر الدين الغزي، أنا القاضي زكريا الأنصاري، أنا العز عبد الرحيم ابن الفرات الحنفي، أنا ابن أميلة، أنا أبو الحسن علي ابن البخاري، أنا ابن طبرزد، أخبرنا أبو البدر الكرخي، أخبرنا أبو بكر الخطيب، أخبرنا أبو عمر الهاشمي، أخبرنا أبو علي اللؤلؤي، أخبرنا أبو داود، حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا جعفر بن سليمان، عن عوف، عن أبي رجاء، عن عمران بن حصين قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه، ثم جلس فقال النبي ﷺ: عشر، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه، فجلس فقال: عشرون، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه فجلس، وقال: ثلاثون.

وبه قال بدر الدين الغزي: أخبرنا أبو الفتح الإسكندري، أنا عائشة بنت عبد الهادي، أنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب، أخبرنا عبد الله بن عمر، أخبرنا عبد الأول بن عيسى، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا عبد الله بن أحمد، أخبرنا عيسى بن عمر السمرقندي، أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن الحافظ، أخبرنا محمد بن كثير، فذكره بنحوه.

أخرجه أبو عبد الرحمن النسائي عن أبي داود عن محمد بن كثير، وأخرجه أبو عيسى في جامعه عن الحافظ عبد الله الدارمي، فوافقاهما بعلو.

الشيخ محمد ديب الكلاس

ثم زرنا ثلاثتنا أيضًا الشيخ محمد ديب الكلاس في منزله في شارع خرشيد من حي المهاجرين بسفح جبل قاسيون في الساعة العاشرة والنصف صباحًا، وهو العلامة الفقيه محمد ديب بن أحمد الكلاس، أحد الفقهاء المشهورين ببلاد الشام، يروي عن محمد أبي اليسر عابدين، ومحمد صالح الفرفوري، ومحمد صالح الخطيب.

سماع ثلاثيات الطبراني عليه

قرأ عليه الأخ محمد الشعار ثلاثيات الإمام الطبراني:

الحديث الأول: أخبرنا الشيخ محمد ديب الكلاس، أنا العلامة محمد صالح فرفور، أنا العلامة بدر الدين الحسني، أنا إبراهيم السقا، أنا ثعلب الضرير، أنا الشهابان أحمد بن الحسين الجوهرى وأحمد بن عبد الفتاح الملوي، أنا عبد الله بن سالم البصري، أنا محمد بن العلاء البابلي، أنا الشمس محمد الرملي، أنا القاضي زكريا الأنصاري، أنا العز عبد الرحيم ابن الفرات الحنفي، أنا الصلاح محمد بن أحمد بن أبي عمر المقدسي، أن أبا الحسن علي بن أحمد ابن البخاري أخبره، عن أبي القاسم عبد الواحد بن القاسم الصيدلاني، أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله الجوزذانية

وأبو الفضل جعفر بن عبد الواحد الثقفي سماعًا عليهما، قالاً: أخبرنا أبو بكر ابن ريدة، أنا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، حدثنا عبيد الله بن رماحس القيسي سنة أربع وسبعين ومئتين، حدثنا أبو عمرو زياد بن طارق، وكان قد أتت عليه مئة وعشرون سنة، قال: سمعت أبا جرول زهير بن صرد الجشمي يقول: لما أسرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حنين يوم هوازن، وذهب يفرق السبي والشاء، فأتيته، فأنشأت أقول:

امن علينا رسول الله في كرم	فإنك المرء نرجوه وننتظر
امن على بيضة قد عاقها قدر	مشيت شملها في دهرها غير
أبقيت لنا الدهر هتافاً على حزن	على قلوبهم الغماء والغمر
إن لم تداركهم نعماء تنشرها	يا أرجح الناس حلماً حين يختبر
امن على نسوة قد كنت ترضعها	إذ فوك يملؤه من محضها الدرر
إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها	وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعماته	واستبق منا فإننا معشر زهر
إننا لنشكر للنعماء إذ كفرت	وعندنا بعد هذا اليوم مدّخر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه	من أمهاتك إن العفو مشتهر
يا خير من مرحت كُمت الجياد به	عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
إننا نؤمل عفواً منك تلبسه	هذي البرية إذ تعفو وتنتصر
فاعف عفا الله عما أنت راهبه	يوم القيامة إذ يهدي لك الظفر

قال: فلما سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الشعر، قال: ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وقالت قريش: ما كان لنا فهو لله ولرسوله، وقالت الأنصار: ما كان لنا فهو لله ولرسوله.

شهر ذي قعدة سنة ست عشرة وثمانمئة، قال: أخبرنا أبو الحرم محمد بن محمد القلانسي إجازة، قال: أخبرتنا مؤنسة ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب، قالت: أنا أسعد بن سعيد بن روح إجازة من أصبهان، قال: أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية، قالت: أنا محمد بن عبد الله ابن ريدة، قال: أنا أبو القاسم الطبراني، قال: نا عبيد الله بن رماحس القيسي برمادة الرملة سنة أربع وسبعين ومئتين، قال: نا أبو عمرو زياد بن طارق، وكان قد أتت عليه مئة وعشرون سنة، قال: سمعت أبا جبرول زهير بن صرد الجشمي يقول: لما أسرنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حنين يوم هوازن، وذهب يفرق السبي والشاء، أتيته، فأنشأت أقول هذا الشعر:

امنن علينا رسول الله في كرم	فإنك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر	مشت شملها في دهرها غير
أبقت لنا الدهر هتافاً على حزن	على قلوبهم الغماء والغمر
إن لم تداركهم نعماء تنشرها	يا أرجح الناس حلماً حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها	إذ فوك يملؤه من محضها الدرر
إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها	وإذ يزيناك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعماته	واستبق منا فإننا معشر زهر
إننا لنشكر للنعماء إذ كفرت	وعندنا بعد هذا اليوم مدّخر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه	من أمهاتك إن العفو مشتهر
يا خير من مرحت كُمت الجياد به	عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
إننا نؤمل عفواً منك تلبسه	هذي البرية إذ تعفو وتنتصر
فاعف عفا الله عما أنت راهبه	يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما كان لبني عبد المطلب فهو لكم، وقالت قريش: ما كان لنا فهو لله ولرسوله، وقالت الأنصار: ما كان لنا فهو لله ولرسوله.

قال الطبراني: لم يرو عن زهير بن صرد بهذا التمام إلا بهذا الإسناد، تفرد به عبيد الله بن رماحس، قال الإمام أبو زيد: قال شيخنا أبو زرعة: هذا حديث عالٍ تساعي الإسناد، وهو أعلى ما وقع لنا، ولا بأس بإسناده، فإنه ليس فيه متهم بالكذب، وقد أخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه المختار من الأحاديث مما ليس في الصحيحين أو أحدهما، وقد رواه عن عبيد الله بن رماحس جماعة من الثقات، وفي طرقهم كلهم التصريح بسماع زياد بن طارق له من زهير بن صرد^(١).

قال الذهبي في ترجمة عبيد الله بن رماحس^(٢): كان معمرًا، ما رأيت للمتقدمين فيه جرحًا، وما هو معتمد عليه، ثم رأيت الحديث الذي رواه له علة قاذحة، قال أبو عمر ابن عبد البر في شعر زهير: رواه عبيد الله بن رماحس، عن زياد بن طارق، عن زياد بن صرد بن زهير، عن أبيه، عن جدّه زهير بن صرد، فعمد عبيد الله إلى الإسناد، وأسقط رجلين منه، وما قنع بذلك حتى صرح بأن زياد بن طارق قال: حدّثني زهير، هكذا هو في معجم الطبراني وغيره بإسقاط اثنين من سنده.

قال أبو زرعة العراقي: لا يجوز نسبة عبيد الله بن رماحس إلى ذلك، إلا أن يثبت جرحه، وقد روى عنه الطبراني وأبو سعيد ابن الأعرابي وغيرهما من الحفاظ، ولو عرفوا فيه جرحًا لبينوه، وكيف يجرحه من لا عاصره مع كون أهل عصره لم يجرحوه، وقد اعترف الذهبي بأنه لم ير للمتقدمين فيه جرحًا^(٣).

(١) أبو جعفر أحمد البلوي: الثبت (ص ٢٩٥-٣٠٠).

(٢) ميزان الاعتدال (٧/٨-٧).

(٣) أبو جعفر أحمد البلوي: الثبت (ص ٣٠٠).

الحديث الثاني: وأخبرنا الشيخ محمد ديب الكلاس بإسناده السابق إلى الطبراني، حدّثنا محمد بن أحمد بن يزيد القصاص، حدّثنا دينار بن عبد الله مولى أنس، حدّثني أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: طوبى لمن رآني وآمن بي، ومن رأى من رأي، ومن رأى من رأى من رأي.

الحديث الثالث: وأخبرنا الشيخ محمد ديب الكلاس بإسناده إلى الطبراني، حدّثنا جعفر بن حميد بن عبد الكريم بن فروخ بن بلال بن سعد الأنصاري الدمشقي، قال: حدّثني جدي لأمي عمر بن أبان بن مفضل المدني، قال: أراي أنس بن مالك الوضوء، أخذ ركوة فوضعها على يساره، وصب على يده اليمنى فغسلها ثلاثاً، ثم أدار الركوة على يده اليمنى فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً، ومسح برأسه ثلاثاً ثلاثاً، وأخذ ماء جديداً لسماخه، فمسح سماخه، فقلت له: قد مسحت أذنيك، فقال: يا غلام، إنهما من الرأس، ليس هما من الوجه، ثم قال: يا غلام، هل رأيت أو فهمت، أو أعيد عليك؟ فقلت: قد كفاني وفهمت، قال: هكذا رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وأخرجه الحافظ العراقي عن المحدث المفيد أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم بن إسماعيل بن مظفر الفارقي، قال: أخبرنا الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدميّطي، قال: أخبرنا أبو المظفر صقر بن يحيى بن صقر الحلبي -واللفظ له- وإبراهيم بن خليل بن عبد الله الدمشقي ومحمد بن إسماعيل بن أحمد المقدسي، قالوا: أخبرنا أبو الفرج يحيى بن محمود الثقفي، قال: أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية، قالت: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن ريذه، فذكر مثله^(١).

قال العراقي: هذا حديث غريب، أخرجه الطبراني هكذا في معجمه الصغير

(١) الحافظ أبو الفضل العراقي: كتاب الأربعين العشاريات (ص ٢٢٦).

والأوسط، وأورده الحافظ أبو عبد الله الذهبي في الميزان في ترجمة جعفر بن حميد، وقال: تفرّد عنه الطبراني، قال: وعمر بن أبان لا يُدرى من هو، والحديث ثمانى لنا على ضعفه^(١).

قال العراقي: وقد وقع لنا أيضًا تساعيًا: أخبرني به أبو الحرم محمد بن محمد بن أبي الحرم القلانسي ومحمد بن أبي القاسم بن إسماعيل الفارقي بقراءتي عليهما، قالوا: أخبرتنا مؤنسة بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب قراءة عليهما ونحن نسمع، قالت: أخبرنا المشايخ الأربعة أسعد بن سعيد بن روح وأبو سعد أحمد بن محمد بن نصر وعفيفة بنت أحمد الفارفانية وعائشة بنت معمر بن عبد الواحد بن الفاخر إجازةً منهم، قالوا: أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية قراءة عليها - قالت عائشة: وأنا حاضرة، وقال الباقر: ونحن نسمع -، قالت: أخبرنا ابن ريزه، قال: أخبرنا الطبراني^(٢).

سماع «المواضع التي يكون الوقف عليها كفرًا» عليه

ثم قرأ الأخ الشيخ محمد وائل الحنبلي عليه رسالة «المواضع التي يكون الوقف عليها كفرًا» للإمام أبي منصور الماتريدي كان قد أتى بها معه الأخ الشيخ محمد الشعار:

أخبرنا شيخنا محمد ديب الكلاس سماعًا عليه بإسناده إلى علم الهدى الإمام أبي منصور الماتريدي رحمه الله تعالى، قال: فيما لا يجوز الوقف عليه، إن عرف وتعمد ووقف كفر قطعًا عند الأئمة الأربعة، وإن لم يعرف أثم لتركه التعلم، والله على

(١) الحافظ أبو الفضل العراقي: كتاب الأربعين العشاريات (ص ٢٢٧).

(٢) الحافظ أبو الفضل العراقي: كتاب الأربعين العشاريات (ص ٢٢٧-٢٢٨).

ما نقول وكيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وهو ثمانية وخمسون موضعًا باتفاق القراء رحمهم الله تعالى.

الأول: في الفاتحة ﴿صِرْطَ الَّذِينَ﴾، كفر.

وفي البقرة: ﴿مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا﴾، كفر.

وفي آل عمران: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ وما، كفر؛ وفيها: ﴿رَبَّنَا مَا﴾، كفر، ثم الابتداء بالذي بعده كفر، وفيها: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا﴾، كفر.

وفي النساء: ﴿سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾، كفر.

وفي المائدة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾، كفر، وفيها: ﴿وَالنَّصَارَى﴾، كفر، وفيها: ﴿وما لنا﴾، كفر، وفيها: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾، كفر، وفيها: ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾، كفر.

وفي الأنعام: ﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ يَكُونَ﴾، كفر، وفيها: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا﴾، كفر.

وفي التوبة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾، كفر، وفيها: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى﴾، كفر.

وفي يونس: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا﴾، كفر، وفي هود: ﴿قُلْ لَا﴾، كفر، وابتداءً ﴿أَقُولُ لَكُمْ﴾، كفر، ﴿عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، كفر، وفيها: ﴿خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا﴾، كفر، وابتداءً: ﴿أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾، وفيها: ﴿وَلَا أَقُولُ﴾ كفر، وابتداءً ﴿إِنِّي مَلَكٌ﴾، كفر.

وفي الرعد: ﴿نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾، كفر، وفيها: قل هل، كفر.

وفي إبراهيم: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُصْرِخٍ﴾، كفر.

وفي الحجر: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾، كفر.

وفي النحل: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَذُوا﴾، كفر.

وفي سورة بني إسرائيل: ﴿أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ﴾، كفر.

وفي الكهف: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾، كفر.

وفي طه: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا﴾، كفر، وفيها: إله إلا أنا، كفر.

وفي الأنبياء: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾، كفر.

وفي النور: ﴿شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا﴾، كفر، ثم يبتدئ ﴿شَرْقِيَّةٍ﴾.

وفي الفرقان: ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا﴾، كفر.

وفي الشعراء: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾، كفر.

وفي القصص: ﴿يَهْمَنُ﴾، كفر.

وفي يس: ﴿مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا﴾، كفر.

وفي الصافات: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهم لَيَقُولُونَ﴾، كفر.

وفي ص: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾، كفر.

وفي الزمر: ﴿مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾، كفر.

وفي المؤمن: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَزَ وَفَرُّوا فَقَالُوا﴾، كفر، وفيها: ﴿تَدْعُونِي﴾،

كفر، وفيها: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾، كفر.

وفي فصلت: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ﴾، كفر.

وفي الطور: ﴿يَنْشَرُونَ﴾، كفر، وفيها: ﴿كَأَسَا لَا﴾، كفر.

وفي الحشر: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ﴾، كفر.

وفي النازعات: ﴿فَنَادَى فَقَالَ﴾، كفر، ويبتدئ ﴿أَنَا رَبُّكُمْ﴾.

وفي الضحى: ﴿وَالَيْلِ إِذَا سَجَى مَا﴾، كفر.

وفي الماعون: ﴿وَيَمْنَعُونَ﴾، كفر، ثم يبتدئ ﴿الْمَاعُونَ﴾، فيكون الابتداء بالنون.

وفي الكافرون: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ لَا﴾، كفر، وابتدئ أعبد، وفيها: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، كفر، وابتدئ ﴿أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾.

وفي الإخلاص: ﴿وَلَمْ يَكُنْ﴾، كفر، ثم ابتدئ (له كفوا أحد). والله أعلم.

إجازة الشيخ

وسألت الشيخ أن أقرأ عليه كل يوم «تحفة الفقهاء» للسمرقندي، فوافق مشكوراً، ثم أعطاني والأخ الشعار إجازته المطبوعة مختومة موقعاً عليها، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فلما كان الإسناد من الدين، ومن خصائص أمة سيد المرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طلب مني محمد أكرم بن حافظ تجمل الندوي أن أجزه في العلوم الشرعية والعربية وبما أجازني به شيوخه ليتصل علمه بإسناد صحيح بسيد الخلق سيدنا ومولانا محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتوكلت على الله وأجبت به إلى طلبه سائلاً المولى عز وجل أن ينفع به المسلمين، وأن يجعله من العلماء العالمين بمنه وكرمه.

فأقول: قد أجزت الأخ المذكور بجميع مسموعاتي ومقروءاتي ومروياتي وما أجازني به شيوخه الكرام رحمهم الله، ورضي عنهم بشرط الإجازة المقرر المعتمد عند العلماء.

وقد أجازني شيخنا العلامة الطبيب الشيخ محمد أبو اليسر عابدين رحمه الله تعالى، وقرأت عليه جل حاشية ابن عابدين، وهو يروي عن والده مفتي الشام الشيخ محمد أبي الخير عابدين، عن أبيه الشيخ أحمد بن عبد الغني عابدين، عن عمه العلامة محرر المذهب الحنفي الشيخ محمد أمين بن عمر عابدين بما في ثبته المشهور «عقود اللآلي في الأسانيد العوالي» وبسنده في الفقه الحنفي المذكور في مقدمة حاشيته «رد المحتار على الدر المختار».

وأجازني شيخنا العلامة المربي الشيخ محمد صالح بن عبد الله الفرفوري رحمه الله تعالى رحمة واسعة، فقد أكرمني الله بقراءة جل العلوم عليه، والتخرج على يديه، وأجازني إجازة عامة في المعقول والمنقول والفروع والأصول كما أجازة شيوخه الأعلام، كالعلامة المحدث الأكبر الشيخ محمد بدر الدين الحسني، والعلامة الفقيه الأصولي الشيخ صالح بن أسعد الحمصي، والعلامة المحدث السيد الشريف محمد بن جعفر الكتاني، وغيرهم بأسانيدهم.

وأجازني العلامة الجليل المسند الشيخ محمد صالح بن أحمد الخطيب الحسني رحمه الله بما في ثبته «الدرر الغالية في رواية الأسانيد الدمشقية العالية».

وأجازني شيخنا علامة الشام الشيخ عبد الرزاق بن حسن الحلبي حفظه الله تعالى بأسانيده.

وفي الختام أوصي المجاز المذكور بالتزام طاعة الله عز وجل في السر والعلانية، واتباع مذهب أهل السنة والجماعة المتمثل بالأشاعرة والماتريدية، والفقه الممثل بمذاهب الأئمة الأربعة: المذهب الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي الثابت عن الإمام أحمد بن حنبل، وأوصيه أيضًا بمتابعة التعلم والتعليم وعدم الخروج عن الشريعة، وألا ينساني من دعواته الصالحة في ظهر الغيب. دمشق الشام

٢٥ جمادى الآخرة ١٤٢٦ هـ الفقير إلى الله تعالى، خادماً العلم الشريف محمد ديب بن أحمد الكلاس.

مدرسة جامع الخياط

رجعت إلى المنزل حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف واسترحت قليلاً، ثم خرجت لصلاة الظهر، وبعد الصلاة خرجت لاشتراء بعض الحوائج للبيت، ومكثت في البيت إلى العصر، وصليت العصر في جامع الخياط، وفيه كل يوم الأحد والثلاثاء والخميس مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم من الساعة الخامسة إلى السابعة. فسألت شيخ الجامع أن يأذن لبنتي مريم وفاطمة أن تلتحقا بقسم البنات من المدرسة، فأذن، فبدأت الدراسة.

درس الشيخ عبد الرزاق

وخرجت في الساعة السابعة والنصف مساءً لحضور درس الشيخ عبد الرزاق الحلبي في صحيح مسلم وشرحه للنووي، وصلت إلى الجامع الأموي قبل بداية الدرس، وكان الدرس حديث أم زرع من قول الإمام النووي في الشرح: قالت الثامنة. إلى آخر فضائل فاطمة رضي الله عنها من المتن.

أخبرنا الشيخ الصالح عبد الرزاق الحلبي، أنا أبو اليسر ابن عابدين، أنا أبي محمد أبو الخير ابن عابدين، أنا أبي أحمد بن عبد الغني ابن عابدين، أنا عمي محمد أمين ابن عابدين، أنا هبة الله بن محمد البعلي، أنا أحمد بن عبد الفتاح الملوي بإسناده إلى الحافظ جلال الدين السيوطي، أنا محمد بن مقبل، أنا الصلاح ابن أبي عمر المقدسي، أنا الفخر أبو الحسن ابن البخاري، أنا المؤيد بن محمد الطوسي، أنا فقيه الحرم أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي، أنا أبو الحسين عبد الغافر بن محمد

الفارسي، أنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان عن الإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، قال: حدثنا علي بن حجر السعدي وأحمد بن جناب، كلاهما عن عيسى واللفظ لابن حجر، حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا هشام بن عروة، عن أخيه عبدالله بن عروة، عن عروة، عن عائشة أنها قالت: جلس إحدى عشرة امرأة، فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً.

قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث، على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل.

قالت الثانية: زوجي لا أث خبره، إني أخاف أن لا أذره، إن أذكره أذكر عجره وبجره.

قالت الثالثة: زوجي العشنق، إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق.

قالت الرابعة: زوجي قليل تهامة، لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سامة.

قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد.

قالت السادسة: زوجي إن أكل لف، وإن شرب اشتف، وإن اضطجع التف، ولا يولج الكف ليعلم البث.

قالت السابعة: زوجي غياياء -أو عياياء- طباقاء، كل داء له داء، شجك أو فلك، أو جمع كلاً لك.

قالت الثامنة: زوجي الريح ريح زرنب، والمس مس أرنب.

قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من النادي.

قالت العاشرة: زوجي مالك، وما مالك؟ مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك، قليلات المسارح، إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك.

قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع فما أبو زرع؟ أناس من حلي أذني، وملاً من شحم عضدي، وبجحني فبجحت إلي نفسي، وجدني في أهل غنيمة بشق فجعلني في أهل سهيل وأطيط، ودائس ومنق، فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبح، وأشرب فأتقنح. أم أبي زرع فما أم أبي زرع؟ عكومها رداح، وبيتها فساح. ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع؟ مضجعه كمسل شطبة، ويشبعه ذراع الجفرة. بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع؟ طوع أبيها وطوع أمها، وملء كسائها، وغيظ جارتها. جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع؟ لا تبث حديثنا تبثيثاً، ولا تنقث ميرتنا تنقيثاً، ولا تملأ بيتنا تعشيشاً. قالت: خرج أبو زرع والأوطاب تمخض، فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين، يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فطلقني ونكحها، فنكحت بعده رجلاً سرياً، ركب شرياً، وأخذ خطياً، وأراح علي نعماً ثرياً، وأعطاني من كل رائحة زوجاً، قال: كلي أم زرع وميري أهلك، فلو جمعت كل شيء أعطاني ما بلغ أصغر آنية أبي زرع. قالت عائشة: قال لي رسول الله ﷺ «كنت لك كأبي زرع لأم زرع».

مع طلبة الهند

وبعد الدرس رجعت إلى المنزل، حيث استقبلت بعض طلاب ندوة العلماء، وتحدثنا عن أمور مختلفة من المنهاج الدراسي ونظام التربية والتعليم في دمشق.



٢٦ جمادى الآخرة يوم الاثنين

اليوم درسي الأول لكتاب تحفة الفقهاء على الشيخ محمد ديب الكلاس، فاستعددت للدرس ورأيت إذا قرأت من نسختي كل يوم ثلاثين صفحة أنهيت الكتاب خلال شهر، وخرجت نحو منزل الشيخ مشياً على القدمين هابطاً وصاعدًا على الطريق الجبلي، ووصلت إلى منزله قبل العاشرة والنصف، فدققت الباب مرتين، وبعد قليل استقبلني أحد أبناء الشيخ، ولعله ليس من العلماء، وأخبر أن الشيخ نائم، فقلت: إن الشيخ وعدني أن أقرأ عليه كل يوم في الساعة العاشرة والنصف كتاب «تحفة الفقهاء»، فقال: إن الشيخ مريض، والمريض لا وعد له، وأنا لا أوقظه. فانتظرت قليلاً ثم رجعت إلى منزلي، وقد أهتمني أن لا أقرأ على الشيخ في أول يوم تواعدت معه، ولعله أعلى من أعرف إسنادًا في الفقه الحنفي، وأكثرهم إتقانًا، فعدت إلى منزلي أدعو الله سبحانه تعالى أن يوفقني للقراءة على الشيخ في المستقبل.

شهود جنازة

بقيت في البيت إلى الساعة الثانية عشرة والنصف، ثم اتجهت إلى مسجد الحي جامع الخياط، ورأيت وجوهاً جديدة في المسجد، فظننت لعل هناك زيارة لبعض الشيوخ، وصليت السنة، ورأيت الناس مزدحمين على الباب، فاتجهت فرأيت جنازة تدخل المسجد، ورأيت جموع الناس تتكاثر، وأرى صديقنا العلامة الشيخ أبا الهدى محمدًا اليعقوبي يصلي بالناس الجنازة، ففرحت بوجوده، وبعد الصلاة تقابلنا وتعانقنا، وقال لي الشيخ: إنه حاول أن يتصل بي قبل الصلاة ليؤكد لي وجوده هنا.

خرجنا نتبع الجنازة، واستغربت أن هنالك رفع صوت مع الحنازة بالتعريف باسم الميت ونسبه، والدعاء له، وذكروا أنه حفيد السيد محمد الهاشمي شيخ الطريقة الشاذلية، ومن غريب ما لاحظته هو خطاب بعد صلاة الجنازة من قبل بعض المشايخ يرثي الميت ويدعو له مخاطبًا للناس.

لما اقتربنا من المقبرة رأينا كتبًا يوزع على الناس فيه سورة يس وغيرها من سور القرآن الكريم وبعض الأدعية، فأخذت واحدًا، وأخذت عملية الدفن وقتًا طويلًا جدًّا، وبعد الدفن دعا الشيخ اليعقوبي بأدعية طويلة وقرأ الناس سورة يس وغيرها من السور.

بعد ذلك خرجنا من المقبرة، فتقرب إلى الشيخ اليعقوبي بعض أقارب الشيخ عبد الرحمن الشاغوري المتوفى قريبًا رحمه الله تعالى، فسأله أن يزور قبره ويدعو له، فزرنّا قبره في مقبرة بسفح جبل قاسيون، ودعونا له.

وكان الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن مصطفى بن عبد الرحمن عابدين الشهير بالشاغوري من كبار العلماء والمشايخ، وشيخ الطريقة الشاذلية الدرقاوية في دمشق والقائم في مقام الشيخ محمد الهاشمي، وهو أحد من جمع العلم والتصوف، مع تبحر في علم التوحيد وتمكن من علوم العربية، إلى جانب أنه شاعر وأديب.

وقد نفع الله تعالى به وانتشر طلابه في عدد من بلدان أوروبا وأمريكا يدعون إلى الله تعالى، هو شيخ الطريقة الشاذلية الدرقاوية الهاشمية، عالم عامل، مرب بحاله وقاله، تخرج به الكثير من الطلبة وأقرأ العديد من الكتب في الفقه والتفسير والحديث والتصوف والتوحيد والنحو والصرف والبلاغة والمنطق وغيرها. وهدى الله به تعالى

كثيراً وسلك على يديه آلاف المريدين، يأمرهم بالتزام الشريعة واتباع السنة وطلب العلم والعمل به.

ولد سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٢م في مدينة حمص، وهو حسيني من آل البيت النبوي الشريف.

توفي أبواه وهو صغير، فنشأ في حجر أخيه الأكبر سيدي محمد الذي انتقل بالأسرة إلى دمشق سنة ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م.

وقد تربى الشيخ منذ طفولته في حلق الذكر، فكان يتردد على شيخ الطريقة الرفاعية في حمص الشيخ يوسف جندل. ثم لازم في دمشق الشيخ عمر الحمصي شيخ الطريقة البدوية، وكان من رفقاءه وإخوانه عند الشيخ آنذاك الشيخ حسن حبنكة والشيخ طالب هيكل. وأخذ الطريقة التيجانية عن الشيخ عطا الغبرة. ورأى في تلك الأيام سيدي محمد ابن يلس واجتمع به.

تلقى علومه عن أكابر عصره، فقد حضر الدروس العامة للمحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني، ومحدث المغرب سيدي محمد بن جعفر الكتاني، والشيخ علي الدقر. وقرأ على علامة المنقول والمعقول الشيخ أمين سويد في شرح الحكم العطائية، وحضر في البخاري على الشيخ توفيق الأيوبي، وأتمه بعد وفاته على السيد مكي الكتاني.

وقرأ على العلامة الزاهد عبد القادر الدكالي في علم التوحيد، وعلى الشيخ محمد أبي الخير الميداني في الفرائض والمواريث، وعلى الشيخ صالح العقاد في الفقه الشافعي، وعلى الشيخ أحمد الدقر والشيخ لطفي الفيومي والشيخ علي سليق في النحو. وأجازه الشيخ محمد خالد الأنصاري الحمصي وغيره من أشياخه. لكن بدايته في الطلب كانت عند الشيخ حسني بن بكري البغال (توفي شاباً سنة

١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م)، فقد قرأ عليه في جامع عز الدين بمحلة باب سريجة علوم العربية والفقه الشافعي والتفسير وحفظ بعض المتون.

وكان من رفقائه في الطلب عنده الشيخ محمود الحبال والشيخ عبد الحميد الدقر والشيخ سليمان الحجازي والشيخ محيي الدين الكردي والشيخ جميل الخوام والشيخ بشير كروما.

وفي هذه المرحلة تعرف بسيدي محمد الهاشمي، دله عليه واصطحبه لزيارته شيخه الشيخ حسني البغال رحمه الله، فتعلق به وصحبه ولازمه إلى وفاته. تلقى الشيخ علوم التوحيد والتصوف ذوقاً وحالاً وسلوكاً ومقالاً عن شيخه سيدي محمد الهاشمي رحمه الله تعالى شيخ الطريقة الشاذلية الدرقاوية العلية في بلاد الشام، وكان يقرأ العبارة في درس الشيخ. صحبه ملازمًا له في دروسه ومجالسه ثلاثين عامًا، وأجازه شفاهاً بالورد العام بالطريقة الشاذلية، وأدخله الخلوة وقد قال فيه: «سيدي عبد الرحمن يصلح للإرشاد والطريق»، شهد على ذلك الشيخ عبد الوكيل الدروبي رحمه الله وغيره.

وأجازه نقيب الأشراف بدمشق الشيخ سعيد الحمزاوي بما أجازه شيخه الهاشمي إجازة خطية بالأوراد العامة والخاصة، وأذن له بالإرشاد والتسليك. وأجازه الشيخ سعيد الكردي، كما أجازه سيدي الشيخ علي بن محمد البودليمي خليفة سيدي الشيخ أحمد بن عليوه في تلمسان بما أجازه به شيخه ابن عليوه من الأوراد العامة والخاصة، وذلك مشافهة في جامع الدرويشية على ملأ من أهل العلم والفضل، وأذن له بالإرشاد والتسليك، وقد قام بذلك على خير وجه.

بدأ الشيخ منذ صباه نظم القصائد في المعرفة الإلهية وأحوال السالكين إلى الله، وفي مدح الحضرة المحمدية، وقرأ الكثير منها على شيخه سيدي محمد الهاشمي

ولم يأذن له بتضمين اسمه في بيت منها إيثارًا للخفاء وبعدًا عن الشهرة والظهور، كما يقول سيدي ابن عطاء الله: «ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه»، وقال له الشيخ عندما سمع منه قصيدته رفعت أستار البين: «من يسمعها يظنها للشيخ الأكبر»، يعني سلطان العارفين سيدي محيي الدين ابن العربي قدس الله سره.

ومن قرأ أشعار أولئك العارفين كابن العربي وأبي مدين وابن الفارض ثم قرأ شعر الشيخ رأى هذا وذاك يخرج من مشكاة واحدة. وللشيخ أشعار وقصائد في شتى فنون الشعر وأبوابه، من الرثاء إلى الألغاز، فقد رثى عددًا من العلماء بقصائد طنانة جارى فيها كبار الشعراء في العصر الحديث.

جاهد الشيخ ضد الفرنسيين أيام الاحتلال، وشارك في الثورة السورية وهو دون العشرين، وله قصيدة عصماء في الثورة والإضراب ألقاها على مدرج جامعة دمشق أمام أعضاء الحكومة عام ١٩٤٥ م.

تسلم الخطابة في عدد من مساجد دمشق، آخرها جامع الخياط في حي المهاجرين قرب داره العامة.

قدوة أهل العصر، ومعتقد الناس، لما عرف به من استقامة وتواضع وصبر وحلم، وكانت له عناية شديدة بالسنن النبوية وآداب الشريعة، ينكر البدع التي دخلت في التصوف وهي ليست منه، ويدعو إلى تصوف مقيّد بالكتاب والسنة بعيدًا عن خرافات أهل الجهل وضلالات أهل الزندقة. وهو يرى أن التصوف هو العمل بالكتاب والسنة.

مجلس مع الشيخ يعقوبي

ثم خرجنا على سيارة أحد أقارب الشيخ الشاغوري، فلما مر بنا بمنزلي سألت الشيخ أن يشرفنا بالزيارة، ولكن صاحب السيارة ألح علينا أن نزوره في بيته، وشرب شيئاً عنده، فأجبنا لدعوته وجلسنا، وانبسط الشيخ يعقوبي في الكلام.

وفاة خادم الحرمين الشريفين

وأخبرنا في المجلس بوفاة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله تعالى رحمة واسعة، فصدمني هذا الخبر، فسألتهم متى وقع هذا الحادث؟ فقل لي صباح اليوم، وأنا ليس في منزلي تلفزيون، فلا أعرف شيئاً مما يحدث في العالم، شعرت بأسى بالغ وحزن كبير على وفاة ذلك الرجل الذي ترك الألقاب منذ زمن، وتفرغ لخدمة الحرمين الشريفين، وانبسطت يده الخيرة لتغطي معظم أرجاء العالم، تضمد جرحاً هنا وتسد رمقاً هناك، ويحفظ له سائر العرب والمسلمين سعيه الدائم للمساعدة والمصالحة حيث كان ذلك واجباً، وأنه بنى المساجد بالمئات في كل أرجاء العالم، وطبع المصاحف بالملايين حتى وصلت إلى معظم البيوت من أقصى الأرض إلى أقصاها، وتحمل عبارة إهداء بسيطة إلى كل مسلم: «هدية من خادم الحرمين الشريفين»، وتمت بعده مبايعة ولي العهد الأمير عبدالله ملكاً وخادمًا جديدًا للحرمين الشريفين، والأمير سلطان بن عبدالعزيز ولياً للعهد، أدعو الله تعالى أن يوفقهما لما فيه صالح الإسلام والمسلمين.

ذكر الشيوخ

وذكر الشيخ في هذا المجلس الشيوخ الذين ينبغي أن أزورهم وأستجيزهم، منهم الشيخ المعمر سليم الحمامي أحد تلامذة السيد بدر الدين الحسني، وأحمد

الجبال، ولا يذكر إجازة منه، ولكن له سماعاً منه لأشياء، وأنه يحفظ عن السيد بدر الدين أخباراً كثيرة ليست عند غيره، والشيخ محمد فاتح الكتاني، يروي عن والده محمد مكّي الكتاني ولعل أباه استجاز من مشايخه لأولاده فيكون قد دخل فيهم ويحصل له العلو، وأعربت للشيخ عن رغبتني في أن أقرأ على الشيخ فاتح الكتاني الموطأ، فقال: سوف نتحدث معه بهذا الشأن، ثم ذكر الشيخ المسند محمد مرشد ابن عابدين وقال: إنه قرأ على أخيه مسلسلات ابن عقيلة، فهذا لا يشاركه فيه أحد. وينبغي أن تقرأ عليه، فقلت: إنما يتسير ذلك في صحبتك، فتواعدنا أن نفعل ذلك.

وعرّفني الشيخ على الحضور، وأثنى عليّ خيرًا، وذكر مؤلفاتي، وحرصني على طلب العلم، وطال الوقت ونحن نتحدث، فاستأذنا صاحب البيت وخرجنا، ورافقني الشيخ إلى منزلي، ودعاني وأهلي للعشاء في بيته ظاهر دمشق في اليوم التالي، فتواعدنا أن نخرج الساعة السابعة مساءً.

رجوع إلى المنزل

دخلت البيت وكان الوقت متأخرًا، والأهل مستغربون أين بقيت، فأخبرتهم الخبر، ثم تغديت، وحان وقت العصر، فذهبت وصليت ولم أر الأطفال للمدرسة، وبتاي مريم وفاطمة تنتظران بباب المسجد، فسألت غير واحد، ولكنهم لم يعرفوا السبب، فسألت شيخ المسجد، فقال: إن المدرسة ليست إلا ثلاثة أيام في الأسبوع: الأحد، والثلاثاء، والخميس.

إلى السوق

فرجعنا إلى البيت وسألت البنات أن يستعددن حتى نخرج للنزهة في منطقة الحلبوني وسوق الحميدية، بقيت زوجتي في البيت، وخرجت مع البنات بالسيارة إلى

سوق الحلبوني، ودخلت مكتبة دار القلم، فجاء الأخ عبد الجبار بن محمد علي دولة فسلمت إليه مسودة كتابي عن شيخنا العلامة أبي الحسن علي الندوي، وعرفت نفسي إليه، ولم أر فيه ذلك الانبساط والترحيب الذي عهدته من أبيه الأستاذ محمد علي دولة وسائر إخوته، سبحان الذي خلق الناس على طبائع مختلفة، اللهم آت نفوسنا تقواها وزكّها أنت خير من زكّاها أنت وليّها ومولاها.

ذهبنا نتجول في الأسواق باتجاه سوق الحميدية، وحن وقت صلاة المغرب، فبحثنا عن مسجد فيه مصلى الرجال والنساء، وليس كل مسجد هنا فيه مصلى للنساء، وجمعنا بين المغرب والعشاء، ثم ذهبنا إلى محل للمشروبات، فتناولنا بعض الأشرطة، وبعد الانتهاء من ذلك تجولنا في سوق الحميدية، وقبل أذان العشاء دخلنا الجامع الأموي، ورأيت شيخاً يلقي درساً لعامة الناس، فجلست قليلاً ثم خرجنا من المسجد.

الأخ عبد الماجد الغوري

ورجعنا إلى البيت بعد العاشرة بقليل، وبعد أن أخذت شيئاً من العشاء رنّ جرس البيت ودخل الأخ عبد الماجد الغوري زائراً لي، وأهدى إليّ كتاب «دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى» لمؤلفته آمال قرادش بنت الحسين، وهو كتاب الأمة، العدد ٧٠، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر في ربيع الأول سنة ١٤٢٠هـ.

والكتاب في مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة، تحدثت الكاتبة في المقدمة عن أهمية الموضوع، والدوافع التي بعثتها على كتابته، ومنهجها في البحث، وتكلمت في التمهيد عن رعاية الإسلام للمرأة وتعليمها، واهتمام النبي ﷺ الخاص بها، وعالجت في الفصل الأول دور المرأة في الحديث رواية في القرون الثلاثة الأولى،

فجاء في أربعة مباحث: المبحث الأول خصصته لبيان دور أمهات المؤمنين في خدمة الحديث، فذكرت تراجمهن وفضلهن، وذكرت أشهر تلاميذهن، ونظرة عن مروياتهن مع بيان مضامينها بشكل مجمل.

والمبحث الثاني ذكرت فيه طبقات الراويات في القرون الثلاثة الأولى متبعة التقسيم على القرون أولاً، ثم داخل كل قرن طبقات الراويات اللائي وجدن في ذلك القرن، وذكرت أمثلة على كل طبقة، وترجمت لكل من ذكرت من دون إطالة في التراجم، ثم ذكرت الملاحظات والاستنتاجات التي توصلت إليها من خلال بيان الطبقات.

والمبحث الثالث بينت فيه مساهمة المرأة في ميدان الرحلة، وكيفية حدوث هذه الرحلات، مع ذكر أمثلة للتوضيح.

والمبحث الرابع دراسة تطبيقية على الموضوع، تناولت فيه عدد الراويات في مجموع الكتب الستة، الصحابييات منهن وغير الصحابييات، ثم عدد روايات النساء في هذه الكتب، وطبقات الراويات وأحوالهن، ثم تكلمت عن الموضوعات التي اشتملت عليها روايات النساء، وأخيراً بينت القيمة الحديثية لروايات النساء وما كان منها عمدة في بابها.

والفصل الثاني تحدثت فيه عن دور المرأة في رواية الحديث دراية، ويشتمل الفصل على ثلاثة مباحث: المبحث الأول تحدثت فيه عن صور التحمل والأداء عند النساء، فبدأت بتحملهن في العهد النبوي، وذكرت أمثلة. وأردفته بفترة ما بعد العهد النبوي، وذكرت أمثلة أيضاً.

والمبحث الثاني، بينت فيه مساهمة المرأة في نقد الروايات، بدأت ببيان مساهمة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في ذلك، وفصلت قليلاً في منهجها في النقد، ثم ذكرت بعض الأمثلة لنقد النساء للروايات مع قلتها.

والمبحث الثالث، بينت فيه أيضاً إسهام المرأة في الجرح والتعديل مع ندرته، وذكرت على رأس هؤلاء المساهمات عائشة رضي الله عنهما، وذكرت أمثلة أخرى. وختمت الكتاب بذكر النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

وأهدى إلي الأخ عبد الماجد كتيماً «قصة دراستي القرآنية» لشيخنا العلامة السيد أبي الحسن على الحسن الندوي، وهو مقال نشر سنة ١٩٥٦م في العدد الخاص بالقرآن الكريم من مجلة «صبح صادق» الأردنية الشهيرة، نقله إلى العربية الأستاذ الشيخ محمد نعمان الدين الندوي، وطبعته دار ابن كثير باعثناء الأخ عبد الماجد الغوري سنة ١٤٢٦هـ.

وقد صدرت أخيراً الطبعة الثالثة لكتاب الأخ عبد الماجد عن الشيخ الندوي، أرسله إلي في إنكلترا، ولكن لم أره، فذكر لي أن الكتاب قد بلغ حجمه الآن ألف صفحة، كما أراني ما أضاف فيه من تراجم تلاميذ الشيخ، وأطلعني كذلك على ما ترجم لي في الكتاب.

وللأخ عبد الماجد إسهام كبير في بعث تراث الشيخ الندوي في بلاد الشام، وعني إلى جانب ذلك بكثير من البحوث العلمية. وأطلعني على ما أعده من معجم لمصطلحات الحديث النبوي الشريف، تحت إشراف فضيلة الشيخ نورالدين عتر حفظه الله تعالى وقد بلغ البحث ثلاثة آلاف صفحة.

٢٧ جمادى الآخرة يوم الثلاثاء

اليوم موعد لبناتي مع معلمة متخصصة في التجويد في الساعة العاشرة والنصف، فوصلنا إلى منزلها في شارع خرشيد، واستقبلنا زوجها الشيخ عادل أبوشعر، والذي عمل دكتوراه في علوم القراءات والألسنة، ودرّب أهله على علم التجويد.

دخلت البنات في البيت، وجلست أنا والأخ علاء الدين فرفور في غرفة الاستقبال، وظهر من حديث الشيخ عادل أن له عناية بالحديث النبوي الشريف، فقد سمعه من الكبار، وزار الهند، فسمع من الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي، واستجاز من ابنه شيخنا عبدالرشيد الأعظمي.

معهد الفتح الإسلامي

اليوم موعد لي في الساعة الحادية عشرة والنصف مع فضيلة المفتي الشيخ عبد الفتاح بزم مدير معهد الفتح.

أسس الشيخ محمد صالح فرفور رحمه الله تعالى جمعية الفتح الإسلامي في الرابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة خمس وسبعين وثلاثمئة وألف، ثم أنشأ معهده الشرعي، وتخرجت الدفعة الأولى من الطلاب في هذا المعهد بتاريخ ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٨٠هـ، ثم توسع معهد الفتح توسعًا كبيرًا، وهو أحد المعاهد الإسلامية الشهيرة في العالم العربي والإسلامي.

كما قام الشيخ محمد صالح فرفور رحمه الله بتأسيس قسم الإناث من معهد الفتح الإسلامي في عام ١٣٨٥ هـ، وذلك حرصاً منه على تعليم النساء ليخرج منهن عالمات وداعيات إلى الله عز وجل^(١).

خرجت مع الأخ علاء الدين فرفور، وذهبنا أولاً إلى قسم النساء من المعهد، ولكن فضيلة المفتي كان قد غادره، فذهبنا إلى قسم الرجال، ولقينا الشيخ، وهو من مواليد سنة ١٣٦٣ هـ، وهو فقيه حنفي داعية، مفتي دمشق، ومدير معهد الفتح الإسلامي.

رحّب بنا الشيخ ومن حوله من أعضاء المعهد، وقدمت إليه «أصول الشاشي» بتحقيقي، و«نفحات الهند واليمن بأسانيد الشيخ أبي الحسن»، لمكتبتهم، وبقيت قليلاً، تناولت معه قهوة، وتحدثنا عن زيارته لبريطانيا، وعن ترتيبات إقامتي في دمشق.

الأخ عمر النشوقاتي

ثم خرجت لزيارة مكتبة المعهد مع الأخ عمر النشوقاتي وهو مديرها، ففرح بي جداً ورحّب بي، ووجدته معنياً بعمله مستمتعاً به، وأراني الأقسام الثلاثة للمكتبة، وثالثتها مختصة للمجلات، وعندهم مجلدات مجلة الأزهر، والوعي الإسلامي، والمنار، والفتح، وغيرها من المجلات.

كتاب «الشيخ محمد صالح الفرفوري»

وفي المكتبة وقعت نظرتي على كتاب «الشيخ محمد صالح الفرفوري» تأليف

(١) انظر: كتاب: الشيخ محمد صالح الفرفوري لصديقنا الشيخ عمر بن موفق النشوقاتي (ص ٨٠-٨٥).

الأخ عمر النشوقاتي، فبدأت أنظر فيه وسألته كيف أحصل على نسخة منه، فأهدى إلي تلك النسخة.

والاسم الكامل للكتاب «العلامة المربي الكبير الشيخ محمد صالح الفرفوري (١٣١٨-١٤٠٧هـ) حياته العلمية، ونهضته وآثاره»، نشرته دار فرفور في دمشق سنة ١٤٢١هـ.

والكتاب يتبدئ بعنوان: «هذا الرجل»، فيه قطع من أقوال العلماء عنه: ومنه قول الشيخ علي الطنطاوي: «أحد الشيوخ المعروفين في الشام، انقطع إلى العلم وخرّج العلماء وأفاد المسلمين». وقول الشيخ عبد القادر الأرنؤوط: «كان رحمه الله يرعانا كأولاده، تعلمنا منه الخوف من الله تعالى والآداب الإسلامية».

ثم مقدمة المؤلف، ثم لمحة موجزة في تاريخ الأسرة الفرفورية، ذكر فيه أن بني فرفور اشتهر فيهم العلم والفضل والفتوى والقضاء في القرن الثامن الهجري، واستمر إلى أواخر القرن الحادي عشر، يعني أنهم توارثوا العلم نحوًا من ثلاثة قرون إلى أربعة، فأقدمهم عماد الدين إسماعيل بن إبراهيم بن فرفور المتوفى سنة ٧٥٧هـ، وآخرهم المفتي عبد الوهاب المتوفى سنة ١٠٧٣هـ، ثم انقطع العلم والفتوى والقضاء من هذه الأسرة لغيرها من الأسر العلمية، وهكذا بقيت هذه الأسرة على هذه الحال خاملة الذكر إلى أن قيض الله من يحيى لها ذكرها، وهو العلامة الشيخ محمد جميل الشطي حيث جمع أخبارها في كتابه: «الضياء الموفور في أعيان بني فرفور» مما دفع بوالد المترجم له السيد عبد الله الفرفوري أن يأخذ العهد على ولده (محمد صالح) على طلب العلم ليحيى بذلك مجد آبائه وأجداده، وليعيد للأسرة الفرفورية مجدها الغابر.

الكتاب النادرة التي توفى عن أهل أسرة

وتحدث في المقدمة كذلك عن الحياة العلمية في الشام في عصر المترجم له. وفي الكتاب سبعة أبواب: الباب الأول في سيرته الشخصية، وفيه ستة فصول، والباب الثاني في سيرته العلمية «مرحلة التحصيل العلمي» وفيه ثلاثة فصول، والباب الثالث: سيرته التعليمية «مرحلة التعليم والإرشاد» وفيه تمهيد وسبعة فصول، والباب الرابع في منهجه في التربية والإصلاح، وفيه تمهيد وثلاثة فصول، والباب الخامس في موقفه من بعض القضايا العلمية المختلف فيها، وفيه تمهيد وخمسة فصول، والباب السادس في آثاره العلمية والأدبية، وفيه أربعة فصول، والباب السابع في مكانته وثناء العلماء عليه. وخاتمة في خلاصة البحث ونتائجه، وملحق في أهم الوثائق التي وقف عليها.

وأثبت هنا بالمناسبة رثاءً له بقلم شيخنا أبي الهدى محمد اليعقوبي:

قد قضى في الحق بحرا	ونضى للموت نحرا
قارع الأهوال حتى	صير الأهوال حيرى
ماجد من بيت مجد	طاب فرعاً طاب بخرا
سيد لم يأل جهداً	في سبيل العلم نشرا
عاش تسعين تساوي	من حياة العالم دهرا
صالح ما زال يقفو	في طريق المجد بدرا
دأبه التعليم ما يبـ	ن الورى سرّاً وجهرا
قمت أرثيه وأنتم	بمكان الشيخ أدرى
فإذا الشيخ عباب	ورثائي كان قطرا
كيف والراحل شمساً	كان للشام وعطرا
ولكم قد كان عهدي	بطريق الشعر وعرا

غير أني في رثاء الشـ	شيخ قد ألهمت درا
مستمدا من بحار السـ	يد الوالد سرا
فلقد كان بهذا الرا	حل الوالد برا
وليه كنت محبا	منذ أن كنت غرا
فلتفيض الدمع يا شا	م من الآفاق نهرا
فلقد خلفت شيخ الـ	شام في الفردوس فجرا
أيها الدهر ترفق	ففؤادي ليس صخرا
واتئديا موت إن	العلم في الشام استقرا
فإذا مات من	عالم خلف عشرا

الأستاذ شهاب الدين فرفور

وحان وقت صلاة الظهر، فتوضأت في المعهد وصلينا الظهر، وسألني الأخ عمر النشوقاتي أن أتغدى معه في منزله، وذكر لي أنه كانت له نية في عمل كتاب عن النساء الراويات، وقد عمل بعض الدراسات في ذلك، ووعدني بأنه سيوفر لي ما عنده من المعلومات حتى أستفيد منه في تأليفي، وذكر أن لديه مواد علمية كبيرة، فرغبت في الغداء معه، وخرج الأخ عمر لبعض حاجاته، فبقيت في المكتبة أنظر في الكتب، حتى رأيت الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد صالح فرفور، الأخ الأصغر للشيخ حسام الدين فرفور، ولد سنة ١٣٨٦ هـ، تخرج في قسم التخصص في معهد الفتح الإسلامي، وحصل على إجازة دبلوم في الدراسات الإسلامية والعربية من كلية الدعوة الإسلامية فرع الباكستان، ودرجة الماجستير في الدراسات الإسلامية من جامعة فيصل آباد في باكستان، ودرجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية من جامعة حيدرآباد، وهو أديب

شاعر، وخطيب في جامع الجراح في المهاجرين، ومدرس في قسم التخصص في معهد الفتح الإسلامي.

رَحَّبَ بي الأستاذ شهاب الدين فرفور ترحيبًا حارًا، وأنشد قول الشاعر:

يا ضيفنا لوزرتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل

وذكر لي أن اختصاصه في الفلسفة الإسلامية وفي العروض، ويدرس هذه الموضوعات في المعهد، كما أنه شاعر مكثر، له عدة آلاف بيت شعر، وأنشدني بعضها، فكأنه يحاكي فيها القدماء في الجودة والإحسان.

وذكر الأستاذ الشهاب أن له مهنجًا خاصًا في تدريس العروض ابتكره هو، فإنه يعلم العروض عن طريق الألحان والموسيقى، وقد عمل كتابًا في ذلك، فرغبت أن أتعلم منه العروض، فإني لم آخذه عن أحد من قبل، فوافق، وأعطاني درسًا تمهيديًا ذكر فيه أن البحور الأصلية هي خمسة عشر بحرًا من وضع الخليل، ويقال لها الأوزان الخليلية وهي:

١- البحر الطويل

٢- البسيط

٣- الكامل

٤- الوافر

٥- بحر الهزج

٦- بحر الرمل

٧- البحر السريع

٨- البحر المديد



- ٩- البحر المتقارب
- ١٠- البحر المجتث
- ١١- البحر المقتضب
- ١٢- البحر المضارع
- ١٣- البحر المنسرح
- ١٤- الخفيف
- ١٥- البحر المحدث.

وزاد المتأخرون خمسة أوزان أخرى ليست من وضع الخليل، فبلغت عشرين وزناً.

وذكر الأستاذ الشهاب أن أحب الشعراء إليه أبو العلاء المعري وأبو تمام، والمتنبي، وذلك لجمعهم بين الفلسفة والشعر، والأستاذ الشهاب يحب الجمع بين الأمرين، وأنشد للمعري:

أوجز الدهر في المقالة حتى جعل الصمت غاية الإيجاز
لا تلمني في بعض قولي فإني مثل غيري تكلمي بالمجاز

في منزل الأخ عمر النشوقاتي

وبعد ذلك خرجنا إلى منزل الأخ الشيخ عمر النشوقاتي، وهو قريب من جامع التيروزي، دخلناه وجلسنا في مكتبته تتناول أطراف الحديث، ذكر الأخ عمر الثبت الذي عمله لوالده وذكر فيه تلاميذه، فقال الأستاذ الشهاب: إني قرأت على الشيخ موفق النشوقاتي ولي منه إجازة، ولكن عمر سها عن ذكر اسمي بين تلامذته، لا ضير أن يسهو والسماء تذكر.

وهنا عرفت أن للأخ عمر كذلك اهتمامًا بالشعر، ولكنه مقل في ذلك، وبدأ كل واحد منهما يتناشد أحسن قصائدهما، واستمتعت بالمجلس استمتاعًا كبيرًا، ومما سمعت من الأخ عمر رثاءه لخاله أبي هشام عبد الرحمن الأحمر، وقصيدته في تهنة الأخ محمد وائل الحنبلي على زواجه، وأهدى إليّ نسخة من كلتا القصيدتين، وهما:

كلمات من القلب إلى روح خالي أبي هشام عبد الرحمن الأحمر

ربّاه ضيفك حلّ في أعتابك	وأناك وهو مظلل برجائك
لبّاك في ثوب افتقار سابغ	من بعد ما لبّى بثوب الناسك
ومضى يودّعنا بوجه مشرق	وبحلة حسنا وثغر ضاحك
ربّاه قد وافاك وهو مؤمل	ببلال عفوك أو جزيل عطائك
فهو الذي أمضى الحياة مجاهدًا	وأقام معتزًا بعز جنابك
وعلى الخصال الزاكيات طباعه	جُبلت فجمل ذكره بجمالك
كرم وإحسان وطيب أرومة	من أهل بيت عمّ فيهم ذلك
وشهامة وتواضع ومحبة	للمتقين وكل عبد سالك
فكم امتطى عتًا لينقذ أسرة	منيت بظلم أو بداء فاتك
ويُعزّ دين الله لا يألوا ولا	يخشى ملامة آثم أو هالك
فارفع إلهي قدره بين الورى	ومع النبي وصحبه وأولئك
وامنحه يا ربّاه ما يرجو عسى	ألا يُخيّب وهو في أعتابك
ماذا نقول وما لنا من حيلة	والخطب ظللنا بلون حالك
وجرت مقادير الإله بما يشا	إن الحياة منازل ومسالك
لا يُرتجى فيها القرار وحسبنا	أن الكريم قد اصطفاه هنالك
إن غاب عن دار الرزايا برهة	فليهنّ في دار العزيز المالك

قصيدة التهنئة:

الحبُّ عند ذويه غير مبدل
 فبه ينال القلب غاية أنسه
 ويقر إنسان العيون بحبه
 ويحنّ فيه المخلصون لإخوة
 ماذا أقول ولست أحسن قوله
 ماذا أقول ووائلي هو موئلي
 فلكم قضينا في ابتغاء سعادة
 وكم امتطينا مضنيات نبتغي
 ولكم سمعنا من عوالٍ جمّة
 ونؤمُّ أطلال الأئمة حيثما
 ونروح أسواق الكتاب ونقتني
 حتى أتى هذا العشي فعمنّا
 يا وائلاً هذا نعيمك مقبلاً
 وحباك مولاك السلام كرامةً
 ودخلت غنّاء يطيب نسيمها
 لما أتت غفران وهي حفيّة
 وتريك ألوان الهناء مكّماً
 فاهناً بعرسك يا أخي مردّداً
 يا وائلاً هذا ربيعك مزهر
 فلقد ظفرت بذات دين يُرتجى

ولو اعتلى زوراً كلام العُدل
 وبه شفاء النفس بعد تعلل
 لذوي الفضائل والخصال الكمل
 صدقوا ودادهم بغير تقول
 ترضي المسامع بالثناء الأعدل
 ومنادمي دهرًا بغير تبدل
 تُجنى بعلم المرسلين وتنجلي
 هذا المحدث أو هدى ذاك الولي
 ومعنعن ومسلسل بالأول
 نغدو إلى دور الحديث ونمتلي
 أسفارها بمعجّل ومؤجّل
 كرم الجواد الماجد المتفضل
 سعد السعود أطلّ غير مظلل
 ورُزقت بالحظ السعيد الأكمل
 تحلو بعين الناظر المتأمل
 تُهدي لقلبك بسمة بتهلل
 وتزيدها بتغنّج وتدلل
 «سهرى لتنقيح العلوم ألدلي»
 وغداً ثمارك طيبات المأكّل
 منها الثبات على السبيل الأمثل

فاسمع مقال المصطفى متأملاً والزم تعهده بغير تأول
 إن الخيار هم الخيار لأهلهم وأنا خياركم لأهل المنزل
 رحماك يا رب البرية ترتجى فأغث وأسعد أهل هذا المحفل
 واجمع على تقواك شمل عروشنا وارفع مكانته إلى الشرف العلي
 وإذا سألتكم من أكون فلإني عمر المحب لوائل ابن الحنبل

ووقفت في مكتبته على كتاب «الوفيات للبرزالي» تصنيف الإمام الحافظ مؤرخ الإسلام علم الدين أبي محمد القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي (٦٦٥-٧٣٩هـ) بتحقيق أبي يحيى عبد الله الكندري طباعة الكويت ١٤٢٦هـ، والكتاب في ٦٣٩ صفحة، وفرحت برؤيتي لتاريخ البرزالي فرحاً كبيراً، واستعرت منه الكتاب لأستخرج منه تراجم النساء، كما رأيت عنده كتاب «ألفية السند» للحافظ محمد مرتضى الزبيدي مطبوعاً، وفيه أكثر من ألف بيت في أسانيده.

ثم استخرج الأخ عمر ما جمع من المواد عن النساء الراويات وأعطاني أشياء منها، وذكر لي أنه سوف يصور أشياء أخرى ويهديها لي، وأعجبت كثيراً بكرمه وسخائه.

وقبل الغداء دخل علينا العالم عبد الغني بن يحيى النابلسي سليل العارف بالله المسند عبد الغني النابلسي، وهو فقيه حنفي، اختصاصه في مجال العبادات، ويبدو عليه الصلاح، وحضر الغداء، فلما جلسنا دخل علينا الأخ محمد وائل الحنبلي ففرحنا برؤيته، تغدينا متناولين أطراف الحديث، وكنت في عجل فخرجت في الساعة الثانية والنصف وصحبنى الأخ محمد وائل حتى يودعني، واتفقت معه أن نزور غداً ضريح الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى، ثم أخذت سيارة إلى منزلي.

إلى منزل الشيخ يعقوبي

في الساعة الخامسة أخذت مريم وفاطمة إلى جامع الخياط للدراسة، وأخذنا في استعدادنا للذهاب إلى منزل الشيخ أبي الهدى يعقوبي، وهو يسكن في منطقة سكنية راقية ظاهر دمشق.

ركبنا السيارة في الساعة السابعة والربع وخرجنا من دمشق والشوارع الجبلية مطلة على مدينة دمشق، فأعجبنا منظر المدينة ومررنا بجسر فوق نهر بردى في مكان يشبه الوادي، والمكان جميل جداً، فسألنا السائق أن يوقف السيارة فنزلنا واستمتعنا بهواء المنطقة العليل.

ومررنا بالأرياف والمنتزهات خارج دمشق، ومناظرها جميلة، ورأينا في الطريق مقام السيدة زينب الصغرى، ويقع في الضاحية الجنوبية لدمشق على بعد حوالي عشرة كيلو مترات، ويتميز بتزيينات براقية مشغولة بالفضة والذهب، وبالقيشاني والثريات الفاخرة، ويقصده كل يوم مئات من الناس يأتون من مختلف الأقطار للتبرك بقدسية صاحبة المقام حفيدة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وابنة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومررنا في طريقنا كذلك بمنتزه الهامة، وهو من المنتزهات المشهورة هنا، وكانت مناظر الأرياف التي مررنا بها جميلة خلابة، حتى دخلنا قرى الأسد، والشيخ يعقوبي يسكن في الجزيرة رقم ٤ منها، في المنزل الواحد والسبعين.

مع الشيخ يعقوبي في منزله

وصلنا إلى منزل الشيخ قبيل الساعة الثامنة، من أحدث المنازل مع جميع التسهيلات الحديثة، وهو أجمل بيت شهدناه، وأراني الشيخ حديقته وفيها مسبح،

صلينا المغرب أولاً، ثم رأيت مكتبة الشيخ، وهو مشغول بترتيب الكتب فيها، وتمتاز بتنوع الكتب وكثرتها، وكثرة ما فيها من المخطوطات النادرة القيمة.

ترجمة الشيخ

والشيخ يعقوبي صديقنا وشيخنا العلامة المحدث المسند والفقيه الشريف محمد أبو الهدى ابن العلامة الشيخ إبراهيم يعقوبي الحسني الإدريسي. ولد في دمشق سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وألف، وأخذ عن والده، وقرأ عليه نحواً من خمسمئة كتاب ورسالة، منها ما أتمه، ومنها ما لم يتمه، وكتب له نحواً من عشرين إجازة بين خاصة وعامة، وله إجازة من عدد كبير من المسندين، أعلاهم السيد محمد المكي الكتاني، والشيخ محمد أبو اليسر عابدين، والشيخ زين العابدين التونسي، وغيرهم من رجال تلك الطبقة.

وأخذ الطريقة عن والده، وأذن له بإقامة الذكر، وأجازه بالأوراد الخاصة والعامة للطريقة الشاذلية والقادرية سنة سبع وتسعين وثلاثمائة وألف. وألقى المحاضرات في كثير من البلدان الإسلامية وغيرها من سورية ومصر والأردن والكويت، والولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة، والسويد، وألمانيا، والنرويج، وسويسرا، وفنلندا.

وقام بتأليف الكتب النافعة، ودبج المقالات القيمة في المواضيع المختلفة، وأهم مؤلفاته في العلوم الإسلامية: «التسعير في الفقه الإسلامي»، و«مدخل إلى مذهب الإمام مالك»، و«القضاء بالعلم»، و«الوفاء بأحكام نقض القضاء»، و«الشكوى مما أصاب حال الفتوى: حول تاريخ الفتوى في دمشق»، و«رسالة في أن أسماء الله تعالى توقيفية»، و«رسالة في حكم فسخ الحج إلى العمرة»، و«التعيين للأوهام الواقعة في الأربعين»، و«الأعين الرواني إلى أحاديث تخمير الأواني»، و«تنبيه

الأذهان إلى الأوهام الواقعة في ثبوت حسين عسيران»، و«إتحاف الرشيد بما علا من الأسانيد»، و«الإيضاح لأسانيد إمداد الفتاح».

والشيخ مشغل بالعلم والتصوف، وتعليم الطلاب الحديث والفقه والأصول والعقيدة، وتربية المريدين، أول مرة ختم الصحيح للطلاب سنة سبع وتسعين وتسعمئة وألف، وبعد ذلك ختم كتب الحديث مرارًا في دمشق، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، وفي المملكة المتحدة، وهو أحد أشهر الدعاة إلى الإسلام في بلاد الغرب. دخل في الإسلام على يده أكثر من ألف، وهو من آل بيت علم ونسب.

بعض المخطوطات النادرة

تعشيت مع الشيخ، ثم نزلنا إلى غرفة الاستقبال، وجاء الشيخ ببعض أهم ما لديه من المخطوطات، وقد ورث بعضها عن أبيه الشيخ العلامة إبراهيم اليعقوبي رحمه الله، بينما اشترى الأخرى بأسعار غالية، ويبلغ عددها ثلاثمئة مخطوطة، وفيها نوادر.

المخطوطة الأولى التي رأيتها عنده هي نسخة لكتاب «الحصن الحصين» لشمس الدين ابن الجزري، وهي أقدم نسخة، فقد كتبت في حياة المؤلف سنة ٨٢١هـ، وعليها حواش، ومقروءة مرات، ومعها نسخة للشمال للإمام الترمذي كتبت سنة ٩٥٨هـ.

والمخطوطة الثانية التي رأيتها عند الشيخ هي المجلد الأول من الأحكام الوسطى لعبد الحق الأشبيلي، وهي غير مطبوعة، فقد طبعت الكبرى والصغرى، مكتوب في آخرها: «تم السفر الأول... في سلخ جمادى الآخرة من سنة سبع وثلاثين وسبعمئة، وهي نسخة مقابلة وعلى الورقة الأخيرة إجازة من قبل أحمد الحمدي الشافعي العلواني، والنسخة جميلة ونفيسة، اشتراها الشيخ اليعقوبي خلال زيارته

للمغرب.

ثم أراني الشيخ نسخة خطية لـ «عقد الجواهر الثمين في أربعين حديثاً من أحاديث سيد المرسلين» للشيخ إسماعيل العجلوني، وهي مكتوبة بخط جيد، وتاريخ نسخها يرجع إلى حدود مئة وألف، ومعها ثبت عبد الرحمن الكزبري الحفيد، كان مالك هذه النسخة من مدينة حماة، اسمه الشيخ إبراهيم أفندي الملكي، وقد استجاز غير واحد من علماء حماة ودمشق ومصر، وإجازاتهم مثبتة في آخرها بخطوطهم، منهم الشيخ محمد الدمنهوري، والشيخ محمد الرافعي، ومصطفى المبلط، وإبراهيم السقا، وأحمد مسلم الكزيري.

وبعد ذلك رأيت مخطوطة كتاب «العلم والتعلم» لأبي بكر بن علي الشيباني (٧٣٤-٧٩٧هـ)، وله ترجمة في «الأعلام» للزركلي (٢/ ٧٦)، وهذه النسخة بخط أحد تلاميذ المؤلف، ولا يوجد نسخة غيرها في العالم. ومعها كتاب آخر اسمه «السر المصون فيه لوائح من المحبة والعلم المخزون» في التصوف، وهو من كلام الشيخ عماد الدين الواسطي رحمه الله، كتب بحدود سنة ثمان مائة تقريباً.

ثم رأيت عند الشيخ مخطوطة كتاب «تفسير ما أغفله سيويه» لأبي العباس المبرد (ت ٢٨٦هـ)، وهي نسخة أندلسية ترجع إلى حدود سنة ٦٠٠هـ، في خط جميل، وهي من أقدم المخطوطات لدى الشيخ.

ثم رأينا نسخة «شرح الجامع الصغير» لعمر بن عبد العزيز البخاري (ت ٥٣٦هـ) وتاريخ نسخها ٧٥٨هـ، وهي مئتا ورقة، والناسخ: عبد العزيز بن إلياس، وعليها حواش بخط دقيق جميل.

ثم رأينا مخطوطة «المختصر للقُدوري» كتبت سنة ٧٣٥هـ، بآخره إجازة بخط محمود بن أحمد القونوي، وهي نسخة بغدادية، والناسخ هو محمد بن أحمد بن عثمان الكركري.

ثم أراني الشيخ مخطوطة لجزء من «صحيح مسلم»، وقال الشيخ: إنه أثمن شيء عنده في الحديث، لا يقدر بثمن، وهو الجزء الخامس عشر من النسخة السلطانية لصحيح مسلم، مزخرف صنع لأحد السلاطين، وهو رواية الحسين بن علي الطبري عن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي، عن الجلودي، وعليه ما يزيد على عشرين سماعًا، أعظم هذه السماعات بخط الإمام جلال الدين السيوطي: «بلغ كاتبه أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي قراءة على إمام خانقاه شيخون في رمضان سنة ٨٦٤»، هذا أقدم خط وجد للإمام السيوطي، فإنه ولد سنة ٨٤٩هـ. فيكون عمره إذ ذاك خمس عشرة سنة.

وعليه سماع آخر: «وبلغ بسماع الجماعة عليّ بقراءة السيد حسين بن عبد الرحمن الشيخوني في يوم السبت ١٧ ربيع الأول ١١٩١، وسمع من أول هذا الجزء إلى آخره مولانا الشيخ مصطفى الطائي الحنفي، وكتب أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني حامدًا الله ومصليًا ومسلمًا». وعليه كذلك سماع على القسطلاني (ت ٩٢٣هـ): «فرغ قراءة عليّ الأخ محمد الصغير أحسن الله إليه، وذلك في ثالث عشر جمادى الأولى سنة ٩١٩، قاله وكتبه أحمد بن القسطلاني حامدًا ومصليًا ومسلمًا». فاستغربت من اجتماع السيوطي والقسطلاني على النسخة نفسها. وكذلك عليها سماع بخط رضوان العقبي (ت ٨٥٢هـ)، وسماع بخط الزركشي، وأبي الفضل عبد الرحمن القلقشندي، ومحمد بن أحمد بن الشحنة، بخط إبراهيم بن الكركي سماعًا من شهاب الدين ابن العطار، وأحمد بن نصر الله ابن الحنبلي (ت ٨٤٤هـ).

تدبجي مع ابن الشيخ

وخلال زيارتنا للمخطوطات طلع ابن الشيخ: إبراهيم وهو ابن خمس سنوات وقد أجازته نحو ثلاثين من العلماء، منهم الشيخ محمد مرشد عابدين، والسيد الفاتح الكتاني، والشيخ عبد الغني الدقر، والشيخ أحمد نصيب المحاميد، فسمعت منه المسلسل بالأولية، وهو يحفظه حفظاً جيداً، وسمعه مني، فتدبجنا، وقال الشيخ: هذا من باب رواية الأكابر عن الأصاغر.

حدثني الشريف إبراهيم بن محمد اليعقوبي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثني والدي العلامة أبو الهدى، وهو أول حديث سمعته منه، حدثني السيد الشيخ محمد المكي بن محمد بن جعفر الكتاني، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرني السيد أحمد بن إسماعيل البرزنجي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرني والدي السيد إسماعيل بن زين العابدين البرزنجي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرني الشيخ صالح بن محمد الفلاني العمري، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرني شمس الدين محمد بن محمد المغربي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرني مسند الحجاز عبد الله بن سالم البصري، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرني الحافظ شمس الدين محمد بن علاء الدين البابلي المصري، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرني الشهاب أحمد بن محمد الشلبي الحنفي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا جمال الدين يوسف بن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الشافعي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا برهان الدين إبراهيم بن علي بن أحمد القلقشندي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا الشهاب أحمد بن محمد بن أبي بكر المقدسي الشهير بالواسطي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا صدر الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميديمي، وهو

أول حديث سمعته منه، قال: حدثني النجيب أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرّاني، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا الإمام أبو سعد إسماعيل بن أبي صالح أحمد بن عبد الملك النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا والدي الإمام أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا الأستاذ أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن حمش الزيادي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن بشر بن الحكم العبدى النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثنا أمير المؤمنين في الحديث سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

هذا حديث صحيح، أخرجه غير مسلسل الإمام أحمد في المسند، والبخاري في الأدب المفرد، وفي باب الكنى من التاريخ الكبير، وأبو داود في سننه، والترمذي في جامعه، والنسائي وابن ماجه في سننهما، والحميدي في المسند، والبيهقي في الشعب، وغيرهم.

والحديث مروي بالتسلسل إلى ابن عيينة، ولم يروه ابن عيينة ولا من فوقه مسلسلاً، فمن رفع تسلسله بعده فقد أخطأ.

حديث عن المهدي

وأنشدني الشيخ لمحيي الدين ابن العربي في كتاب «الدر الكون والجوهر المصون»:

إذا دار الزمان على حروف بسم الله فالمهدي قاما
ويخرج بالخطيم عقيب صوم ألا فأقرأه مني سلاما
وقال الشيخ: أخبرني الشيخ سليم الحمامي، أنا السيد بدر الدين الحسني مما
أنشده لنفسه:

وفي الست يظهر سبط الرسو لخير البرية أمّا وأبا
فطوبى لمن عاش في وقته وطوبى لمن كان طفلاً يربى

وهم لعبد الحي الكتاني

ورأيت عند الشيخ إجازة السبحة لعبد الله بن درويش السكري، يرويها عن
سعيد الحلبي، وعن عبد الرحمن الكزبري.

ثم جرى ذكر ما كتبه الكتاني عن السكري في فهرس الفهارس: وكان أهل الشام
في غفلة عن إسناده وعلوه حتى نبهتهم إليه^(١).

فقلت للشيخ: هذا المسند الكبير، كيف غفل عنه أهل الشام؟ فقال: أخطأ
الكتاني في ذلك ووهم، كان السكري زاهداً يحب العزلة، ولم يكن أهل الشام في غفلة
عنه، بل كانت له إجازة مطبوعة، وقد أخذ عنه الناس طبقة بعد طبقة من سنة ١٢٦٠ هـ
إلى وفاته، ولقيه في الشام من المغاربة أبو محمد فتح الله بن الشيخ الصوفي أبي

(١) فهرس الفهارس (ص ٩٨٦).

بكر بناني شيخ الطريقة الشاذلية، رحل عام ١٣١٧ إلى مصر والشام والآستانة وطرابلس الغرب وأجاز له في دمشق عبد الله السكري والشيخ بكري العطار، فقد أخذ عنه البناني قبل أن يدخل السيد عبد الحي الشام، فلعله سمع به من طريق البناني المذكور، فإنه تدبج معه وأجاز لأولاده، يقول الكتاني في ترجمته: تدبجت معه عام ١٣١٩ وأجاز فيما بعد لأولادي عامة ما له وهو من خلاصة أهل ودنا وبقية رجال الطريق بالمغرب المحافظين على السمات الشاذلي بارك الله في أنفاسه وأمتع به آمين^(١)، كما أخذ عنه قبل ذلك إسحاق بن إبراهيم التادلي.

أقول: فشيخنا عبد الرحمن الكتاني تشمله إجازة البناني.

مساواته الكتاني في إسناد

وذكر العلامة اليعقوبي أن هناك إسنادًا يساوي فيه السيد عبد الحي الكتاني، وهو إسناد الشيخ عبد الرحمن بن علي القادري، روى عنه الكتاني بواسطة، يقول الكتاني في ترجمته: هو العلامة شيخ الطريقة القادرية ببغداد ونقيب الأشراف بها من أهل هذا القرن يروي الطريقة القادرية عن والدته زينب بنت السيد محمد القادري عن عمها النقيب السيد محمود بن زكرياء القادري بسنده، ويروي عامة عن عبد السلام البغدادي عن ضياء الدين البندنجي عن عثمان بن سند والوجيه الكزبري، كلاهما عن زين العابدين بن علوي جمل الليل. وروى المترجم أيضًا عن المولوي حيدر علي والمولوي فضل الرسول الهنديين وغيرهما، له ثبت نرويه عن الشيخ عبد الباقي الأنصاري اللكنوي المدني عنه^(٢).

(١) فهرس الفهارس (ص ٩٨٦).

(٢) فهرس الفهارس (ص ٧٤٢).

وغاب عن الشيخ عبد الحي الكتاني أنه لما ألف الكتاب «فهرس الفهارس» كان القادري حيًا، ثم دخل بغداد السيد محمد مكي الكتاني، واجتمع بالشيخ القادري، وكتب له إجازتين، واحدة في الطريقة وأخرى في الرواية، فيروي الشيخ يعقوبي عن مكي الكتاني، عن القادري.

علو مكي الكتاني

وذكر الشيخ ما حصل لشيخه السيد مكي الكتاني من العلو في الأسانيد. ولد السيد مكي الكتاني سنة ١٣١٢ هـ، ومنذ ولادته يستجيز أبوه له ولأخيه، ورحل أبوه إلى المشرق سنة ١٣٢١ هـ، وما صحب مكي أباه في هذه الرحلة، ففاته السماع من الوتري، واستجاز أبوه محمد بن جعفر الكتاني من الوتري لأولاده، وصحب مكي أباه في الرحلة الثانية سنة ١٣٢٥ هـ، ويروي مكي عن السويدي، وأحمد البرزنجي، وفالح الظاهري، وأبي الخير العطار.

طال الوقت وتأخر الليل في المذاكرة، فاستأذنت الشيخ وتواعدنا أن نجتمع في زيارة بعض الشيوخ وقراءة موطأ أبي مصعب الزهري.

أخبرنا شيخنا العلامة الشريف مفيد الطالبين وكبير المسندين أبو الهدى محمد بن إبراهيم يعقوبي الحسني، أنا والدي الشيخ إبراهيم يعقوبي، أنا عمي الشيخ محمد الشريف يعقوبي، أنا الشيخ بكري العطار، أنا الشيخ أحمد مسلم الكزبري، أنا والدي الشيخ عبد الرحمن الكزبري، أنا الشيخ مصطفى الرحمتي، أنا العارف عبد الغني النابلسي، أنا النجم الغزي، أنا والدي البدر الغزي، أنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، أنا الحافظ ابن حجر العسقلاني، أنا أبو الحسن علي ابن أبي المجد الدمشقي، أنا ست الوزراء بنت عمر بن أسعد، أنا الحسين بن المبارك الزبيدي، أنا أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي، أنا مكي بن منصور الكرجي، أنا أبو

بكر أحمد بن الحسن القاضي، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، أنا الربيع بن سليمان المرادي، أنا محمد بن إدريس الإمام، أنا ابن عيينة، عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «نَصَّرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتي فحفظها ووعاها وأداها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم، إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من وراءهم»^(١).



(١) أخرجه الإمام الشافعي في مسنده (ص ٢٤٠)، وأحمد في مسنده (٨٢ / ٤)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (٦٦ / ١)، والبغوي في شرح السنة (٢٣٦ / ١).

٢٨ جمادى الآخرة يوم الأربعاء

مقابر الصوفية

في دمشق ثلاث مقابر تاريخية: مقابر الصوفية، والتي دفن فيها الإمام ابن تيمية والحافظ أبو الحجاج المزي والحافظ ابن كثير، ومقابر الباب الصغير، ومقابر الفراديس، ونيتي أن أزور المقابر الثلاث، وأقرأ الفاتحة على المدفونين فيها.

ضريح الإمام ابن تيمية

وكان الموعد اليوم مع الأخ محمد وائل الحنبلي أن نزور ضريح الإمام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله وبعض المشاهد الأخرى في دمشق، فخرجت صباحاً مع الأخ علاء الدين فرفور، وتقابلنا مع الحنبلي في حي السادات، وصحبنا الأخ محمد الشعار البيروتي، فاتجهنا نحن الأربعة إلى ضريح الإمام ابن تيمية، ويقع في حي البرامكة الآن، يعتبر شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرّاني (٦٦١-٧٢٨هـ) أحد العلماء المحققين المصلحين والدعاة المجتهدين، الذين أفنوا أعمارهم في العلم والتعليم، والجهاد والإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أخذ الفقه والأصول عن والده، وسمع عن خلق كثيرين، وعُني بالحديث، وسمع الكتب الستة والمسند مرات، وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة، وغير ذلك من سائر العلوم، ونظر في علم الكلام والفلسفة، وبرز في ذلك على أهله، وردّ على رؤسائهم وكبرائهم، وتأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة، وتضلّع في علم الحديث وحفظه.

ومن تصنيفاته: «درء تعارض العقل والنقل»، و«الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، و«رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، و«الصارم المسلول على شاتم الرسول»، وغير ذلك.

وكان يتميز بصفات التجرد، والابتعاد عن السلطة والمناصب، والذكاء الحاد، والتبحر في العلوم المختلفة ومعرفته بمقاصد الشريعة وكليات الدين، ويدرك الواقع الذي يعيش فيه، والشجاعة والاستقلال الفكري وروح التجديد فيه، وتعدد جبهات بذله وجهاده في كافة الاتجاهات، والحيوية المتوهجة في كتاباته ورسائله، وأسلوبه السهل الممتنع، وكان منهجه في التجديد: أنه ذكر الأمة بقواعد الجهاد في سبيل الله، ولقد جاهد هو بنفسه، وانبثق من مدرسته جيل من العلماء ساهموا في نشر الدعوة الإسلامية.

ضريح المزي

والى جانب ابن تيمية ضريح الحافظ المزي رحمه الله تعالى. وهو الإمام العالم الحبر الحافظ الأوحد محدث الشام جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف القضاعي ثم الكلبي الدمشقي الشافعي.

ولد بظاهر حلب سنة أربع وخمسين وستمئة، ونشأ بالمزة، وحفظ القرآن وتفقه قليلاً، ثم أقبل على هذا الشأن. سمع من أول شيء كتاب الحلية كله على ابن أبي الخير سنة خمس وسبعين، ثم أكثر عنه، وسمع المسند والكتب الستة ومعجم الطبراني والأجزاء الطبرزدية والكندية، وسمع صحيح مسلم من الإربلي. ورحل سنة ثلاث وثمانين فسمع من العز الحرائي وأبي بكر ابن الأنماطي وغازي وهذه الطبقة، وسمع بالحرمين وحلب وحماة وبعلبك وغير ذلك.

ونسخ بخطه المليح المتقن كثيرًا لنفسه ولغيره، ونظر في اللغة ومهر فيها وفي التصريف وقرأ العربية.

وأما معرفة الرجال فهو حامل لوائها والقائم بأعبائها لم تر العيون مثله عمل كتاب «تهذيب الكمال» في مئتي جزء وخمسين جزءًا، وعمل كتاب «الأطراف» في بضعة وثمانين جزءًا، وخرج لنفسه وأملى مجالس، وأوضح مشكلات ومعضلات ما سبق إليها في علم الحديث ورجاله. ولي المشيخة بأماكن منها الدار الأشرفية.

وكان ثقة حجة، كثير العلم حسن الأخلاق كثير السكوت قليل الكلام جدًّا، صادق اللهجة لم تعرف له صبوة، وكان يطالع وينقل الطباق إذا حدث، وهو في ذلك لا يكاد يخفى عليه شيء مما يقرأ، بل يرد في المتن والإسناد ردًّا مفيدًا يتعجب منه فضلاء الجماعة. وكان متواضعًا حليمًا صبورًا مقتصدًا في ملبسه ومأكله، كثير المشي في مصالحه.

ترافق هو وابن تيمية كثيرًا في سماع الحديث وفي النظر في العلم. وكان يقرر طريقة السلف في السنة، ويعضد ذلك بمباحث نظرية وقواعد كلامية. وقد لزم في وقت صحبة العفيف التلمساني، فلما تبين له انحلاله واتحاده تبرأ منه وخط عليه. وكان ذا مروءة وسماحة، ويقنع باليسير، باذلاً لكتبه وفوائده ونفسه، كثير المحاسن.

توفي يوم السبت ثاني عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمئة، وصلى عليه من الغد بالجامع الأموي، وحضر القضاة والأعيان وخلائق لا يحصون كثرة، وخرج بجنازته من باب النصر، وخرج نائب السلطنة الأمير علاء الدين الطنبغا، ومعه ديوان السلطان والصاحب وكاتب السر وغيرهم من الأمراء، فصلوا عليه خارج باب النصر، أمَّهم عليه القاضي تقي الدين السبكي الشافعي، وهو الذي صلى عليه بالجامع الأموي، ثم ذهب به إلى مقابر الصوفية، فدُفن هناك إلى جانب زوجته المرأة

الصالحة الحافظة لكتاب الله عائشة بنت إبراهيم بن صديق، غربي قبر الشيخ تقي الدين ابن تيمية^(١).

ضريح ابن كثير

وتحت قدمي ابن تيمية قبر الحافظ ابن كثير.

بقينا عند قبر ابن تيمية طويلاً، وهو اليوم مكان مهجور، وذكر لنا الأخ محمد وائل الحنبلي أن هذا المكان يحكي حضارة، وكان هنا منتزه اسمه منتزه المنبيع من أجمل منتزهات دمشق، وكانت فيه ثلاثة جداول تتفرع من نهر بردى، وكان فيه مصلى، وكان هذا المنتزه يمتد من ساحة الأمويين إلى التكية السليمانية، ثم جعله الملك السلطان نور الدين الشهيد وقفًا للحيوانات المصابة، الأمر الذي يحكى مدى اهتمام المسلمين بالحيوانات.

ودفن في هذه المقبرة إلى جانب هؤلاء الثلاثة أي ابن تيمية، والمزي، وابن كثير:

ضريح العز ابن عبد السلام

ضريح العز ابن عبد السلام دفن بطرفها الشرقي.

ضريح ابن الصلاح

ودفن فيها كذلك الإمام ابن الصلاح رحمه الله، ويقول السبكي عن قبر ابن الصلاح: وقبره على الطريق في طرفها الغربي، وقبره ظاهر يزار، وقد خلد اسمه كتابه في علوم الحديث، ويعرف بـ«مقدمة ابن الصلاح»، يعتبر بين كتب علم أصول الحديث

(١) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ (٤/١٤٩٨)، وطبقات الشافعية الكبرى (١٠/٣٩٥)، والبداية والنهاية

واسطة العقد، إذ جمع فيه مؤلفه خلاصة ما تشنت في المصنفات قبله، ونظمها في سلك واحد، وخاصة كتب الخطيب البغدادي، وإن لم يأت على الترتيب المطلوب - كما قال الحافظ ابن حجر -، وذلك لأن المؤلف أملاه على طلابه شيئاً فشيئاً.

وقد اعتذر السيوطي عنه بأنه جمع متفرقات هذا الفن من كتب مطولة في هذا الحجم اللطيف، ورأى أن تحصيله وإلقاءه إلى طلبته أهم من تأخير ذلك إلى أن تحصل الغاية التامة بحسن ترتيبه وإجادة تنسيقه، وقد نوع المؤلف رحمه الله أنواع علوم الحديث إلى خمسة وستين نوعاً. ولأهمية هذا الكتاب حققه عدد من المحققين، إلا أن تحقيق الأستاذ الدكتور نور الدين عتر حفظه الله تأتي في نسخ أصول لم يطلع عليها من سبقه إلى تحقيق الكتاب.

ضريح ابن خلدون

ودفن فيها أيضاً ابن خلدون، جاء في رحلة من المغرب إلى دمشق، فمات هنا ودفن بها، ودفن فيها.

أضرحة أخرى:

جلال الدين الخبازي الحنفي صاحب «المغني في أصول الفقه»، وأخو الإمام ابن تيمية، وأمه، والإمام أحمد بن جهمل من كبار فقهاء الشافعية في دمشق، وترجمته في «طبقات الشافعية الكبرى»، وله مؤلف ممتع في الرد على ابن تيمية في مسألة نفى الجهة عن الله سبحانه وتعالى، ونظراً لأهمية هذه الرسالة أوردتها السبكي كاملة في طبقاته.

المدرسة الخاتونية البرانية

وذكر الحنبلي أنه كان في هذا المكان مدرسة تسمى «المدرسة الخاتونية البرانية» وهي مدرسة للفقهاء، وكان يمر بها نهر بانياس فرع نهر بردى، وكانت في المدرسة غرف للطلاب يقيمون فيها، وأنشد الحنبلي عن هذا المعنى:

أيا سادة أهدوا محاسن جلق لطرفي ففاضت بالبكا عبرات
منبيع جفني فوق ربوة جبهي يزيد ودمعي بعدكم قنوات

داخل سور دمشق

ثم اتجهنا إلى مدينة دمشق داخل السور، بني سور دمشق في العهدين الإغريقي والروماني، ويبلغ طوله ١٥٠٠ متر وعرضه ٧٥٠ متر، وتبلغ مساحة دمشق القديمة داخله ١٠٥ هكتارات، لم يتأثر أثناء الفتح لدمشق عام ١٤ للهجرة إلا أن انتقال الخلافة فيما بعد من دمشق إلى بغداد قلل الاهتمام والعناية به فتهدمت أجزاء منه، لكن السلطان نور الدين الشهيد أعاد بناء السور بحيث أحاط بالمدينة بعد توسيعها، وأصبح شكله بيضويًا بعدما كان مستطيلًا، وقد أضيف إلى السور سور آخر يمتد من باب السلام وباب توما حتى الباب الشرقي، بحيث أصبحت المنطقة الواقعة بين السورين تعرف باسم «بين السورين». كما أقام نور الدين عدة أبراج على هذا السور، أهمها برج نور الدين، وهو جنوب جامع سنان باشا، وبرج الصالح أيوب شرقي باب توما.

وأما أبواب دمشق فكما يقول ابن عساكر: بنيت دمشق على الكواكب السبعة، وجعل لها سبعة أبواب، وصور على كل باب صورة الكوكب المرصود له. فباب كيسان الذي يرمز لرحل بقيت الصورة عليه حتى الآن، بينما خربت على الأبواب الأخرى، لكن أبواب دمشق لم تبق كما عرفها ابن عساكر سبعة أبواب، بل أصبحت عشرة أبواب هي:

باب كيسان: باب قديم رغم نسبته إلى مولى معاوية، أغلقه السلطان نور الدين الزنكي، ثم أعاد فتحه الملك الأشرف ناصر الدين شعبان الثاني ١٣٦٣ م. وأثناء

الاحتلال الفرنسي أعيد إنشاؤه وترميمه، وبنيت خلفه كنيسة القديس بولس. ويرمز هذا الباب لرحل.

الباب الشرقي: بناء روماني، رممه السلطان نور الدين الزنكي عام ١١٥٤م، عبرته جيوش المسلمين أثناء الفتح للمدينة بعد حصارها واستسلام أهلها. يرمز هذا الباب للشمس.

باب توما: بني في عهد الرومان، لكنه تهدم كلياً، فأعيد بناؤه في عهد الملك الأيوبي الناصر داود عام ١٢٢٧م، وفي العهد المملوكي قام الأمير تنكز بتجديده عام ١٣٣٣م. يرمز هذا الباب إلى كوكب الزهرة.

باب الصغير: باب قديم أيضاً، لكن الملك نور الدين محمود أعاد بناءه عام ١١٥٦م. كما قام بتجديده الملك عيسى بن أبي بكر الأيوبي عام ١٢٢٦م. ويرمز للمشتري.

باب الجابية: أتت شهرة هذا الباب من دخول جيوش المسلمين منه بقيادة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه لفتح دمشق. كان هذا الباب مؤلفاً من ثلاث فتحات، لم يستعمل منها إلا الفتحة الجنوبية. إن هذا النمط الثلاثي يؤكد أنه باب روماني، لكن الملك نور الدين محمود أعاد إنشائه وترميمه عام ١١٦٤م، ثم قام الملك الناصر صلاح الدين بن عيسى بتجديده. ويرمز هذا الباب للمريخ.

باب الفراديس: يعرف الآن بباب العمارة، باب قديم يرجح أنه روماني، أعيد إنشاؤه وترميمه في عهد الملك الصالح عماد الدين بن إسماعيل عام ١٢٤١م، مغمور الآن بالكتل السكنية والأسواق التجارية. يرمز لعطارد.

باب الفرج: يسمى اليوم باب المناخلية، باب مزدوج أقامه الملك نور الدين محمود، ورممه الملك الصالح نجم الدين أيوب عام ١٢٤١م. زالت معالمه الآن بسبب هدم الأسواق المحيطة بالقلعة.

باب النصر: لا يعرف الزمن الذي بني فيه هذا الباب، لكن الروايات تقول: إن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي قد بناه، لكنه تهدم كلياً عام ١٨٦٢ م، قبل بناء سوق الحميدية الذي كان الباب يقع عند مدخله.

باب الفراديس الصغير أو باب الجنيق: باب روماني صغير نسبياً، تهدم بسبب عدم الاستخدام، ولا يزال مهتماً حتى الآن، يرمز هذا الباب للفخر. هذه أبواب دمشق السبعة كما عرفها ابن عساكر.

باب السلامة: يعرف الآن بباب السلام، أنشئ في عهد الملك نور الدين محمود عام ١١٦٤ م، ثم جدد في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب عام ١٢٤٣ م، وما زالت آثاره باقية حتى الآن.

ويقال: إن لدمشق ثمانية أبواب، محاكاة لأبواب الجنة الثمانية، يقول شاعرهم:

دمشق في أوساطها جنة خلد باقية
أما ترى أبوابها ترجع إلى ثمانية

دخلنا من باب السلام، الذي بناه نور الدين زنكي الشهيد، ثم مررنا بحمام سامي أو حمام سامة. إذا توفي أحد من أهل دمشق، وعليه دين، فكانوا يتركونه في هذا المكان ولا يصلون عليه ولا يدفنونه حتى يقضى دينه، فكان الناس يتبادرون إلى أن يقضوا عن الرجل دينه، وحبذا لو استمرت هذه العادة وقلدها الناس في غيرها.

زقاق النقيب

ثم مررنا بزقاق النقيب، وكان يسكنه محمود الحمزاوي النقيب، ونزله السيد محمد بن جعفر الكتاني وسكنه، ولما زار السيد عبد الحي الكتاني دمشق نزل هنا.

المدرسة البادرائية

ثم مررنا بالمكان الذي كانت فيه المدرسة البادرائية، وهي بجانب زقاق النقيب،
والمدرسة بناها قاضي القضاة نجم الدين ابن البادرائي سنة ٦٠٠ هـ.

منزل عبد الله السكري

وكان يسكن هذه المدرسة عبد الله بن درويش السكري، وهنا لقيه السيد
عبد الحي الكتاني. وهو المسند الكبير عبد الله بن درويش الركابي السكري
الدمشقي، يرتقي بنسبه إلى بني شيبة، ولد بدمشق عام (١٢٣٠ هـ)، وتلقى العلم
ورواية الحديث عن عدد كبير من علماء الشام والحجاز ومصر والواردين عليها من
غيرها، من أمثال سعيد الحلبي، والوجيه عبد الرحمن الكزبري، وحامد بن أحمد
الطار، وإبراهيم السقا، وغيرهم ممن حواهم ثبته العلمي، وتوفي سنة ١٣٢٩.

يقول الكتاني في ترجمة سعيد الحلبي: وأروي عنه عاليًا بواسطة العلامة المعمر
الكنز المدخر عبد الله السكري الحنفي الدمشقي، آخر تلاميذ المترجم في الدنيا،
دخلت عليه بمنزله في دمشق، وأجازني عامة ما يرويه عن شيخه المذكور، وكان أهل
الشام في غفلة عن إسناده وعلوه حتى نبهتهم إليه، والحمد لله^(١).

منزل أبي النصر الخطيب

وكذلك بيت أبي النصر الخطيب قريب من هنا، وهو مسند الشام القاضي
الخطيب المحدث المعمر محمد أبو النصر نصر الله ناصر الدين ابن عبد القادر بن
صالح الخطيب الدمشقي الشافعي. ولد سنة ١٢٥٣ بدمشق، حفظ في صغره نحو

(١) انظر: فهرس الفهارس (ص ٥٩١)، وتاريخ علماء دمشق (١/ ٢٦٢).

خمسة عشر ألف بيت من أغلب الفنون، ونحو عشرة آلاف حديث بأسانيدھا. ورحل إلى الحجاز ومصر، وجال في بلاد الشام وغيرها مرارًا، وولي القضاء نحو عشرين سنة.

قال الكتاني: وهو الشخص الوحيد الذي رأيتہ يحدث حفظًا بكثير من الأحاديث متناً وسندًا منه إلى رسول الله ﷺ، على كثرة من رأيت من أهل المشرق والمغرب.

وقال عنه الشيخ أحمد أبو الخير العطار: كان والله حافظ هذا العصر وبقية مسندي الشام ومصر. يروي عامة عن والده عبد القادر بن صالح الخطيب وعن جده صالح بن عبد الرحيم الخطيب الدمشقي عاليًا وعمر بن عبد الغني الغزي العامري وهاشم التاجي وعبد الرحمن الكزبري وحامد بن أحمد بن عبيد العطار وعبد الرحمن الطيبي والبرهان الباجوري والسقا والدمنهوري والشمس محمد الكتبي المكي ويوسف الغزي المدني ومحمد العزب المدني وعبد الكريم البخاري ثم المدني وإسماعيل بن زين العابدين البرزنجي المدني وابن خالة المترجم زاهد بن إسماعيل بن إدريس الرومي المدني وأحمد الحجار شنون الحلبي ومحدث حلب أحمد الترماني الحلبي وأبي المحاسن القاوقجي وأحمد بن سليمان الأروادي الطرابلسي وغيرهم.

له: «الجوهر الفريد في علو الأسانيد» ويسمى «الكنز الفريد والعقد الفريد»، وهو في مجلد وسط، ساق فيه الكثير من الأحاديث المسلسلة والإجازات الحديثية، و«مختصر الجوهر الفريد» اختصر فيه الكتاب السابق في جزء وسط، وترجم فيه لنفسه ولمشايقه، وعدد رحلاته إلى الأقطار، ثم ساق نصوص إجازات المشايخ، وأسند بعض المسلسلات والمصنفات الحديثية.

أخذ عنه كثيرون من أهل الحجاز والهند واليمن وغيرهم. ومات رحمه الله سنة ١٣٢٥.

ومن غرائب شيوخه عبد الله بن محمد التلي الشامي، كان يذكر إدراكه للعارف النابلسي وإجازته له، فاستجازه له والده وهذا إن صح من العوالي، لأنه يكون بينه وبين ابن حجر خمسة وسائط، حيث إن النابلسي يروي عن النجم الغزي عن أبيه البدر عن زكرياء عن الحافظ ابن حجر عامة^(١).

مقام الرأس

ثم مررنا بمكان يقال له مقام الرأس، ازدحم عليه الإيرانيون الشيعة رجالاً ونساءً، يزعمون أنه مقام السيدة رقية بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

السبع الطوالع

ثم مررنا بزقاق اسمه زقاق السبع الطوالع، كانت فيه سبع طوالع من ماء بردى فكان ماء بردى يجرى في هذا المكان، ويخرج من جدارانه المرتفعة، والمخرج هو المسمى طالعاً، إلى الآن لم يكتشفوا كيف كانوا صنعه حتى يخرج الماء من هذه الطوالع، ولم يبق من هذه الطوالع الآن إلا اثنان أو ثلاثة، وكان واحد منها أمامنا، وهذا الزقاق له قيمة كبيرة، فهو داخل السور وقريب من الجامع الأموي، ومن هنا على يسار الذهاب إلى الغرب مدرسة للحنفية، وقد درّس فيها الإمام عمدة المتأخرين علاء الدين الحصفكي، وآخر الزقاق المدرسة العادلية الكبرى، والمدرسة الظاهرية وفيها

(١) انظر: مخطوطة ترجمة شيخنا العلامة المعمر السيد محمد أبي النصر الدمشقي للشيخ عبد الستار الدهلوي، وفهرس الفهارس (ص ١٦٢-١٦٣).

تربة الظاهر بيبرس، والآن هي مكان دار الكتب الظاهرية، والشيخ طاهر الجزائري وعلاء الدين ابن عابدين سعيًا في تحويلها إلى دار الكتب، ودارا على بيوت أهل دمشق، وجمعا الخطوط والكتب، فحفظا هذه الكتب، فجزاهما الله تعالى خيرًا، ومكتبة الأسد تقوم على ما جمعه هذان العالمان.

زقاق ابن عبد الهادي

وبجانب مقام السيدة رقية زقاق ابن عبد الهادي، وقال الأخ وائل: لا ندري من المراد بابن عبد الهادي هنا.

منزل الإمام عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى

ثم دخلنا مبنى مكتوبًا عليه: «معهد العلوم الشرعية للجمعية الغراء» وكان وقت الدوام للمدرسة، فرأينا الطلاب وبعض المدرسين، ثم جلسنا في فناء المبنى، وبدأ الأخ محمد وائل الحنبلي بتعريف المبنى لنا قائلًا: سيكون شعوركم جميعًا جدًّا، وذكرياتكم عن دمشق عطرة إذا قلت إنه: كان يسكن فيه الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، وكان مقره وبيته، وكان متواضعًا أكثر مما ترونه اليوم.

الخانقاه السميساطية

وفي القرون المتأخرة أنشئت مكانه الخانقاه السميساطية، وهذه الخانقاه أصبحت فيما بعد وقفًا للسادة الصوفية، وكان شرط الواقف أن لا يقيم فيه إلا من كان صوفيًا، ولا يدخل فيه إلا من كان أعزب، وقد درّس فيها العلماء الكبار، منهم صاحب تفسير الخازن الذي أقام في دمشق، وكان خازنًا لكتب خانقاه السميساطية.

مدرسة العلوم الشرعية

والآن أصبحت مقر مدرسة العلوم الشرعية المدرسة الغراء، ويتخرج منها الطالب وقد درس العلوم الشرعية والعلوم الكونية وأخذ الآداب. وقد درّس فيها كثير من علماء دمشق، كشيخنا العلامة عبد الغني الدقر، وهو الشيخ المسند العلامة عبد الغني الدقر، يروي عن المحدث الأكبر الإمام الحافظ السيد بدر الدين الحسيني (١٢٦٧-١٣٥٤)، أجاز لي إجازة عامة، والإجازة مثبتة على ظهر كتابه «أحمد بن حنبل» الذي أهداه إلي، وتاريخ الإجازة خامس عشر جمادى الأولى سنة عشرين وأربعمئة وألف.

وممن درّس فيها شيخنا أحمد نصيب المحاميد^(١)، والشيخ نايف العباس، والذي درّس فيها حلية الأولياء، وكان يدرس فيها ويسكنها مفتي الحنابلة الشيخ أحمد بن عبد الله البعلي، وكان من كبار المسندين، وتوفي بها وهو ساجد في صلاة الفجر.

وأيضا درّس فيها وسكنها العالم الحنفي شهاب الدين الصفدي شيخ ابن طولون، وله شرح على المنار لم يطبع، ودرّس فيها الفقيه الشافعي ابن أبي شريف شارح المنهاج من علماء القرن الثاني عشر، وأقام فيها ابن صصرى وتولى مشيختها. وأصبحت مقراً للإفتاء للسادة الشافعية، وآخر من كان فيها من المفتين الشيخ عبد الحكيم المنير، وأحد أجداده من شيوخ الحافظ ابن حجر.

ولا يفصل هذه المدرسة من الجامع الأموي إلا جدار، وكان عمر بن عبدالعزيز رحمه الله يطين جدار بيته، وهو هذا الجدار، وقبل أن يكون البيت لعمر، كان لوالده

(١) ستأتي ترجمته في مذكرات التاسع والعشرين من جمادى الآخرة.

عبد العزيز بن مروان. واسم واقف هذا المكان: أبو القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي السمساطي، توفي سنة ٤٥٣ هـ.

مؤشر مواقيت الصلاة

ولما خرجنا من هذا المبنى استلفت الأخ محمد وائل أنظارنا إلى جداره الخارج، ففي مكان منه يلتقى جداران من لونين مختلفين، وإذا عدم الظل من أسفلهما كان ذلك علامة للزوال ودخول وقت الظهر، ثم تعطى الإشارة لمئذنة العروس في الجامع الأموي، فكان يخرج منها شيء أحمر يعرف الناس منه وقت الصلاة، ثم يؤذن المؤذن. وأشار الأخ محمد وائل إلى أن هذا المبنى من أعجب العمران.

المدرسة الكلاسية

ثم وقفنا في فناء أمام ضريح السلطان صلاح الدين الأيوبي^(١) رحمه الله تعالى، فشرح لنا الأخ محمد وائل أن هذا المكان مهم جداً، وكان اسمه المدرسة الكلاسية والتي كان يدرس فيها فقيه الشام المقدم الشيخ سعيد الحلبي شيخ ابن عابدين وفقيه الشام محمود أفندي، وهي من أعظم مدارس الحنفية.

والشيخ سعيد الحلبي هو فقيه الشام وعلامته أبو عثمان سعيد بن حسن بن أحمد الشامي الحنفي الشهير بالحلبي الدمشقي. ولد بحلب سنة ١١٨٨، وقدم دمشق سنة ١٢٢٧. يروي عامة عن الشمس الكزبري والشهاب العطار وشاكر العقاد، والأخوين عبد الرحمن ومحمد ابني أبي الفضل عثمان العقيلي الحلبي، وإسماعيل بن محمد المواهي ونجيب بن أحمد القلعي ومحمد مكّي القلعي الحلبي. له ثبت جمع له فيه نصوص إجازات مشايخه الخمسة الأولين وهي عامة،

(١) انظر ترجمته في مذكرات الثالث والعشرين من رجب.

ومعها تفاصيل مروياتهم وأسانيدهم وأشياخ عبد الرحمن ومحمد القلعيين. مات سعيد الحلبي بدمشق عام ١٢٥٤، ودفن بالذهبية^(١).

المدرسة الصادرية

ثم مشينا ووقفنا عند بوابة الجامع الأموي، وعلى يمين الداخل مكان كان فيه المدرسة الصادرية، نسبة لأول مدرسة فقهية أنشأها في العهد السلجوقي شجاع الدولة صادر بن عبد الله سنة ٤٩١ هـ، وزال بناؤها عند تنظيم المنطقة سنة ١٩٨٣ م، وقد درس فيها ابن الصلاح وتولاها، وكان من شرط الواقف أن لا يدخلها نصراني ولا يهودي ولا حنبلي حشوي، وأشار الأخ محمد وائل إلى غرفة قريبة من هنا، وقال: إن الشيخ عبد الغني النابلسي كان معتكفاً فيها.

المعبد الآرامي

ووقفنا أمام الباب المقوس المتهدم أمام بوابة الجامع الأموي، وهو أحد الأقواس الباقية من المعبد الوثني القديم، وقد كشفت الدراسات التاريخية والأثرية عن معبد آرامي قديم للإله السوري - حدد -، الذي كان يعبد في دمشق منذ ثلاثة آلاف سنة، وقد كان من أعظم المعابد وأقدسها، ويقصده الناس من جميع أنحاء الدولة الآرامية، وعقب سيطرة الرومان على دمشق، تحول المعبد إلى اسم معبد جوبيتير الدمشقي.

وفي عهد الإمبراطور الروماني تيودوس الأول ٣٧٩ - ٣٩٥ م تحول المعبد ثانية إلى كنيسة باسم «كنيسة القديس يوحنا المعمدان»، وبعد الفتح الإسلامي لمدينة دمشق تحول الجزء الشرقي من الكنيسة إلى مسجد، فكان المسلمون والنصارى

(١) انظر: فهرس الفهارس (ص ٩٨٤-٩٨٥).

يدخلون من باب واحد هو باب المعبد الأصلي الذي يقع في الجهة الجنوبية،
فينصرف المسلمون إلى جهة الشرق والمسيحيون إلى جهة الغرب.

وفي عهد الوليد بن عبد الملك رغب بأن يبني مسجدًا يليق بعاصمته دمشق.
وبدأ يفاوض المسيحيين ليتنازلوا عن كنيسة النبي يحيى. ولما رفضوا صادر معبدهم
دون قيد أو شرط. وقام بنفسه بهدم المذبح وطرده الراهبين اللذين كانا يقيمان
صومعتهما في برج المعبد القديم. وقد هدم المسلمون كل ما كان المسيحيون بنوه في
الحيز الذي كان يضم المعبد القديم، الغرف والأروقة والمذبح، حتى لم يبق إلا
السور المربع الذي أقام فيه الخليفة مسجده.

مآذن الجامع الأموي

ثم دخلنا في فناء الجامع، وهذه هي الساحة الخارجية للمسجد، وهي تعادل
الساحة الداخلية، ثم أشار وائل إلى المئذنة الشامخة، اسمها مئذنة العروس، ولم يكن
في دمشق شيء أعلى منها، وسميت بالعروس لأنها كالعروس بالنسبة للمئذنتين
الأخريين، لجمالها، ففي الجامع ثلاث مآذن: الأولى: المئذنة الشرقية، وتسمى مئذنة
سيدنا عيسى عليه السلام، والثانية: المئذنة الغربية، والثالثة: مئذنة العروس.

وقد ذكر في سبب تسميتها بالعروس أن الوليد بن عبد الملك خصص أموالاً
هائلة لبناء الجامع، وعند بناء المئذنة قلت النفقات، ولم يكن الخازن موجوداً، وكان
أحد الأثرياء قد عقد الزواج لبنته في تلك الأيام، وكانت ليلة زفاف العروس، إذ
أخبرت بنقصان نفقات المئذنة، فترعت بجميع ما لديها ليلة زفافها، وبنيت المئذنة
وسميت مئذنة العروس.

البسيط

ومن عجائب الدنيا البسيط الذي وضع في المئذنة، وهو كالساعة الشمسية، ال باقياً على المئذنة. الرف على المئذنة هو مكان البسيط، بناه ابن الشاطر، وكان يضبط أوقات صلوات الظهر والعصر والمغرب بدقة متناهية جداً، وفي أوائل القرن العشرين أراد الشيخ محمد الطنطاوي وهو جد الشيخ علي الطنطاوي أن ينظفه، فأدى إلى خرابه، فهجاه علماء الشام، منهم الشيخ عبد السلام الشطي، فأخذه هم شديد واغتم، وبقي في داره، وبعد أيام خرج ببسيط طوره هو، يفوق السابق، فكان يضبط كذلك وقت العشاء والفجر، وكان من عجائب الدنيا، ولما جددوا الجامع في أوائل التسعينات خرب.

قبة الساعات

والى جانب هذا البسيط هناك ساعة شمسية موضوعة على أحد أعمدة المسجد، وقد خربت كذلك عند تجديد الجامع، وهذه القبة التي في الفناء، اسمها قبة الساعات، ذكروا أنها كلما اخترعت ساعة وضعت تحت هذه القبة.

الفسيفساء

ومن أجمل العمران في هذا المسجد الجدران الأربعة، كان كل جدار عليه قطع الذهب مكسوة بقطع الفسيفساء، والتي كانت تمثل أوصاف الجنة، فوضعوا المثال على جدار المسجد، وكان المسجد كله هكذا، ولكن الفتن والحروب أزالها إلا هذا القدر.

قبة النسر

ومن المهم هنا قبة النسر التي درّس تحتها كبار مشايخ دمشق، كتب ابن العماد أنه كان من شرط التدريس تحت القبة أن يكون من أعلم علماء دمشق في الحديث،

وأقدم من عُرف من المدرسين شمس الدين محمد الميداني الدمشقي المتوفى سنة (١٠٣٣هـ)، وقد وضع الشيخ جمال الدين القاسمي كتابًا في التعريف بمن تولى هذا الدرس حتى عصره بعنوان «اللف والنشر في طبقات المدرسين تحت قبة النسر»، كما عرّف بهم موجزًا الشيخ عبد الرزاق البيطار في كتابه «نتيجة الفكر فيمن درس تحت قبة النسر»، ووصف الشيخ محمد بهجة البيطار من يصلح للتدريس تحت قبة النسر بأن يكون حافظًا لحدود الله، قائمًا على إرشاد العقول وتهذيب النفوس، وتصحيح المعتقدات، وإبانة سر العبادات، وإمالة ما غشي الأفهام القاصرة من غياهب الجهالة، وتراث الضلالة، واقفًا على مقاصد التشريع وحكمته، عالمًا مواضع الخلاف والوفاق، سائسًا لسامعيه بما يلائمهم من الأحكام، بل هو العامل الأكبر في إخراج الناس من ظلمات الجهالة إلى نور العلم، وتحريرهم من رق الخرافات والوهم، فهو كالسراج إن لم ينتفع بضوئه فلا فائدة في وجوده.

وممن درّس تحتها شيخ الحديث إسماعيل العجلوني، ودرّس تحتها آل العطار كلهم، ودرّس عبدالرحمن الكزبري، وجده، وخاتمة الحفاظ السيد بدرالدين الحسني، وتفسير القرطبي شيخنا عبد الرزاق الحلبي.

المئذنة الشرقية

ثم مررنا بباب مئذنة العروس الذي يطلع إلى المئذنة، وتحدث الأخ محمد وائل عن المئذنة الشرقية، وقال:

قال العلماء: هي المقصود بحديث: «ينزل عيسى بن مريم عليهما السلام شرقي منارة دمشق»، الحديث، ومن اللطيف النادر أنه كان هناك رجل من المجاذيب اسمه الشيخ عيسى، كان فقيرًا، لا بيت له يؤويه، ولا مقر له يسكن فيه، فكان يقيم طيلة النهار في هذا المسجد، وينام في الليل حيث اتفق له، فخطر بباله مرة أن ينام داخل المئذنة

الشرقية، فصعد إليها ونام فيها، وكالعادة جاء المؤذنون قبل الفجر بساعتين، ففتح أحد المؤذنين باب المئذنة، وسمع فيها صوتًا، فقال: من هذا؟ قال: عيسى، فهرع المؤذن وقال للناس: هنا عيسى قد نزل، فجاء الناس، فوجدوا فيها عيسى المجذوب هذا، ترجع القصة إلى خمسين سنة تقريبًا.

حريق المسجد

ومن المؤسف أنه أصاب المسجد عدة نكبات، منها ثلاثة حرائق كبيرة، وكان آخرها أشد فظاعة، وذلك في بداية القرن العشرين الميلادي، فأتى الحريق على معظم أجزاء المسجد حتى إن الأروقة كلها احترقت، ولم يبق إلا الأعمدة، واحترق كثير من المخطوطات، وسبب هذا الحريق أن أحد العمال كان يشرب النارجيلة في جوارح جميل، فأدى إلى الحريق، هنا ظهر حب أهل الشام لمسجدهم، فتضرعوا إلى الله، وصلى بهم عبد الحكيم الأفغاني ودعوا الله وبدأوا بتعمير المسجد.

قبة المدخل

القبة عند المدخل، يقال إنها كانت خزانة المال، وكانت فيها كتب ومخطوطات كثيرة، وكان فيها مخطوط عن دوران الأرض، فجاء أحد ملوك ألمانيا في زيارة والتقط هذه الرسالة، ونسبها لأحد علماء أوروبا.

رأس يحيى عليه السلام

ثم تحدث الأخ محمد وائل عن القبة التي فيها رأس يحيى عليه السلام، وذكر تاريخها ومن المعروف أن جسده في مصر حسب ما ذكر التقليد القبطي والكتب القديمة، ولكن لا يعرف أحدًا أين هو. وذكر وائل أنه قد وضع في داخل مقام يحيى عليه السلام شعرتان من شعرات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهنا انتهت رحلتنا اليوم داخل الجامع الأموي، ستتلوها الرحلات الأخرى حول الجامع وفي غيره من المشاهد والآثار. ثم خرجت أنا والأخ علاء الدين إلى منزلنا.

سكن معهد الفتح

مررت مع الأخ علاء الدين بالمبنى الذي بدأ فيه جدهم مدرسة الفتح، فدخلنا فيه ويستعمل الآن كسكن للطلاب، فلقينا فيه بعض الطلاب من إفريقيا والمغرب، ثم مررنا بمنزل أبويه في السادات حيث تغدينا يوم الجمعة، وذكر أنه أوصاهم جدهم أن لا يتقلوا من هذا المكان، ففيه بركة، وهو قريب من بيوت الصحابة رضي الله عنهم.

مجلس عزاء

في المساء بعد صلاة العشاء حوالي الساعة العاشرة جاءني الأخ علاء الدين وسألني إذا كنت أرغب في حضور مجلس العزاء لحفيد سيدي محمد الهاشمي، فاستجبت له، فلما وافينا المحل، رأينا الشيخ توفيق رمضان البوطي ابن شيخنا سعيد رمضان البوطي يخطب، وكان مما قال: معزي اليوم معزى له في غد، ينبغي أن يكون يومنا خيرًا من أمسنا، وينبغي أن نعزم أن يكون غدنا خيرًا من يومنا. وأرجو أن ننوي جميعًا أن نصلح نفوسنا، وأن نلتفت إلى من نحن وآخرون على موعد معه، وقال في آخر كلمته: أعظم الله أجركم، وأحسن عزاءكم، وعوضكم جميعًا عن المصاب خيرًا.

وقابلت هنا الشيخ أبا الطيب توفيق تيسير المخزومي، فسررت بلاقائه، وأرجو أن أجتمع به قريبًا إن شاء الله تعالى، ثم سألني الحضور أن ألقى كلمة، وما كنت متوقعًا لهذا الموقف فألقيت كلمة قصيرة بالمناسبة، ثم كانت هناك أناشيد. وأخيرًا سألوني أن أدعو فدعوت الله بدعوات جامعة، وبعد ذلك قامت الجماعة في شكل دائرة، وقد

أمسك كل واحد بيد صاحبه، وكان أحدهم في الوسط، وهم يذكرون الله ويغنون
بأناشيد ويتميلون ويترنحون، وكان ذلك كله غريبًا بالنسبة لي، فما رأيت عزاء مثل
هذا في حياتي، واستغربت أن أكون في بلد الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى، ولا يكون
هنا أثر لدعوته، فالتقاليد والعادات المحدثه حلت محل السنن، بحيث تجابن العلماء
أو تكاسلوا عن إنكارها، فإنا الله وإنا اليه راجعون.



٢٩ جمادى الآخرة يوم الخميس

الشيخ محمد مطيع الحافظ

حضرت صباح اليوم في الساعة العاشرة والنصف لدى شيخنا المؤرخ محمد مطيع الحافظ على موعد معه، والشيخ منزله في العقبية قرب جامع التوبة، وذكر لي الشيخ أن له محاضرة يوم الخميس القادم في جامع التوبة عن الشيخ أبي الخير الميداني، وتسمى جلسة الوفاء، تعقد لإلقاء الضوء على شخصية لها أثرها في دمشق، وتبدأ الجلسة من المغرب بقراءة ختمة من القرآن الكريم، وأيضاً يقرؤون صحيح البخاري، ذكر الشيخ مطيع أنه قد ترجم لأبي الخير الميداني في تاريخ دمشق، وله نية أن يذكر في هذه المحاضرة أشياء ليست موجودة في التاريخ، ولم تذكر من قبل.

سماعه للأربعين العجلونية

وهذه الأربعون المسماة: «عقد الجواهر الثمين في أربعين حديثاً من أحاديث سيد المرسلين» رسالة عظيمة النفع، تلقاها العلماء وتفاخروا بالإسناد إلى مؤلفها، فانتشرت في الآفاق، وقرأها المحدثون لطلابهم ليعم اتصال الأسانيد وينتشر، وقد حاز مؤلفها رحمه الله الإجازات والسند العالي من شيوخه الثقات الكبار قراءة وسماعاً وإجازة، وبذلك نالت هذه الرسالة الشهرة الواسعة عند علماء الإسلام، ومؤلفها هو محدث الديار الشامية، الشيخ المسند الرحلة، الفقيه المفسر، المدرس تحت قبة النسر إسماعيل بن محمد جراح بن عبد الهادي بن عبد الغني بن جراح الجراحي الشهير بالعجلوني، الشافعي، الدمشقي المنشأ والوفاء. ولد بعجلون سنة

١٠٨٧ هـ تقريبًا، وحفظ القرآن الكريم في بلده صغيرًا، ثم رحل إلى دمشق لطلب العلم سنة ١٠٠١ هـ.

واشتغل على علماء كثيرين منهم محمد أبو المواهب الحنبلي: جمع عليه ختمه للسبعة من طريق الشاطبية، وقرأ عليه علم الحديث دراية ورواية، وحضر كثيرًا من دروسه في الصحيحين وغيرهما وانتفع به وأجازه، ومنهم الشيخ محمد الكاملي: حضر دروسه الخاصة والعامة وأجازه بصحيح البخاري وغيره، والشيخ عبد الغني النابلسي: حضر عنده في كثير من دروسه الخاصة والعامة وأجازه، والشيخ إلياس الكردي، والشيخ يونس المصري، والشيخ عبد الرحيم الأوزبكي، والشيخ عبد الرحمن المجلد، والشيخ أحمد الغزي، والشيخ إسماعيل الحايك، والشيخ نور الدين الدسوقي، والشيخ عثمان القطان، والشيخ عثمان الشمعة، والشيخ عبد القادر التغلبي وغيرهم، وأخذ عن كثيرين من الواردين لدمشق.

وأخذ عن علماء الرملة والقدس ومكة المكرمة والمدينة المنورة واستنبول، كالشيخ عبد الله بن سالم المكي البصري، والشيخ محمد المكي الشهير «بعقيلة»، وأبي الحسن السندي. وله أسانيد عديدة ذكرها في ثبته لأسانيد أمهات الكتب التي رواها عن شيوخه، ورتبها على حروف المعجم.

سافر إلى استنبول سنة ١١١٩ هـ، وتولى خلال زيارته لها تدريس قبة النسر، وكان من شروطها أن يتولاها أعلم أهل دمشق، وزار القدس سنة ١١٣٤ هـ. وحج سنة ١١٣٣ هـ. وحج أيضًا سنة ١١٥٧ هـ. وأقرأ صحيح البخاري في الروضة المطهرة. له مؤلفات كثيرة منها غير هذه الرسالة: الأجوبة المحققة عن الأسئلة المفارقة، وحلية أهل الفضل والكمال باتصال الأسانيد بكمل الرجال، والفيض الجاري شرح

فيه صحيح البخاري، وكشف الخفا ومزيل الإلباس عن ما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس. توفي يوم الاثنين ٣ محرم ١١٦٢ هـ، ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان.

قال الشيخ مطيع الحافظ: سمعت الأربعين العجلونية من الشيخ محمد إبراهيم الختني، وسمعتها في السنة نفسها من الشيخ أبي الخير الميداني، والشيخ أبو الخير يروي عن الشيخ سليم المسوتي، عن أحمد مسلم الكيزي عن الوجيه الكيزي، وقرأ أكثرها على الشيخ أبي اليسر ابن عابدين.

وقال في مقدمة الرسالة من طبعته: أروي «الأربعين العجلونية» بحمد الله ونعمته قراءة وإجازة عن شيخ الشيوخ سيدي الشيخ محمد أبي الخير الميداني المتوفى سنة ١٣٨٠ هـ، وهو يرويها عن شيخه الولي الزاهد الشيخ سليم المسوتي المتوفى سنة ١٣٢٤ هـ، عن شيخه المحدث الشيخ أحمد مسلم الكيزي المتوفى سنة ١٢٩٩ هـ، عن شيخه ووالده محدث الديار الشامية الشيخ عبد الرحمن الكيزي المتوفى سنة ١٢٦٢ هـ، عن شيخه مسند عصره أحمد بن عبيد العطار المتوفى سنة ١٢١٨ هـ، عن مؤلفها الشيخ إسماعيل العجلوني محدث الشام رحمه الله تعالى.

وأرويها أيضًا قراءة وسماعًا وإجازة عن شيخ المدينة المنورة ومحدثها ومسندها الشيخ محمد إبراهيم الختني ثم المدني المتوفى سنة ١٣٨٩ هـ بقراءتي عليه وسماعي وإجازته للأربعين العجلونية وغيرها وذلك سنة ١٣٨٠ هـ بدمشق خلال زيارته لها، قال الشيخ الختني رحمه الله: إني أرويها عن مشايخي الأجلة الكرام الشيخ محمد عبد الباقي الأنصاري المدني، والشيخ عمر حمدان المحرسي ثم المدني، والحافظ أبي الإسعاد محمد عبد الحي الكتاني وغيرهم، كلهم عن عالم المدينة المنورة السيد أبي الحسن محمد علي بن السيد ظاهر الوتري، عن صاحب «اللباب» الشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني الدمشقي، وعن عالم مكة المكرمة السيد

أحمد دحلان، كلاهما عن الوجيه عبد الرحمن بن محمد الكزبري، عن المحدث أحمد بن عبيد العطار، عن مؤلفها العجلوني. وأرويهما عن مولانا السيد عبد القادر بن عبد الحميد الشلبي الطرابلسي ثم المدني، وعن السيد عبد الحي الكتاني المذكور، وعن الشيخ عمر حمدان، عن العلامة القاضي أبي النصر الخطيب الدمشقي، عن والده السيد عبد القادر بن عبد الرحيم الخطيب عن الشمس محمد بن مصطفى الرحمتي، والشمس محمد العاني والوجيه عبد الرحمن الكزبري، ثلاثتهم عن الشهاب أحمد بن عبيد العطار، عن مؤلفها العجلوني. ويرويها الشيخ أبو النصر الخطيب، عن الشيخ محمد عمر الغزي سماعاً عليه، عن الشهاب العطار والشيخ محمد سعيد السويدي البغدادي، كلاهما عن مؤلفها العجلوني رحمهم الله تعالى. ولي أسانيد أيضاً.

ثم إن الشيخ الختني رحمه الله أجازني بها مرة أخرى كتابة من المدينة المنورة في ٤ / ١١ / ١٣٨٨ هـ.

وأرويهما عن سيدي عمي فقيه الشام الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت الحافظ رحمه الله المتوفى سنة ١٣٨٩ هـ سماعاً وقراءة لبعضها وإجازة، وهو يروي عن شيخه مفتي الديار الشامية الشيخ محمد عطا الله الكسم المتوفى سنة ١٣٥٧ هـ، عن شيخه المعمر الشيخ عبد الله بن درويش السكري المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ، عن شيخه الشيخ عبد الرحمن الكزبري المتوفى سنة ١٢٦٢ هـ، عن شيخه الشيخ أحمد بن عبيد العطار المتوفى سنة ١٢١٨ هـ، عن مؤلفها الإمام إسماعيل العجلوني رحمهم الله تعالى.

وأرويهما قراءة وإجازة على شيخني مفتي الديار الشامية الطيب الشيخ محمد أبو اليسر عابدين المتوفى سنة ١٤٠١ هـ، وهو يروي عن والده مفتي الشام الشيخ محمد أبو الخير عابدين المتوفى سنة ١٣٤٤ هـ، عن والده الشيخ أحمد بن عبد الغني

عابدين المتوفى سنة ١٣٠٧هـ، عن عمه فقيه عصره المسند الشيخ محمد أمين عابدين المتوفى سنة ١٢٥٢هـ، عن شيخه الشيخ أحمد بن عبيد العطار المتوفى سنة ١٢١٨هـ، عن مؤلفها الشيخ إسماعيل العجلوني رحمهم الله تعالى.

وأرويهما إجازة عن المعمر قاضي الشام المسند الشيخ عبد المحسن الأسطواني المتوفى سنة ١٣٨٣هـ، عن شيخه مفتي الشام السيد محمود أفندي الحمزاوي الحسيني المتوفى سنة ١٣٠٥هـ، عن مسند عصره الشيخ عبد الرحمن الكزبري المتوفى سنة ١٢٦٢هـ، عن الشهاب أحمد بن عبيد العطار المتوفى سنة ١٢١٨هـ، عن مؤلفها الشيخ عماد الدين إسماعيل العجلوني.

وأروي بعضها سماعاً على سيدي الشيخ السيد محمد الهاشمي رحمه الله تعالى المتوفى سنة ١٣٨١هـ. وأروي بعضها سماعاً وقراءة على سيدي الشيخ محمد سعيد البرهاني رحمه الله تعالى المتوفى سنة ١٣٨٦هـ، وهو يروي عن والده الشيخ عبد الرحمن البرهاني والشيخ بدر الدين الحسني، والشيخ محمد صالح الأمدي، والشيخ محمد الهاشمي، والشيخ محمود العطار.

روايته للمسلسل بالأولية

قال الشيخ: وأما المسلسل بالأولية فسمعت بالأولية الحقيقية من الشيخ محمد إبراهيم الختني، وقرأته على الشيخ الأسطواني بروايته عن الشيخ محمود حمزة عن الوجيه الكزبري، وذكر الشيخ أنه متفرد بهذا الإسناد عن الأسطواني، كما يتفرد بقراءة الأربعين العجلونية عن الشيخ أبي الخير الميداني.

أهل الشيخ وبناته

وتزوج الشيخ مطيع من وداد بنت قاسم الزرّلي (المولودة سنة ١٩٥٥م)، ولها ولبتها آلاء وبيان إجازة من عبد العزيز الغماري، كما أنهن قرآن على الشيخ مطيع

الأنوار النبوية، واستخرج فيها أربعين حديثاً في شمائل النبي ﷺ، كل حديث يرويه عن مشايخه بأسانيدهم، وأجاز لهم إجازة، ولهن سماع للمسلسل بالأولية، وحضرن عليه دروس التجويد وبعض كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم، والنحو.

قراءته على عمه

قال الشيخ مطيع: عندما كنت صغيراً أول ما قرأت على عمي الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت، توفي والدي وأنا دون البلوغ في الثانية عشرة من عمري سنة ١٩٥٢م، فرباني عمي ورعاني، وتخرجت عليه.

ولدت سنة ١٣٥٩هـ في شهر ربيع الأول، بعد وفاة أبي بدأ عمي بالتوجه لي، وبدأت قراءة النحو عليه، قرأت كتاب الدروس النحوية، وكتاباً في الشعر، وهو نظم اللآلي، يشرحه ويطبق فيه النحو، بعد ذلك قرأت عليه القرآن والتجويد، وبدأت الحفظ عليه، وتعلمت منه التجويد مشياً، كنت أرافقه في الطريق. اليوم نأخذ مثلاً المد الطبيعي، ويشرح لي في الطريق، وأخذت التجويد أكثره في الطريق. ثم قرأنا عليه شرح قطر الندى في جلسات كثيرة، كان عمي محققاً، قد لا يقرأ غير سطر واحد في الجلسة، وكنت أحضر عليه في دروسه الخاصة والعامة.

قرأت عليه كتاب «مراقي الفلاح» أكثر من مرة، وشرح الطحطاوي، و«اللباب في شرح الكتاب»، وكان له في «اللباب» إسناد عال، لأنه تلقاه عن شيخه عطاء الله القسم، الذي تلقاه عن المؤلف. وكتاب «اللباب» مختصر لحاشية ابن عابدين، وفيه اعتماد أقوال ابن عابدين. وقرأنا عليه كتاب «الهدية العلائية» في الفقه الحنفي بشكل منفرد وحدي أنا، وقرأنا عليه قسماً من «حاشية ابن عابدين»، و«الاختيار»، و«منية المصلي»، و«شرح الحكم العطائية»، وحضرت عليه بعض الجلسات لكتاب «تحفة الفقهاء»،

درّسه لفئة من الطلاب، كانوا يدرسون في جامعة دمشق. كان عمي له جلسات لبعض الأشخاص على المستوى العالي.

كان له جلسة يحضرها كبار العلماء، ما كنت أنا أحضرها، مثلاً الشيخ سعيد الطنطاوي، والدكتور هيثم الخياط، والشيخ بكري الطرابيشي، ومحمد هشام برهاني، وتيسير العتيبي، والقاضي محمد شماعه، وكلهم أصبحوا علماء كباراً. قرأت عليه أكثر من عشرة أجزاء من القرآن الكريم حفظاً، وسمعت عليه القرآن كله مراراً، فقد كان يعمل ختمات كثيرة.

اتصاله بالشيخ أبي الخير الميداني

ثم اتصلت بالشيخ أبي الخير الميداني، دلني عليه الشيخ محمد رياض المالح، وتزوج أختي فيما بعد، وكان جارنا في البيت، وسبقني بالأخذ عن أبي الخير الميداني فرافقته، وبدأت أحضر عند الشيخ أبي الخير في جلساته العامة، وقبيل وفاة الشيخ بسنة ونصف تقريباً أصبحت من أقرب الناس إلى الشيخ، وكان الشيخ رجلاً ربّانياً، وكان السيد أبو الحسن الندوي كلما أتى دمشق زار الشيخ، فقبل وفاة الشيخ بسنة ونصف تقربت من الشيخ بشكل كبير جداً، وأصبحت أحضر في بيته كل يوم أكثر من مرة، وحضرت مع اثنين مع زملائي في جلسة خاصة علمية توجيهية، يقرأ فيها «الجامع الصغير»، وعندما يقرأ لا يعني أنه يقرأ الحديث فقط، بل كان يحيط بكل جوانبه من التاريخ وعلم الرجال، وكان من أعلم الناس في علم الرجال.

وكان توجهه كبيراً جداً بالنسبة لي، من كراماته أنه قال لي: آخر دكة، أي: آخر حمل منه، والولد الأخير لوالده، وكان يقول ذلك لي. ولم يأخذ عنه أحد بعدي، وكنت آخر تلاميذه.

وأخذت منه الطريقة النقشبندية، كان المشايخ لا يعطون الطريقة النقشبندية إلا للعلماء، ولكن تساهلوا أخيراً، وأعطوها لطلاب العلم.

قال الشيخ لي: أنت الليلة صلّ ركعتين، ونم على وضوء، وتخبرني في الصباح ما ترى. ففي الليلة رأيت أسير في طريق، وهذا الطريق الشمس مسلطة عليه بأنوار، ثم وجدت في آخر الطريق الشيخ أبا الخير الميداني، فقلت له: يا سيدي رأيت كأني أسير في طريق منير والشمس تسطع، فقال في المنام: اجلس أعطك الطريقة النقشبندية، وفي الصباح بعد الفجر تأخرت قليلاً خشية إزعاج الشيخ، فعندما دخلت، قال: لماذا تأخرت؟، أنا انتظرت من الفجر، حدثني ما رأيت، فحدثته، فقال: اجلس، ولقنني الذكر وآداب الطريق وكل ما يتعلق به.

وحضرت لديه «مجمع الزوائد» للهيتمي، وكان الشيخ دقيق العبارة، فوجد في النسخة التي كنا نقرأ منها أخطاء كثيرة، فكنا نذهب إلى مكتبة الظاهرية ونضبط الكتاب على نسختين من مكتبة الظاهرية، وكان الشيخ يسرّ بهذا التحقيق جداً، وكنا نقرأ عليه «راموز الحديث»، وهو على طريقة «الجامع الصغير»، ونقرأ عليه «الفتوحات المكية»، وفي الجلسات الخاصة كان يشاركني الشيخ عبد الماجد الحناوي والشيخ مظهر تلولو، هذه جلسات خاصة.

زيارة الشيخ إبراهيم الختني لدمشق

وفي هذه الأثناء حضر من المدينة المنورة الشيخ إبراهيم الختني، وهو فقيه حنفي نقشبندي كبير، وزاهد متواضع كريم، فقال الشيخ أبو الخير لي: هذا ضيفي فاعتن به واخدمه، وكنت أخدم الشيخ أبا الخير وأعتني به، حتى إنه كان يجلسني في جلسات رابطة العلماء قريباً منه فإذا احتاج إلى شيء أعنته، فكلفني الشيخ أبو الخير خدمة الشيخ الختني، وكنت أجلس معه في المكتبة الآجرية «نسبة إلى أبي بكر

الآجري»، وكانت مع الشيخ الأربعون العجلونية، وكنت لا أعرف إلا الأربعين النووية، فقال: أريد أن تقرأ علي هذا الكتاب، فقرأته، وفي البداية المسلسل بالأولية، وقال لي: هذا الكتاب مهم جدًا، فوصفه لي وذكر عادة العلماء من قراءته ومزاياه، وسألني إذا كان من الممكن أن أتولى طباعته، وسافرت معه إلى نوى لزيارة الإمام النووي، وإلى بصرى لزيارة الآثار النبوية، وبقيت الصلات مستمرة معه بالمراسلة، ثم عزمت على طباعة الكتاب وطبعته تلبية لرغبة الشيخ، أهل دمشق ما كانوا يعرفون الإجازات، فلما طبع الكتاب بدأت الإجازات تنتشر، عندما كان الشيخ في دمشق رغبت أصدقائي أن يسمعوا منه العجلونية، منهم محمد رياض المالح، والشيخ أسعد الصاغري، فقرؤوا عليه، وبذلك بدأت الإجازات تنتشر والسماعات، بعدما سافر الشيخ الختني التمس من الشيخ أبي الخير أن أقرأ عليه هذه الأربعين، ولم يقرأها عليه غيري، فأفرد بروايته فيها.

الشيخ سعيد البرهاني

وكنْتُ أواظب كذلك على دروس الشيخ سعيد البرهاني، وكان له درسان: درس بعد الفجر، ودرس بعد المغرب، وهناك دروس أخرى، فكنت أواظب على هذه الدروس، فقرأنا عليه «مراقي الفلاح» و«الهدية العلائية» و«الترغيب والترهيب»، و«فيض القدير شرح الجامع الصغير»، و«ملتقى الأبحر»، و«حاشية الصاوي على الجلالين»، وكتبنا أخرى، وكنا نرافقه إلى شيخه محمد الهاشمي رحمه الله تعالى. فحضرنا عنده في «إحياء علوم الدين» و«نوادر الأصول».

شيوخ له آخرون

قرأت عند عمي في الأصول «شرح المنار» لابن ملك، ومن مشايخي أيضًا الشيخ إبراهيم يعقوبي، قرأت عليه «شرح المنار» لابن ملك، وأيضًا «شذا العرف في

فن الصرف». وعندما حضر إلى دمشق الشيخ محمد العربي التباني زرتة مع الشيخ رياض المالح، وطلبت منه الإجازة فكتب إجازة خطية عامة، وهو يروي عن الشيخ يوسف النبهاني.

وبعد وفاة عمي قرأت على الشيخ أبي اليسر ابن عابدين في «اللباب»، و«حاشية ابن عابدين»، وأكثر «الأربعين العجلونية»، وتوفي الشيخ بعده، وتابعت حفظ القرآن الكريم على الشيخ حسين خطاب، والشيخ محمد سكر، ولكن لم أتممه، اللهم اجعلنا من حفظته.

أخذه عن الأسطواني

والشيخ عبد المحسن الأسطواني شيخ معمر تجاوز المئة وثلاث عشرة سنة، وله روايات عالية جدًا، وكان منعزلًا في بيته، ففي إحدى المرات ذهب الشيخ أبو الخير الميداني وعمي الشيخ عبد الوهاب والشيخ سعيد البرهاني مرة لزيارته، وكنت برفقتهم فوجدت المشايخ الثلاثة يعظمون الشيخ الأسطواني وكأنه شيخهم، فرغبت أن أستجيزه، فبعد أيام قلت لصديقي رياض المالح ووصفته له، فذهبنا معًا، وطرقنا الباب، فخرجت الخادمة، واعتذرت من أن ندخل، فقلت لها: أنا فلان ابن أخي الشيخ عبد الوهاب، قل لي له ذلك. وكان الشيخ الأسطواني يحب عمي كثيرًا ويقدره، فدخلنا عليه وقرأنا عليه المسلسل بالأولية، فكتب لنا الإجازة بخطه، خاصة بكل كتاب قرأناه. قال الشيخ مطيع: هؤلاء شيوخ الذين سمعت منهم أو قرأت عليهم، ومشايخي بالإجازة كثيرون.

دراسته الجامعية

درست في جامعة دمشق في قسم اللغة العربية، وأخذت شهادة البكالوريوس، ثم أخذت شهادة الماجستير في لاهور جامعة البنجاب، والدكتوراه من أذربيجان، وكانت

رسالتي للدكتوراه حول موضوع «القراءات وكبار القراء في دمشق»، ذكرت فيها أن دمشق كانت قراءتها للأئمة الثلاثة: عبدالله بن عامر الدمشقي، وأبي عمرو بن العلاء البصري، وحفص عن عاصم الكوفي، وذكرت في الكتاب أحوال هؤلاء القراء ومن تتلمذ عليهم، ومدارسهم في دمشق.

عمله في التأليف والتحقيق

ذكرت أول ما طبعت «الأربعين العجلونية»، ثم كتاب «الصّلات والبشر في الصلاة والسلام على سيد البشر» للفيروزآبادي، بالمشاركة مع زميلين توفيا رحمهما الله.

وبعد تخرجي من الجامعة أو أثناء دراستي الجامعية عيّنت مديراً لمكتبة مجمع اللغة العربية، وكان السبب في دخولي في المجمع الدكتور شكري فيصل رحمه الله، وكان هو صاحب مشروع تحقيق «تاريخ ابن عساكر»، فضمني إلى لجنة العمل فيه، وأصبح يدرّبنا على التحقيق العلمي، وأصدرنا جزءاً كبيراً من كلمة «عاصم» إلى كلمة «عائذ».

ومن هنا انطلقت إلى تحقيق المخطوطات والتأليف، لكن الشيء الذي تخصصت فيه هو دراسة السماعات على المخطوطات، وهذه القضية لفت انتباهي إليها ثلاثة أشخاص: الأول الدكتور شكري فيصل، والثاني أحمد راتب النفاخ، والثالث الدكتور صلاح الدين المنجد، ذكروا أن السماعات على المخطوطات هي ثروة كبيرة، يستطيع الإنسان أن يستفيد منها في نواح كثيرة من توثيق الكتاب، وسنده، وتلاميذ المسمع، وترجمة المسمع، ورحلات السامع والمسمع، وفوائد أخرى كثيرة. عندما طبعت كتاب «فضائل بيت المقدس» وجدت أن المؤلف هو ضياء الدين المقدسي يصفه المؤرخون والمحدثون بأنه حافظ كبير له مؤلفات ومسموعات كثيرة،

ولكن ترجماته في الكتب لا تتجاوز الصفحات القليلة، وأكبر ترجمة له في «تاريخ الإسلام» للذهبي في حدود سبع أو ثمان صفحات، وفي الظاهرية مؤلفات الضياء والكتب التي سمعها على شيوخه، وفي آخرها السماعات، فقلت: لا بد لي من صنع ترجمة ومشخة لهذا الحافظ، فبدأت جمع البطاقات وتصوير السماعات، حتى تجمع لديّ كم كبير من السماعات رتبها بحسب الشيوخ، وبدأت أستخلص من كل سماع اسم الكتاب واسم المؤلف، وسند الشيخ ومكان السماع وتاريخ السماع، وأسماء المشاركين، وبذلك استطعت أن أحدد رحلة الضياء إلى بغداد وإلى مصر وإلى الشرق الإسلامي، وتجمع لديّ أكثر من خمسمئة شيخ له، جمعت لكل شيخ ترجمة، وخاصة مما قاله الضياء، وأصدرت كتاب «التنويه والتبيين في سيرة حافظ الشام ضياء الدين». كانت قضية السماعات منطلقاً إلى كتب كثيرة بعد ذلك.

ومن مؤلفات الشيخ: «دار الحديث الضيائية»، و«دار الحديث النورية»، و«الخانقاه السميّساطية»، و«مشخة الضياء».

إجازة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة

ذكر الشيخ أنه أجازته الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله بدون طلب، وقال: كان يحبني مع أنني لم ألتق به إلا ثلاث مرات.

قراءتي على الشيخ

ثم قرأت على الشيخ: «الأربعين العجلونية»، ولما بلغت حديث سنن أبي داود سألتني أن أؤخّر القراءة إلى مجلس آخر.

أخبرنا الشيخ محمد مطيع الحافظ قراءة مني عليه، أنا شيخ الشيوخ سيدي الشيخ محمد أبي الخير الميداني، أنا الشيخ سليم المسوتي، أنا الشيخ أحمد مسلم

الکزبري، أنا أبي عبد الرحمن، أنا أحمد بن عبيد العطار، أنا مؤلفها الشيخ إسماعيل العجلوني محدث الشام رحمه الله تعالى، قال: الكتاب الأول... صحيح الإمام البخاري: قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري عليه رحمةُ الكريمِ الباري في أول صحيحه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

وبالسند إليه قال: حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، قال: أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر يقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

وأما الحديث تاماً فهو: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

وبالسند إليه قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله تعالى عنه سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»، قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإنه جبينه ليتفصد عرقاً.

الكتاب الثاني... صحيح مسلم: قال الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري رحمه الله تعالى في أول صحيحه بعد خطبته الطويلة المشتملة على أحاديث جليلة: كتاب الإيمان.

وبالسند إليه قال: حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب، قال: حدثنا وكيع عن كهمس عن عبد الله بن بريدة، عن يحيى بن يعمر - ح - وحدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري وهذا حديثه قال: حدثنا أبي قال: حدثنا كهمس، عن ابن بريدة، عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما داخلًا المسجد، فاكتفتيه أنا وصاحبي، أهدنا عن يمينه والآخر عن شماله. فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي.

فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم. وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر. وأن الأمر أنف، فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أي بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر: لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه.

وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»، قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله

ويصدق. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: فأخبرني عن الساعة. قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: «أن تلد الأمة ربها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان»، قال: ثم انطلق، فلبث ملياً، ثم قال لي: «يا عمر، أتدري من السائل؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم، وذكر الحديث من طرق أخرى بروايات مختلفة.

الكتاب الثالث ... سنن أبي داود: قال الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني رحمه الله تعالى في أول سننه: باب التخلي عند قضاء الحاجة. وبالسند إليه قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة القعنبي، حدثنا عبد العزيز -يعني ابن محمد-، عن محمد -يعني: ابن عمرو-، عن أبي سلمة، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا ذهبَ المذهبَ أبعدَ. ورواه بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بلفظ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد.

مقبرة باب الفراديس

ثم أخذني الشيخ معه إلى زيارة مقبرة الدحداح، «نسبة إلى أحد التابعين اسمه أبو الدحداح»، وهي مقبرة حي الشيخ، وهي جزء من مقبرة باب الفراديس، وما من مقبرة في بلاد الشام إلا وتضم كبار العلماء والمشايخ. وفي مقبرة الدحداح قبور بني حمزة وبني العطار وبني الكزبري والغزي، فزرت مع الشيخ قبور بعض المعروفين، ودعونا لهم ولأنفسنا، ومن الأضرحة التي زرتها:

الشيخ رياض المالح

ضريح الشيخ رياض المالح، وهو زوج أخت الشيخ مطيع الحافظ، وكان أكبر منه بسنة، توفي يوم السبت ١٧ ربيع الأول سنة ١٤١٩ هـ، وهو العلامة المؤرخ محمد رياض بن محمد خليل بن السيد عطا المالح. ولد بدمشق سنة ١٣٥٨، ويروي عن أبي الخير الميداني، ومحمد سعيد البرهاني، وعبد الوهاب دبس وزيت، والسيد محمد الهاشمي، ومحمد مكي الكتاني، وعبد المحسن الأسطواني، ومحمد أبي اليسر ابن عابدين، وإبراهيم اليعقوبي، وأبي الحسن زيد الفاروقي، وشيخنا أبي الحسن الندوي، وياسين الفاداني، وإبراهيم اليعقوبي.

الشيخ محمد سعيد الحلواني

وضريح المقرئ الكبير السيد محمد سعيد الحلواني، مكتوب عليه: أشرف أمتي حملة القرآن، هذا مرقد العلامة الفقيه كعبة القراء وإمام هذا الفن في الضبط والإتقان والأداء وحجة الأطباء المحسن الكبير الحسيب النسيب الطيب السيد محمد سعيد الحلواني ابن شيخ القراء الشيخ محمد سليم ابن شيخ مشايخ القراء مجدد هذا الفن في هذه الديار وما جاورها الشيخ أحمد الرفاعي الشهير بالحلواني تغمدهم الله برحمته ورضوانه وأسكنهم فسيح جنانه، لقد لبى نداء ربه الكريم يوم الثلاثاء في ١١ ربيع الأول سنة ١٣٨٩، الموافق ٢٧ أيار سنة ١٩٦٩ م.

الشيخ سليم المسوتي

وضريح الشيخ سليم المسوتي، مكتوب عليه: ضريح شيخ الزاهدين والمتوكلين الشيخ سليم المسوتي، توفي يوم الأربعاء شعبان ١٣٢٤ هـ.

وهو الشيخ سليم بن خليل المسوتي الحنفي الأرناؤوطي الدمشقي. ولد عام ١٢٤٨ هـ بدمشق في محلة العقيبة. قرأ صغيراً على والده وعلماء محلته، ثم تابع تحصيله العلمي، فقرأ في مختلف العلوم ومنها الحديث رواية ودراية على مشايخ كثيرين، منهم: الشيخ بكري العطار، والشيخ سليم العطار، والشيخ عبد الرحمن الحفار، والشيخ أبو المحاسن القاوقجي، والشيخ أحمد مسلم الكزبري محدث دمشق، وهو عمدته في الرواية يروي من طريقه أسانيد عبد الرحمن الكزبري الحفيد، عن أبيه عن جده، وهي من عوالي الأسانيد، وكان معيداً لدرس شيخه أحمد في «صحيح البخاري» تحت قبة النسر بجامع دمشق، ثم تصدى للتدريس.

وكانت أغلب دروسه في الحديث النبوي وعلومه، وأقرأ صحيح البخاري مع بداية عام ١٢٦٥ هـ، وأصبح له مزيد عناية به، وكان من أنبه تلامذته ذكرًا الشيخ أبو الخير الميداني الذي أصبح فيما بعد رئيس رابطة العلماء. توفي الشيخ المسوتي سنة (١٣٢٤ هـ) ولم يترك آثاراً علمية، وذلك أنه غلب عليه الزهد والبعد عن السمعة.

الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت

وضريح الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت عم الشيخ محمد مطيع الحافظ، مكتوب عليه: بسم الله الرحمن الرحيم، إنما يخشى الله من عباده العلماء، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، هذا ضريح علامة الشام أبي حنيفة الصغير القارئ المقرئ المتقن الزاهد الورع الشيخ عبد الوهاب الحافظ الملقب بـ «دبس وزيت». توفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء ١٠ رمضان ١٣٨٩ الموافق ١٩ تشرين الثاني ١٩٦٩ م.

أبو الخير الميداني

وضريح الشيخ أبي الخير الميداني، مكتوب عليه: ضريح العالم العلامة الشيخ محمد أبي الخير الميداني شيخ الطريقة النقشبندية ورئيس رابطة العلماء في دمشق الشام المتوفى سنة ١٣٨٠ هـ.

سعيد البرهاني

وضريح الشيخ محمد سعيد البرهاني، مكتوب عليه: مرقد العلامة التقي الصالح الجامع بين الشريعة والحقيقة الإمام الرباني الشيخ محمد سعيد البرهاني توفي ١٥ شوال سنة ١٣٨٤ هـ الموافق كانون الثاني ١٩٦٧ م.

سيدي محمد الهاشمي

وضريح العلامة الشيخ محمد الهاشمي، مكتوب عليه: ضريح العارف الرباني مربى المريدين شعراني زمانه وأوحد السادة المتواضعين الشيخ محمد بن أحمد الهاشمي التلمساني، استجاب لدعوة ربه يوم الثلاثاء ١٢ رجب ١٣٨١ هـ.

أحمد نصيب المحاميد

وضريح شيخنا الجليل أحمد نصيب المحاميد مكتوب عليه: الفاتحة، بسم الله الرحمن الرحيم إن الذين يتلون كتاب الله ... غفور شكور، صدق الله العظيم، ضريح القارئ المقرئ الزاهد الورع المتقن الشيخ أحمد نصيب المحاميد، توفي شعبان ١٤٢١ هـ الموافق ٢٩ / ١٠ / ٢٠٠٠. وهو الشيخ المسند المعمر الأديب الفاضل الصالح أحمد نصيب بن محمد سعيد نصيب المحاميد الدمشقي الشافعي.

. ولد سنة ثلاثين وثلاثمئة وألف في منطقة نصيب من حوران، يروي عن المحدث الأكبر، قرأ عليه «السوسية الكبرى» في التوحيد، و«الرضي على

الكافية»، وقسمًا من «صحيح الإمام البخاري»، وقسمًا من «صحيح الإمام مسلم»، والمجلد الأول من «الكشاف» للزمخشري، و«متن القاضي البيضاوي» في أصول الفقه، و«شرح السيد بدر الدين على قصيدة غرامي صحيح» و«إيساغوجي» في علم المنطق، كما سمع منه الحديث المسلسل بالأولية الإضافية، والمسلسل بالسادة الشافعية، وأجازه إجازة عامة.

ومن شيوخه: العلامة الكبير صاحب النهضة العلمية في البلاد الشامية الشيخ علي بن عبد الغني الدقر الدمشقي الشافعي (١٢٩٤-١٣٦٢)، حضر دروسه العامة، وتلقى عنه «جوهرة التوحيد» لإبراهيم اللقاني، مع شروحاتها كشرح ابنه عبد السلام، وشرح الشيخ إبراهيم الباجوري، و«حاشية الصاوي على الجلالين»، و«الترغيب والترهيب»، و«الباجوري على ابن قاسم»، و«إعانة الطالبين»، و«البجيرمي على الخطيب» كلها في الفقه الشافعي، و«الجواهر المكنون في ثلاثة فنون»، و«إحياء علوم الدين» للغزالي و«إيساغوجي» في علم المنطق، و«شرح الزرقاني على البيقونية»، و«سيرة ابن هشام» وكتبًا أخرى، وقد أجازه الشيخ علي الدقر إجازة عامة.

ومن شيوخه: العلامة الأصولي محمد أمين بن محمد سويد الدمشقي الحنفي (١٢٧٣-١٣٥٥)، قرأ عليه «متن المنار»، وأجازه إجازة عامة. ومن شيوخه: العلامة الفقيه الأصولي الشيخ محمود بن محمد رشيد العطار الدمشقي الحنفي (١٢٨٤-١٣٦٢)، قرأ عليه «الأصول» للقاضي البيضاوي، و«نظم السلم المنورق»، و«مسند الإمام الشافعي»، و«إيساغوجي» في المنطق، وأجازه إجازة عامة.

ومن شيوخه: العلامة الخطيب الشيخ عبد الجليل بن سليم الدرة الدمشقي (ت ١٣٦٦)، وأجازه بجميع مروياته.

ومن شيوخه: العلامة المحدث النحوي الشيخ أبو الخير الميداني الدمشقي الحنفي (١٢٩٣ - ١٣٨٠)، قرأ عليه كتاب «البلاغة التطبيقية»، ولازم دروسه، وسمع منه الحديث المسلسل بالأولية الإضافية، والمسلسل بالدمشقيين، وأجازه إجازة عامة.

وقرأ ختمة كاملة على العلامة القارئ الحجة الشيخ عبد الوهاب بن عبد الرحيم الشهير بدبس وزيت الكيلاني الدمشقي الحنفي (١٣١١ - ١٣٨٩)، وأجازه بجميع مروياته.

وقرأ على شيخ الشافعية بدمشق العلامة الفقيه الشيخ صالح بن أحمد العقاد الدمشقي الشافعي (١٣١٠ - ١٣٩٠) كتاب «شرح البهجة» لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وأجازه إجازة عامة.

وتدبج مع شيخنا عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى. أجاز لي مرارًا، أولها يوم السبت خامس عشر رجب سنة ثمان عشرة وأربعمئة وألف، وأخيرًا ألف صديقنا المفضل المسند محمد بن عبد الله الرشيد ثبًا خاصًا له سَمَاهُ «فتح العلام بأسانيد ومرويات مسند الشام»، بدأه بترجمة للشيخ، ثم ذكر أسانيده عن شيوخه المسندين، فاتصالاته ببعض أثبات الدمشقيين، وأسانيده للكتب العشرة، وغير ذلك، أهده إلي، ثم أخرج له طبعة ثانية سنة إحدى وعشرين وأربعمئة وألف، وأهدى إلي نسخة عليها إجازة لي ولأولادي.

والدة الشيخ

وضريح والدة الشيخ مطيع الحافظ، والشيخ عبد الوهاب دبس وزيت عمها من الرضاة، مكتوب عليه: الفاتحة، بسم الله الرحمن الرحيم، إنما يوفى الصابرون

أجرهم بغير حساب، مرقد المرحومة الحاجة بشيرة بنت محمد الصباغ، حرم
المرحوم محمد واصل الحافظ. توفيت ليلة الجمعة ٢٤ شعبان ١٤١٧ هـ.

والد الشيخ

وضريح والد الشيخ مطيع، ومكتوب عليه: الفاتحة

أمسيت ضيف الله في دار الرضا وعلى الكريم كرامة الضيفان
يعفو الملوك للنازلين بحبيهم كيف النزيل بساحة الرحمن

هذا قبر المرحوم محمد واصل ابن المرحوم الشيخ عبد الرحيم دبس وزيت،
توفي في ٢ شعبان ١٣٧١ هـ.

دار الشيخ أبي الخير الميداني

ثم خرجنا من القبرة متجهين إلى دار الشيخ أبي الخير الميداني رحمه الله تعالى،
ونحن في حي العقبة فقال الشيخ مطيع: وكان هذا الحي قديمًا يسمى الأوزاع، وكان
الإمام الأوزاعي يسكن هنا.

ثم دخلنا في بيت الشيخ أبي الخير الميداني، والآن يملكه بعض الدمشقيين.
ورأينا فيه نخلة، فقال الشيخ مطيع: إنها من عهد الشيخ. ثم أراني المكان الذي تم
تغسيل الشيخ فيه، ولم يعقب الشيخ. فوجدنا من اشترى البيت يقوم ببعض التراميم
فيه، وأشار الشيخ مطيع إلى غرفة في الدور الأعلى وقال: هي بيت التموين، ثم قال
الشيخ مطيع: هذا البيت كان خطيرًا جدًا، كان يزوره فيه أعلام المشايخ والعلماء
ورجال الثورة.

الكتاب المذكور في تاريخ دمشق

دار الثقافة والتراث

ثم استأذنت الشيخ ناويًا أن أراه قريبًا، واتصلت بالأخ محمد وائل، فسألني أن أزور دار الثقافة والتراث، فاستأجرت سيارة، ووصلت إليها في ساحة العباسيين. إن دار الثقافة والتراث قام الشيخ حسام الدين فرفور بإنشائها، تقوم بخدمة التراث خدمة علمية وتحقيقية، ثم نشرها في ثوب قشيب.

إخراج حاشية ابن عابدين

وأعظم ما عنيت به الدار هو إخراج حاشية ابن عابدين «رد المحتار على الدر المختار» لمحمد أمين بن عمر الشهير بابن عابدين المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ بتحقيق شيخنا الدكتور حسام الدين بن محمد صالح فرفور، طبع الجزء الأول سنة ١٤٢١ هـ، وصدر إلى الآن ستة عشر جزءًا، وهذه الطبعة للكتاب مقابلة على ثلاث نسخ خطية منقولة عن أصل المؤلف، مع توثيق النصوص من مصادرها المخطوطة والمطبوعة، ويتصدر بتنبيه وبيان: نلفت أنظار القراء الكرام إلى أننا أفردنا مجلدًا خاصًا بدراسة «حاشية ابن عابدين» مشتملاً على الأمور التالية:

١ - مقدمة التحقيق.

٢ - منهجنا في التحقيق، وفي ثناياه دراسة عما ألف من الشروح والحواشي والتقارير والفهارس لكل من «تنوير الأبصار» و«الدر المختار» و«رد المحتار» ومخطوطاتها في المكتبات العالمية.

٣ - ترجمة الماتن التمرتاشي، والشارح الحصكفي، والمحشي ابن عابدين، والرافعي صاحب التقارير.

٤ - دراسة منهج العلامة ابن عابدين رحمه الله في حاشيته.

٥- الاستدراكات على العلامة ابن عابدين رحمه الله، وعلى بعض المؤلفين الذين نقل عنهم، وعلى بعض كتب المذهب، وعلى مطبوعة بولاق، والمطبوعة الميمية «في قسم العبادات».

٦- المقدمات العلمية للكتاب.

كما نلفت الأنظار إلى أننا قمنا بصنع فهرس علمية لقسم العبادات، وجعلناها في نهاية الجزء السابع منه، تسهيلاً لوصول القارئ إلى مراده.

والكتاب يزدان بمقدمتين، إحداهما لفضيلة الشيخ العلامة عبد الرزاق الحلبي مدير الجامع الأموي، ومما قال فيه:

إن حاشية العلامة محمد أمين عابدين نالت من الشهرة والثقة عند العلماء والفقهاء والمحققين ما لم ينله كتاب جاء بعدها، فلا يستغني عنها عالم أو مفت أو فقيه، لأنها جمعت من المسائل ما لم يجمعه غيرها، فإن فيها ما قاله الأوائل من العلماء الحنفية، وما قاله المتأخرون مع ذكر ما استقر عليه الأمر في الفتوى.

وقد وفق الله تعالى الدكتور الشيخ حسام الدين فرفور لتحقيق النسخة المعتمدة، وبذل جهده في إخراجها محققة وموثقة، بالرجوع إلى المصادر التي نقلت منها، فيا له من عمل شاق وجهد كبير.

وقد اطلعت على منهج التحقيق فرأيت منهجاً سليماً من العيوب، بذل فيه الباحثون من شباب العلماء وطلاب العلم غاية الجهد، بتوثيق الأقوال والفتاوى، وقاموا بعمل جليل أخذ منهم وقتاً طويلاً، على أنهم لا يدعون لأنفسهم العصمة والكمال، ولكن الواقع يشهد لهم بذلك، فجزاهم الله تعالى خيراً.

هذا، وإن مما هو جدير بالذكر والقول بأن كتاب الحاشية للعلامة ابن عابدين أصبح بعد هذا التحقيق والتوثيق والرجوع إلى النسخة الخطية الأصلية من أهم الكتب للسادة الحنفية، وقد اعتنى فيه بذكر الكتب المؤلفة، وذكر مؤلفيها وتراجمهم أخذًا من المراجع والمصادر التي تزيد على ستمئة وخمسين مصدرًا^(١).

والمقدمة الأخرى لفضيلة الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، قال فيها:

إنني أهني الأخ الأستاذ الدكتور الشيخ حسام الدين فرفور على هذا العمل العلمي الرصين، الذي أخرج ما يسمى بتحقيق التراث من مجاله التقليدي المحدود في فائدته وأثره إلى المجال العلمي والإبداعي العظيم في أثره وفائدته.

كما أهنته أن اختار لهذا العمل كتابًا من أجل كتب الشريعة الإسلامية، ومن أغزرها فائدة وعلماً، وأحوجها إلى هذا التحقيق المتميز.

ولئن جاءت أطروحته التي نال بها درجة الأستاذية مقتصرة على الجزء الأول والثاني من قسم العبادات من «حاشية ابن عابدين»، فإنني لأرجو أن ينسج الإخوة الماضون في إكمال هذا العمل على منواله، وأن يواصلوا جهودهم، وصبرهم على طريق هذا التوثيق، حتى يولد هذا الكتاب العظيم ولادة جديدة في إطار جديد ونادر من القيمة العلمية المتميزة.

وعندئذ تتحول «حاشية ابن عابدين» من مجموعة فروع كثيفة وكثيرة لا حصر لها يتيه في غمارها القارئ، إلى مجموعة أغصان موصولة أمام القارئ بجذعها ثم بجذورها، وقد كان العلم ولا يزال نسبًا يحيا بامتداده، ويتربّخ ببلوغ معينه^(٢).

(١) حاشية ابن عابدين بتحقيق حسام الدين فرفور (٩/١).

(٢) حاشية ابن عابدين بتحقيق حسام الدين فرفور (١٢/١).

الجماعة العاملون في المشروع

وقد انفرد الشيخ حسام الدين بتحقيق الجزء الأول والثاني، وبما أن المشروع كبير، والشيخ مثقل بالمسؤوليات استقطب جماعة من الشباب يعملون على تحقيق الأجزاء المتبقية تحت إشرافه، وفي ذلك تربية لهم على البحث والتحقيق، ومن بين العاملين في هذا المشروع أخونا محمد وائل الحنبلي.

ويقوم بإدارة دار الثقافة والثرات الشيخ خضر شحرور بن أحمد فائز، ولد في ١٩٧١/٥/٢٦ في عربين ريف من أرياف دمشق، درس في معهد الفتح الإسلامي، وتخرج فيه، ثم حصل على درجة «الليسانس» من جامعة الأزهر كلية الشريعة، وأخذ «الدبلوم» تخصص أصول الفقه، ثم حصل بعدها على درجة «الماجستير» تخصص أصول الفقه من جامعة الأزهر كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ويحضر حالياً رسالة الدكتوراه.

وهو خطيب في مسجد الهدى بالزبداني من دمشق، ومن أعماله العلمية إلى جانب مشاركته في تحقيق «حاشية ابن عابدين» تحقيق كتاب «إنقاذ الهالكين في النهي عن اتخاذ الأجرة على قراءة القرآن الكريم» لمحمد بن بير علي البركوي، وتحقيق كتاب «الدر اليتيم» في علم التجويد للبركوي أيضاً، وتحقيق جزء من كتاب «التقرير والتحرير» لمحمد بن محمد ابن أمير حاج الحلبي (ت ٩٨١هـ)، وألف كتاب «الدعوة المجابة»، وأهدى إليّ نسخة منه.

كتاب درة الغواص

وأهدت إليّ دار الثقافة والتراث من مطبوعاتها نسخة من كتاب «درة الغواص في أوهام الخواص» لأبي محمد القاسم بن علي بن محمد البصري الحريري (٤٤٦ - ٥١٦) حققه وعلّق عليه بشار بكور، وقدم له الأستاذ الدكتور حسام الدين فرفور،

و«الدرة» يمتاز من بين الكتب المؤلفة للتنبيه على ما وقع فيه العلماء من وهم ولحن وخطأ وتصحيف وتحريف بما حظي من النصيب الأوفر من التأليف التي دارت في فلكها، ما بين شرح ونظم ودراسة وتذليل واستدراك، وكثرة الكتب التي نقلت عنها وأفادت منها، وأنقل هنا مقدمة الحريري لكتابه والتي تلقي الضوء على هدفه من هذا العمل، ثم أتبعه بالوهم الأول كمثال لمنهج في تصحيح الأوهام.

يقول الحريري: فإني رأيت كثيرًا ممن تسنّموا أسنمة الرتب، وتوسموا بسمّة الأدب قد ضاهوا العامة في بعض ما يفرط من كلامهم، وترعف به مراعف أقلامهم، مما إذا عُثر عليه وأثر عن المعزو إليه خفض قدر العلية، ووصم ذا الحلية، فدعاني الأنف لنباهة أخطارهم، والكلف بإطابة أخبارهم، إلى أن أدرا عنهم الشبه، وأبين ما التبس عليهم واشتبّه، لألتحق بمن زكّى أكل غرسه، وأحب لأخيه ما يحب لنفسه، فألفتُ هذا الكتاب تبصرة لمن تبصر، وتذكرة لمن أراد أن يذكر، وسميته «درة الغواص في أوهام الخواص»، وها أنا قد أودعته من النخب كل لباب، ومن النكت ما لا يوجد منتظمًا في كتاب، هذا إلى ما لمّعت به من النوادر اللائقة بمواضعها، والحكايات الواقعة في مواقعها، فإن حلي بعين الناظر فيه والدارس، وأحلّه محل القادح لدى القابس، وإلا فعلى الله تعالى أجر المجتهد، وهو حسبي وعليه أعتمد.

فمن أوهامهم الفاضحة وأغلاطهم الواضحة أنهم يقولون: قدم سائر الحاج، واستوفي سائر الخراج، فيستعملون «سائرًا» بمعنى الجميع، وهو في كلام العرب بمعنى الباقي، ومنه قيل لما بقي في الإناء: سؤر.

والدليل على صحة ذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لغيلان حين أسلم وعنده عشر نسوة: «اختر أربعًا منهن وفارق سائرهن»، أي من بقي بعد الأربع اللاتي تختارهن.

ولما وقع «سائر» في هذا الموطن بمعنى الباقي الأكثر منع بعضهم من استعماله بمعنى الباقي الأقل، والصحيح أنه يُستعمل في كل باق قل أو كثر، لإجماع أهل اللغة على أن معنى الحديث «إذا شربتم فأسثروا»، أي: أبقوا في الإناء بقية ماء، لا أن المراد به أن يشرب الأقل ويبقى الأكثر، وإنما نُدب إلى التأدب بذلك، لأن الإكثار من المطعم والمشرب منبأة عن النهم وملازمة عند العرب، ومنه ما جاء في حديث أم زرع عن التي ذمت زوجها، فقالت: «إن أكل لفّ، وإن شرب اشتفّ»، أي يتناهى في الشرب إلى أن يستأصل الشُّفافة، وهي ما يبقى من الشراب في الإناء.

ومما يدل على أن «سائراً» بمعنى باق ما أنشدته سيبويه:

ترى الثور فيها مُدْخِلُ الظل رأسه وسائره باد إلى الشمس أجمع

ويشهد بذلك أيضاً قول الشنفرى:

فلا تقبروني إن قبري محرّم عليكم ولكن أبشري أم عامر
إذا احتملت رأسي وفي الرأس أكثرى وغودر عند الملتقى ثم سائري

فعنى كل شاعر بلفظة (سائر) ما بقي من جثمانه بعد إبانة رأسه.

ترجمة إسبانية لرياض الصالحين

وقد عنيت الدار كذلك بالإصدار باللغات الأجنبية مما يهم المسلمين من الناطقين بتلك اللغات من كتب الدين، ومن أهم ما أصدرته في هذا الصدد: ترجمة إسبانية لمختارات من كتاب رياض الصالحين، وقد أهدت إلي نسخة منها.

مرض سمية

ووصلت إلى المنزل حوالي الساعة الواحدة، فرأيت أن بتي سمية تعاني من ألم شديد في بطنها، ويتناوبها التقيؤ، فأخبرت الأخ علاء الدين فرفور بذلك، فاتصل

بالأطباء والطبيبات، وقال: إنه من الصعب جداً أن نظفر بطيبة بعد الظهر يوم الخميس، وبعد قليل خرجنا إلى مستوصف كبير في قاسيون، وكان نظيفاً في حسن نظام وترتيب. فذكر لي الأخ علاء أنه حيّ يسكنه الشيعة، ومن المؤسف أن أهل السنة ليس لهم مشاف أو مستوصفات في درجة عالية من النظافة والنظام.

مقام الشيخ خالد الكردي

رجعنا إلى المنزل، واسترحنا قليلاً، ثم خرجنا بعد الساعة السابعة لزيارة ضريح شيخ الطريقة النقشبندية خالد الكردي رحمه الله تعالى في سفح جبل قاسيون، كنت أظنّ أن المقام قريب من منزلي، فمشينا على الأقدام نحو نصف ساعة، ثم سألنا بعض الناس عن المسافة إليه، فقالوا إنه بعيد، ينبغي أن تستأجروا سيارة، فاستأجرنا سيارة. فلما وصلنا إلى المقبرة كان المتولي خارجاً منها، فأخبرناه أننا جئنا لزيارة مقام الشيخ خالد الكردي، فقال: المقام الآن مغلق، فذكرنا له أننا جئنا من بعيد، ففتح باب مقام الشيخ خالد الكردي، وقبره في غرفة من هذه المقبرة وإلى جانب قبره قبور لبعض ذراريه، وأخبرني المتولي أن هذه القبور لابني الشيخ خالد: بهاء الدين وعبد الرحمن، وأحفاده: شمس الدين، وناحر، وخالد، ووجيه، ونجم الدين.

وهو الإمام العلامة خاتمة أئمة الطريقة النقشبندية في الشام أبو الضياء مولانا خالد بن حسن النقشبندي العثماني المجددي الكردي الشهرزوري الشهير بالحضرة دفين دمشق الشام المتوفى بها سنة ١٢٤٢. يروي عن الشيخ عبد الله الدهلوي الهندي المعروف بشاه غلام علي وهو شيخ إرشاده وسلوكه، والشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي ومحمد بن عبد الرحمن الكزبري وعمر بن عبد الغني الغزي الدمشقي ومصطفى الكردي الدمشقي، وسمع حديث الأولية أيضاً من علامة العراق النور

علي بن محمد سعيد البغدادي السويدي، وتدبج مع الشمس ابن عابدين الفقيه الشامي.

وله من المؤلفات في علم الحديث: «حاشية على جمع الفوائد» من كتب الحديث، وصفها الخاني في ترجمته من «الحدائق الوردية» بقوله: تكتب بماء الذهب، قد جردتها بخطي فجاءت مجلدًا لطيفًا. اهـ قال: وله شرح على حديث جبريل، جمع فيه عقائد الإسلام، إلا أنه باللغة الفارسية. وله «جلاء الأكدار والسيف البتار في الصلاة على النبي المختار»، قال: ذكر فيه أسماء أهل بدر على حروف المعجم وتوسل بها على طراز لم يدركه من تقدم.

وذكر البرهان إبراهيم فصيح البغدادي في «المجد التالد» أن محدث العراق النور علي السويدي البغدادي لما دخل المترجم لبغداد اختبره بقلبه لثلاثين إسنادًا لثلاثين حديثًا من الكتب الستة، فرد المترجم عليه القلب، وأملى عليه الأحاديث بأسانيدھا الأصلية، فأذعن المحدث المذكور. وذكر تلميذهما الشهاب الآلوسي في كتابه «نزهة الألباب» أن السويدي المذكور قال للمترجم في ملأ عظيم: بش ما يفعله أكثر علماء الأكراد اليوم لا اشتغالهم بالعلوم الفلسفية وهجرهم لعلوم الدين كال تفسير والحديث عكس ما يفعله علماء العرب، فقال له المترجم: كلا الفريقين طالب بعلمه الدنيا الدنية وطلبها ب: قال أرسطو أو قال أفلاطون خير من طلبها ب: قال الله وقال رسوله، فإن الدني يطلب بدني مثله، فسكت السويدي^(١).

وقفنا قليلاً عند ضريح الشيخ خالد، وقرأنا الفاتحة، ودعونا بدعوات، ولم يعجبني بناؤهم على القبور، فإنه مما نهى عنه المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو أن الشيخ خالدًا كان حيًا لما رضي بما يعاملون به قبره.

(١) انظر: فهرس الفهارس (١/ ٣٧٣-٣٧٤).

عشاء وزيارات

ثم خرجنا من المقبرة، واستأجرنا سيارة إلى الجامع الأموي، ونزلنا أمام مطعم هندي قريباً من مدخل سوق الحميدية، لم نر في هذه المنطقة مطعمًا هنديًا غيره، وهي منطقة راقية، ولكن المطعم الهندي مستواه متدنٍ جدًّا، وهو غير نظيف، تعشينا فيه عازمين على أن لا نعود إليه أبدًا.

ثم قمنا بجولة لسوق الحميدية، وزرنا الأمكنة التاريخية في الجامع الأموي، وزرنا بيت الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله، والأمكنة التاريخية الأخرى، وعدنا إلى منزلنا قبيل الساعة الحادية عشرة ليلاً، وصلينا العشاء، ثم ذهبنا للنوم، وغداً سوف نقوم مبكرين لأننا مغادرون لزيارة حلب إن شاء الله تعالى.



٣٠ جمادى الآخرة يوم الجمعة

رحلة إلى حلب

استيقظنا حوالي الساعة الرابعة وصلينا الفجر، وبدأنا تجهيز أغراضنا، لأننا سوف نخرج في الساعة السادسة إلى حلب، نزلنا الساعة السادسة تمامًا إلى الشارع، حتى إذا جاءت السيارات ركبناها من دون أن نتأخر، ولكن السيارة تأخرت. ولم تصل إلا بعد الساعة السابعة والربع، وسائقنا أبو محمد القرجلي من مدينة إدلب، مقيم في دمشق، رجل مهذب نظيف متودّد.

ظاهر دمشق

فلما كنا في ظاهر دمشق طلع علينا جبل قلمون، ومررنا حوله بعدد من مدن وقرى مشهورة بمناخها وخضرتها وفاكهتها وأبنيتها وعدد كبير من المعالم الأثرية والصروح التاريخية.

وأمام جبل قلمون منطقة اسمها مخيم الوافدين، يسكنه الفلسطينيون النازحون من بلادهم، وبعد المخيم مررنا بمنطقة عذرة، وفيها خزانات الوقود، ومررنا بعد جبل قلمون بقرية القطيفة، والهواء في هذه الأمكنة لطيف نظيف، وتعتبر مناطق قلمون باردة جدًا، يصل الثلج فيها أمتارًا في الشتاء.

بيروت

ومررنا بقرية بيروت، وفيها أقدم كهوف عصور ما قبل التاريخ، وفيها معبد يبرود الوثني.

دير عطية

ومررنا بدير عطية، وتقع حوالي ٩٠ كيلومتر شمالي شرق دمشق، وهي بلدة على طراز حديث، تشتهر بمتحفها الجميل وأهلها المثقفين والمضيافين، وسوف نزورها للقاء الشيخ المسند سعيد الرشد الدير عطاني.

معلولا

إن السفوح الشرقية لجبال القلمون تحتضن أجمل الجبال الجرداء بتيجانها التي تزين هاماتها كما تزين التيجان رؤوس الملوك، ومن أهم المدن التي مررنا بها في هذه المنطقة بلدة معلولا، والتي تقع على بعد ٥٦ كيلومتراً من دمشق على الطريق الدولي الذي يربط دمشق بحلب.

تعتبر معلولا من أهم المدن الأثرية التاريخية، وتشتهر ببيوتها المعلقة والمحفورة في صخور الجبال على ارتفاع ١٥٠٠ متر عن سطح البحر، ولعبت في العهد البيزنطي دوراً دينياً هاماً، عندما أصبحت بدءاً من القرن الرابع مركزاً لأسقفية استمرت حتى القرن السابع عشر الميلادي، ولا يزال أهلها ينطقون باللغة الآرامية.

حمص

واقتربنا من حمص ورأينا إشارات للبنان، ورأينا في موقع أن لبنان على بعد ٢٥ كلومتراً. وعلى جانبي الشارع رأينا بساتين ومزارع كثيرة، والأشجار مائلة هنا إلى الشرق، لأن الريح هنا دائماً من المغرب إلى المشرق.

تبعد حمص عن دمشق ١٦٠ كيلومتراً، وكانت تدعى قديماً (ايمبسا) يخترقها نهر العاصي، وهي ثالث أهم المدن السورية، وتقع على بعد ١٦٠ كيلومتراً شمال دمشق، وقد توالى عليها عدة حضارات. فقد كانت موطناً للعرب الكنعانيين، مروراً

بالأموريين والحيثيين، إلى أن أصبحت منذ عام ٦٣٦ م جزءاً من الخلافة الإسلامية.
يعود بناء مدينة حمص إلى سنة ٢٤٠ قبل الميلاد، وأشهر معالم حمص مسجد
وضريح القائد الإسلامي الشهير الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه،
الذي عاش في المدينة السنوات السبع الأخيرة من حياته، وتسمى المدينة أحياناً
باسمه (مدينة أبي الوليد).

جامع بلال

دخلنا مدينة حمص، وأول شيء لفت أنظارنا جامع كبير رائع يسمى جامع بلال
الحبشي، ومنظر الجامع جميل خلاب، وشاهد على مدى احترام الإسلام للإنسان من
دون نظر إلى اللون والعرق والدم، وهذا أمر لا يوجد شيء مثله في أي دين من الأديان،
فالحمد لله على أن هدانا للإسلام.

جامع خالد بن الوليد

ثم نزلنا في حمص عند جامع خالد بن الوليد رضي الله عنه، وله فناء واسع
كبير، بني في عهد الملك الظاهر بيبرس، وجدد بناؤه في عهد السلطان عبد الحميد
الثاني عام ١٩٠٠ م على الطراز البيزنطي العثماني المزدوج بالطراز العربي، وفيه ضريح
الصحابي الجليل سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عليه، وعلى القبر عمامة وسيف.
وهو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي
المخزومي، سيف الله أبو سليمان، أمه لبابة الصغرى بنت الحارث بن حرب
الهلالية، وهي أخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب، وهما أختا
ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ.

كان أحد أشرف قريش في الجاهلية، وكان إليه أعنة الخيل في الجاهلية، وشهد

مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية، كما ثبت في «الصحيح» أنه كان على خيل قريش طليعة، ثم أسلم في سنة سبع بعد خيبر، وشهد غزوة مؤتة مع زيد بن حارثة، فلما استشهد الأمير الثالث أخذ الراية فانحاز بالناس، وخطب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعلم الناس بذلك كما ثبت في «الصحيح»، وشهد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتح مكة، ثم شهد حنينًا والطائف في هدم العزى. وله رواية عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في «الصحيحين» وغيرهما.

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: نزلنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منزلًا، فجعل الناس يمرون فيقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من هذا؟»، فأقول: فلان، حتى مر خالد، فقال: «من هذا؟»، قلت: خالد بن الوليد، فقال: «نعم عبد الله هذا سيف من سيوف الله». رجاله ثقات.

وأرسله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أكيدر دومة فأسره، وأرسله أبو بكر إلى قتال أهل الردة فأبلى في قتالهم بلاءً عظيمًا، ثم ولاه حرب فارس والروم، فأثر فيهم تأثيرًا شديدًا، وفتح دمشق، وعزله عمر.

وقال أحمد: حدثنا حسين بن علي، عن زائدة، عن عبد الملك بن عمير قال: استعمل عمر أبا عبيدة على الشام وعزل خالد بن الوليد، فقال خالد: بعث عليكم أمين هذه الأمة، سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقوله، فقال أبو عبيدة: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «خالد سيف من سيوف الله، نعم فتى العشيرة».

وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عبيد الله، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن زياد مولى آل خالد قال خالد عند موته: ما كان في الأرض من ليلة أحب إلي من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو، فعليكم بالجهاد.

وعن خالد: لقد شغلني الجهاد عن تعلم كثير من القرآن. مات بمدينة حمص

سنة إحدى وعشرين. وقيل: توفي بالمدينة النبوية. ولما حضرت خالدًا الوفاة قال: لقد طلبت القتل مظانه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد أن لا إله إلا الله من ليلة بتها وأنا مترس والسماء تهلني تمطر إلى صبح حتى نغير على الكفار. ثم قال: إذا أنا مت فانظروا في سلاحي وفرسي فاجعلوه عدة في سبيل الله. فلما توفي خرج عمر إلى جنازته فقال: ما على نساء آل الوليد أن يسفحن على خالد دموعهن ما لم يكن نقعًا أو لقلقة. قلت: فهذا يدل على أنه مات بالمدينة، ولكن الأكثر على أنه مات بحمص، والله أعلم.

وبجانبه قبر عبد الرحمن بن خالد بن الوليد رضي الله عنهما، وهو عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، أدرك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورآه، وأمه أسماء بنت أسد بن مدرك الخثعمي، يكنى أبا محمد، وكان عبد الرحمن من فرسان قريش وشجعانهم، له هدي حسن وفضل وكرم، إلا أنه كان منحرفًا عن علي وبني هاشم مخالفة لأخيه المهاجر بن خالد، فإن المهاجر كان محبًا لعلي، وشهد معه الجمل وصفين، وشهد عبد الرحمن صفين مع معاوية، وسكن حمص، وكان مع أبيه يوم اليرموك، وكان معاوية يستعمله على غزو الروم، له معهم وقائع.

ولما ولي العباس بن الوليد حمص قال لأشراف أهل حمص: يا أهل حمص، ما لكم لا تذكرون أميرًا من أمرائكم مثل ما تذكرون عبد الرحمن بن خالد؟ فقال بعضهم: كان يديني شريفنا، ويغفر ذنوبنا، ويجلس في أفئتنا، ويمشي في أسواقنا، ويعود مرضانا، ويشهد جنازتنا، وينصف مظلومنا.

وقيل: لما أراد معاوية البيعة ليزيد ابنه، خطب أهل الشام فقال: يا أهل الشام، كبرت سني، وقرب أجلي، وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظامًا لكم، وإنما أنا رجل منكم، فأصفقوا على الرضا بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فشق ذلك على معاوية وأسرها في نفسه، ثم إن عبد الرحمن مرض فدخل عليه ابن أثال النصراني فسقاه سمًا، فمات. فقيل: إن معاوية أمره بذلك، وذلك سنة سبع وأربعين.

قال محمد بن سعد: لا بقية لعبد الرحمن بن خالد. ثم إن المهاجر بن خالد دخل دمشق مستخفيًا، هو و غلام له، فرصد الطيب فخرج ليلاً من عند معاوية، فأقصده المهاجر، وهذه القصة مشهورة عند أهل السير.

وقال الزبير بن بكار: كان خالد بن المهاجر بن خالد اتهم معاوية أنه دس إلى عمه عبد الرحمن متطبياً، يقال له: ابن أثال، فسقاه في دواء فمات، فاعترض لابن أثال فقتله، والله أعلم.

روى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسلاً. روى عنه خالد بن سلمة، والزهري، وعمرو بن قيس الشامي، ويحيى بن أبي عمرو الشيباني، وأبو هزان. روى أبو هزان، عن عبد الرحمن بن خالد أنه احتجم في رأسه وبين كتفيه، فقيل له: ما هذا؟ فقال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من أهرق من هذه الدماء فلا يضره أن لا يتداوى بشيء».

وفي الجامع في الجهة المقابلة ضريح الصحابي عبيد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وأنا لست متأكداً من صحة ذلك، لأن مترجمي الصحابة لم يذكروا وفاته في حمص ولا دفنه فيها. وجاءت ترجمته في «أسد الغابة»: عبيد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي، أبو عيسى. ولد على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان من شجعان قريش وفرسانهم، سمع أباه، وعثمان بن عفان، وأبا موسى، وغيرهم.

روى زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر ضرب ابنه عبيد الله بالدرة، وقال: أتكتنى بأبي عيسى؟ وهل كان له من أب؟. وشهد عبيد الله صفين مع معاوية، وقتل فيها، وكان سبب شهوده صفين أن أبا لؤلؤة لما قتل أباه عمر رضي الله عنه فلما دفن عمر مع رسول الله ﷺ وأبي بكر، قيل لعبيد الله: قد رأينا أبا لؤلؤة والهرمزان نجياً، والهرمزان يقلب هذا الخنجر بيده، هو الذي قتل به عمر، ومعهما جفينة وهو رجل من العباد جاء به سعد بن أبي وقاص يعلم الكتاب بالمدينة وابن فيروز، وكلهم مشرك إلا الهرمزان، فغدا عليهم عبيد الله بالسيف، فقتل الهرمزان وابنته وجفينة، فنهاه الناس فلم ينته، وقال: والله لأقتلن من يصغر هؤلاء في جنبه، فأرسل إليه صهيب عمرو بن العاص، فأخذ السيف من يده، وصهيب كان قد وصى إليه عمر بالصلاة عليه ويصلي بالناس إلى أن يقوم خليفة، فلما أخذ عمرو السيف وثب عليه سعد بن أبي وقاص فتناصبا، وقال: قتلت جاري وأخفرتني، فحبسه صهيب حتى سلمه إلى عثمان لما استخلف، فقال عثمان: أشيروا علي في هذا الرجل الذي فتق في الإسلام ما فتق، فأشار عليه المهاجرون أن يقتله، وقال جماعة منهم عمرو بن العاص: قتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم، أبعده الله الهرمزان وجفينة، فتركه وأعطى دية من قتل.

وقيل: إنما تركه عثمان لأنه قال للمسلمين: من ولي الهرمزان؟ قالوا: أنت، قال: قد عفوت عن عبيد الله. وقيل: إن عثمان سلم عبيد الله إلى القمازيان بن الهرمزان ليقتله بأبيه، قال القمازيان: فأطاف بي الناس وكلموني في العفو عنه، فقلت: هل لأحد أن يمنعي منه؟ قالوا: لا، قلت: أليس إن شئت قتلته؟ قالوا: بلى، قلت: قد عفوت عنه. قال بعض العلماء: ولو لم يكن الأمر هكذا لم يقل الطعانون على عثمان: عدل ست سنين، ولقالوا: إنه ابتداء أمره بالجور، لأنه عطل حداً من حدود الله.

وهذا أيضًا فيه نظر، فإنه لو عفا عنه ابن الهرمزان لم يكن لعلي أن يقتله، وقد أراد قتله لما ولي الخلافة، ولم يزل عبيد الله كذلك حيًا حتى قتل عثمان وولي علي الخلافة، وكان رأيّه أن يقتل عبيد الله، فأراد قتله فهرب منه إلى معاوية وشهد معه صفين، وكان على الخيل فقتل في بعض أيام صفين قتلته ربيعة، وكان على ربيعة زياد بن خصفة الربيعي، فأتت امرأة عبيد الله، وهي بحرية ابنة هانئ الشيباني تطلب جثته، فقال زياد: خذوها، فأخذتها ودفتته، وكان طويلاً.

قيل: لما حملته زوجته على بغل كان معترضاً عليه، وصلت يدها ورجلاه إلى الأرض، ولما قتل اشترى معاوية سيفه، وهو سيف عمر، فبعث به إلى عبد الله بن عمر.

وقيل: بل قتله رجل من همدان، وقيل: قتله عمار بن ياسر، وقيل: قتله رجل من بني حنيفة، وحنيفة من ربيعة، وكانت صفين في ربيع الأول من سنة سبع وثلاثين. زرنا هذه القبور، ووقفنا عندها نستعيد ذكريات التاريخ الإسلامي، وقرأنا الفاتحة والدعاء عندها.

مرور من خلال حمص

ثم خرجنا من الجامع ومررنا بأسواق حمص وشوارعها، ويعود تاريخ تشييد جزء كبير من أسواقها إلى العهدين الأيوبي والمملوكي والعثماني. كما أن هناك عددًا من الحمامات الأثرية التي تعود إلى الفترة نفسها كالحمام الصغير وحمام العصيات والحمام العثماني، وفي حمص مبان وقصور قديمة، من أشهرها قصر الزهراوي الذي جرى تحويله إلى متحف تقاليد شعبية.

بحيرة الرستن

خرجنا من حمص متجهين إلى حلب ورأينا خارج حمص في قراها مزارع الخضراوات من الباذنجان والذرة وغيرها، ثم مررنا بتليسة، ورأينا بعدها مزارع كثيرة

للخضراوات والفواكه حتى دخلنا الرستن، وهي شهيرة ببحيرة الرستن أو سد الرستن، فأردنا أن نزور السد، دخلنا في مدينة الرستن، وعلى شوارعها خضراوات كثيرة وأنواع مختلفة من الثمار والفواكه معروضة للبيع، ونزلنا قريباً من سد الرستن، ورأينا عددًا كبيراً من الناس يصطادون السمك في البحيرة، ونزلنا إلى البحيرة، واستمتع الأولاد كثيراً بالمنظر، والحمد لله على ذلك، ثم ركبنا السيارة، مارين ببيوت رستن ومحلاتها، والبلدة قديمة، ورأينا فيها بيوتاً قديمة جداً، ورأينا ناقلات تحمل ذخائر البصل من إنتاجات رستن، يحملونها للبيع في دمشق، وبصلها كبير ونظيف.

استمتاع بالمزارع

ومررنا بجسر الرستن، وهو جسر طويل، ويمكن من هنا رؤية سد الرستن، ثم مررنا بظاهر مدينة حماة، ووجدنا سائقنا أبو محمد أنه سيزورها بنا عند العودة، وقريباً وقفنا في مكان، وتناولنا آيس كريم من صنع يدوي محلي، ومررنا بجبل زين العابدين، ولم نعرف من المراد بزين العابدين، ووصلنا إلى مورك وخان شيخون، وهما شهيرتان بأشجار الفستق، وبساتينها الكبيرة منتشرة على حافتي الطريق، نزلنا في مورك، وزرنا بعض بساتين الفستق فيها، وكان الجو جميلاً والمنظر رائعاً، وتناولنا شيئاً مما يسمى بالفستق الحلبي، واشترت كلوين من الفستق من نوعين مختلفين بثلاثمائة وخمسين ليرة، ثم دخلنا مدينة خان شيخون، ومساحتها كبيرة، وخرجنا منها وعلى حافتي الطريق بساتين الزيتون والتين بأنواعهما المختلفة الكثيرة.

ثم مررنا بمدينة معرة النعمان، وهي مدينة أبي العلاء المعري، وفيها ضريح الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، ونوينا أن نزور معرة النعمان عند عودتنا من مدينة حلب.

حلب



تقع حلب^(١) في الجزء الشمالي من سورية، وهي مدينة عريقة تبعد عن مدينة دمشق ٣٥٠ كيلومتراً، وقد كانت حاضرة مزدهرة منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وبقيت ذات مكانة هامة وعمران وسكان على مر القرون، وتأتي هذه الأهمية من موقعها الإستراتيجي الذي جعلها تلعب دوراً هاماً متميزاً في تاريخ المنطقة، فهي تقع عند ملتقى الرافدين وبين سورية وفلسطين ومصر، ومن ثم بين الشرق والغرب، عندما جاء الفتح الإسلامي عام ٦٣٦م.

أصبحت حلب واحدة من الحواضر الكبرى، ونشطت فيها حركة التجارة والعمران بدءاً من العصر الأموي ومروراً بالعهد العباسي والفاطمي والأيوبي والمملوكية، وشهدت المدينة أزهى فترات ازدهارها إبان الدولة الحمدانية التي أسسها سيف الدولة الحمداني، وجعل مدينة حلب عاصمة لدولته، وبنى فيها تلك القلعة الشهيرة التي جعلها مقراً لإقامته، ونعمت المدينة في أيامه بنهضة شاملة في مجالات العلم والأدب والطب، وكان أشهر رجالها المتنبّي وأبو فراس الحمداني والعالم الفيلسوف الفارابي.

ويحيط بالمدينة القديمة سور أثري يعود إلى العهود الإسلامية، ويمتاز بأبراجه الدفاعية وأبوابه الكثيرة المحصنة، ولا يزال قسم من هذا السور قائماً مع عدد من الأبواب، مثل باب قنسرين، وباب النصر، وباب الحديد، وباب أنطاكية، وفيها متحف غني يضم أقدم ما خلفه الإنسان من حضارات في المنطقة بدءاً من العصور الحجرية حتى الوقت الحاضر، كما يحوي مقتنيات الآثار المكتشفة في أهم الحواضر السورية

(١) لماذا سميت بحلب؟ يروي الحلبيون أن سيدنا إبراهيم عليه السلام استقر فيها في طريقه من أور إلى كنعان، وكان لديه بقرة شهباء اللون، يحلبها كل صباح ليسقي الأهلين الذين يستبشرون بأنه حلب الشهباء، ولكن الشهادات التاريخية ترجع تسميتها بحلب إلى أقدم من ذلك.

القديمة، كما يوجد فيها متحف التقاليد الشعبية داخل بناء حلبي يعود تاريخه إلى القرن الثامن عشر، ويحتوي على النفائس الحلبية والأزياء الشعبية التي يعود تاريخها إلى أكثر من ألف عام.

سيف الدولة الحمداني

دخلنا في مدينة حلب الساعة الحادية والنصف تقريبًا، وأول دوار مررنا به يسمى دوار الموت لكثرة الحوادث فيه، ورأينا هنا إشارة لساحة سيف الدولة الحمداني، وبرزت أمامنا تلك الأيام التي كانت حلب تتمتع فيها بأروع مرحلة من تاريخها، وذلك في أيام سيف الدولة.

وهو سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان، صاحب حلب، مقصد الوفود وكعبة الجود، وفارس الإسلام وحامل لواء الجهاد، كان أديبًا مليح النظم، فيه تشيع، ويقال: ما اجتمع بباب ملك من الشعراء ما اجتمع ببابه، وكان يقول: عطاء الشعراء من فرائض الأمراء. وقد جمع له من المدائح مجلدان. أخذ حلب من الكلابي نائب الإخشيد في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمئة، وقبلها أخذ واسط، وتنقلت به الأحوال، وتملك دمشق مدة، ثم عادت إلى الإخشيدية، وهزم العدو مرات كثيرة. يقال: تم له من الروم أربعون وقعة، أكثرها ينصره الله عليهم.

وقيل: إنه في عيد نفذ إلى الناس ضحايا لا تعد كثرة، فبعث إلى اثني عشر ألف إنسان، فكان أكثر ما يبعث إلى الكثير منهم مئة رأس، وتوفيت أخته فخلفت له خمسمئة ألف دينار فافتك بجميعها أسرى. التقاه كافور فنصر سيف الدولة بظاهر حمص، ونازل دمشق، ثم التقاه الإخشيد فهزم سيف الدولة، وأدرك الإخشيد الأجل بدمشق، فوثب سيف الدولة عليها ولم ينصف أهلها، واستولى على بعض أرضهم، فكتب العقيقي والكبراء بعد سنة صاحب مصر فجاء إليهم كافور.

مولده في سنة إحدى وثلاثمائة. وله غزو ما اتفق لملك غيره، وكان يضرب بشجاعته المثل، وله وقع في النفوس، فالله يرحمه. مات بالفالج، وقيل: بعسر البول، في صفر سنة ست وخمسين. ولما احتضر أخذ على الأمراء العهد لابنه أبي المعالي. مات يوم الجمعة قبل الصلاة، وغسل ثم عمل بصبر ومر ومنوين كافور ومئة مثقال غالية، وكفن في أثواب قيمتها ألف دينار، وكبر عليه القاضي العلوي خمسًا. ولما بلغ معز الدولة بالعراق موته جزع عليه، وقال: أيامي لا تطول بعده، وكذا وقع. ثم نقلوه إلى ميفارقين فدفن عند أمه، وكان قد جمع من الغبار الذي يقع عليه وقت المصافات ما جبل في قدر الكف، وأوصى أن يوضع على خده. وكانت دولته نيفًا وعشرين سنة، وبقي بعده ابنه سعد الدولة في ولاية حلب خمسًا وعشرين سنة^(١).

مرونا من خلال المدينة

ورأينا من الطريق قلعة حلب على قمة شامخة، ومررنا بأسواق حلب للخضراوات، ونحن الآن متجهون إلى جامع العادلة، فإننا سننزل ضيوفاً على خطيبها الدكتور أبي الهدى الحسيني، وهو شيخ شاذلي له خلافة من الشيخ عبد الرحمن الشاغوري رحمه الله تعالى، والجامع مقابل قلعة حلب.

ذكرى الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله

نحن الآن في حلب القديمة، الشوارع والأزقة نظيفة تدل على ذوق أهلها الرفيع، والمباني معظمها قديمة فخمة شامخة، وهنا غرقت في ذكرى شيخنا عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله، فحلب هي مدينته، رأيت كلما ذكرت، دمعت عيناه في فراقها، وأخيراً سمح له بالرجوع إليها، وأثبت هنا بالمناسبة شيئاً من ترجمته: هو الإمام الكبير المحدث

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٨٧-١٨٩).

الجليل خاتمة الفقهاء المحدثين عمدة أهل الحديث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة الحلبي الشامي رحمه الله.

ولد في مدينة حلب في منتصف رجب عام ١٣٣٦ هـ، وكانت أسرته متوسطة الحال، ذات بروز في محيطها، وكان والده وجده رحمهما الله تعالى يحترقان التجارة بصنع المنسوجات الغزلية التي كانت تسمى «الصايات»، وهي قماش ينسج بالنول اليدوي، لحمته وسداه غزل، وتارة لحمته وسداه حرير. نشأ الشيخ في حجر والده الذي كان كثير تلاوة القرآن والمحافظة على قراءته في المصحف، ومحبا للعلماء، متقصداً لحضور مجالسهم ودروسهم والاقتراس من علمهم وإرشادهم. لما دخل في السنة الثامنة من العمر أدخله جده رحمه الله المدرسة العربية الإسلامية الخاصة، وكانت ذات تكاليف وأقساط مرتفعة، كما كانت ذات سمع عال، وحزم إدارة، ومثانة في التعليم والأخلاق، فكانت لا يدخلها إلا على القوم ووجهائهم، فدرس فيها من الصف الأول حتى الرابع دراسة حسنة، وتعلم فيها ما يحا منه الأمية، وأكسبه صحة القراءة والكتابة، مع ضعف الخط عنده.

وكان لحسن قراءته وسدادها الفطري يدعو كبار أهل الحي ووجهائهم إلى سهراتهم الأسبوعية الدورية ليقراً لهم من كتاب تاريخ فتوح الشام للواقدي، وغيره من الكتب التي كان الناس يسمرون على قراءتها، فحظي بصحبة الكبار الوجهاء، والنخبة العقلاء، وهو في سن العاشرة وما بعدها. وبعد ما ترك المدرسة توجه إلى أن يتعلم الخط الحسن، فدخل مدرسة الشيخ محمد علي الخطيب بحلب، وكان شيخاً صاحب مدرسة خاصة تعنى بالقرآن والفقه والخط فقط، فتحسن خطه بعض الشيء، لكنه لم يصبر على الاستمرار في تعلم تحسين الخط طويلاً، فترك المدرسة بعد أشهر.

ثم لما بلغ التاسعة عشرة دخل في المدرسة الخسروية التي أنشأها خسرو باشا رحمه الله، والتي سميت بعد ما ضعف شأنها الثانوية الشرعية، وكان متفوقاً على أقرانه فيها في كل سني الدراسة الست، ثم انتقل إلى الدراسة في الأزهر الشريف، فدخل في كلية الشريعة في الجامع الأزهر بمصر عام ١٩٤٤م.

ومن أبرز من درّسه فيها: محمد الخضر حسين التونسي شيخ الأزهر فيما بعد، وعبد الحلیم محمود شيخ الأزهر فيما بعد، ومحمود شلتوت شيخ الأزهر فيما بعد، وحضر محاضرات الأساتذة عبد الوهاب خلاف، ومحمد أبوزهرة، وعبد الوهاب حمودة، ودروس الإمام الشيخ حسن البنا رحمهم الله تعالى، وكانت له تلمذة خاصة لشيخ الإسلام مصطفى صبري ولوكيل شيخ الإسلام الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمهما الله تعالى، لازمهما لمدة ست سنوات ملازمة تامة، وتخرج في عام ١٩٤٨م حائزاً على شهادة العالمية من كلية الشريعة.

ثم درس في تخصص أصول التدريس في كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر أيضاً لمدة سنتين، وتخرج سنة ١٩٥٠م، ودّرّس في ثانويات حلب مادة التربية الإسلامية، كما درّس العلوم الشرعية المختلفة في المدرسة الشعبانية والثانوية الشرعية التي تخرج منها، وانتخب عضواً في المجلس النيابي بسورية في سنة ١٩٦٢، ثم انتدب للتدريس في كلية الشريعة بجامعة دمشق، ثم قام بإدارة «موسوعة الفقه الإسلامي» في كلية الشريعة بدمشق، حيث قام بإتمام وإنجاز كتاب (معجم فقه المحلى لابن حزم).

ورحل إلى الأردن، وفلسطين قبل احتلالها، والعراق، والسعودية، والكويت، وقطر، والإمارات، والبحرين، واليمن، ومصر، والسودان، والصومال، وتونس، والجزائر، والمغرب، وجنوب إفريقيا، وإندونيسيا، وبروناي، والهند وباكستان،

وأفغانستان، وأوزبكستان، وتركيا وبلاد كثيرة في أوروبا وأمريكا، والتقى بأجلة الشيوخ والعلماء في تلك الديار، ويبلغ عدد شيوخه الذين لقيهم وأخذ عنهم واستجاز منهم أكثر من ١٥٠ شيخًا، ودّرس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مدة ٢٣ سنة، من ١٣٨٥ إلى ١٤٠٨ هـ.

كما دّرس علوم الحديث في كلية التربية لجامعة الملك سعود بالرياض حتى تقاعد عن التدريس في سنة ١٤١١ هـ، وانتدب أستاذًا زائرًا للتدريس في جامعة أم درمان الإسلامية في السودان لعام ١٣٩٦ هـ، وأستاذًا زائرًا لليمن عام ١٣٩٨، وأستاذًا زائرًا لجامعة ندوة العلماء بلكنو الهند عام ١٣٩٩.

كما شارك في مؤتمرات وندوات علمية كثيرة جدًا في سورية والعراق واليمن والسودان والهند وباكستان وأوزبكستان والمغرب وفي أوروبا وأمريكا وغيرها، ووقع اختياره لجائزة السلطان حسن البلقية في الحديث الشريف لما يمتاز به من خدمات علمية جليلة في مجال الحديث النبوي الشريف وعلومه تأليفًا وتدريسًا.

بلغت مؤلفاته في الحديث وعلومه خمسة وعشرين مؤلفًا، أخرجها إخراجًا عصريًا مشوقًا مفهرسًا، كما أن له تسعة عشر كتابًا آخر في غاية الأهمية في مصطلح الحديث وعلومه ورجاله، ومن أهمها: فهرسته لكتاب السنن للإمام النسائي أحد أصول الإسلام الستة، وتحقيقه لكتاب الرفع والتكميل في الجرح والتعديل للإمام عبد الحي اللكنوي، وتحقيقه لكتاب: قواعد في علوم الحديث للعلامة ظفر أحمد التهانوي، وكتاب: الإسناد من الدين، وكتاب أمراء المؤمنين في الحديث، وكتاب لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث، وكتاب الجمع والترتيب لأحاديث تأريخ الخطيب وغيرها من الكتب الكثيرة القيمة.

قال الشيخ مصطفى أحمد الزرقا أستاذ الشيخ: أولى الحديث النبوي وعلومه ومراجعته جانبًا كبيرًا من عنايته، وركز عليه اهتمامه رواية ودراية، حتى أصبح فيه حجة يرجع إليه، وقد كان يعدني مرجعًا له في الفقه، فأصبحت أعده منذ زمن طويل مرجعًا لي في الحديث. وقال: وأشهد أني - طوال هذا العهد المديد الذي عرفته فيه - لم أجد عليه مأخذًا يؤخذ في تقواه وورعه وسلوكه وأدبه العلمي، ووفائه للصدقة والفضل، وصدقه وأمانته، بل عرفت منه في كل ذلك أخلاق العلماء المخلصين المتواضعين، الذين يؤثرون رضا الله تعالى على كل المغريات، ويحاسبون أنفسهم. توفي رحمه الله تعالى يوم الأحد تاسع شوال سنة سبع عشرة وأربعمئة وألف في مدينة الرياض، ودفن في البقيع.

أجازني رحمه الله في منزله بالرياض في الخامس عشر من جمادى الأولى سنة سبع وأربعمئة وألف، وهذا نص ما كتبه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فقد أجزت الأخ الصالح والعالم النابه الشيخ محمد أكرم بن تجمل حسين الندوي بما تصح لي وعني روايته عن شيوخه رحمهم الله تعالى، ابتغاء دعواته لي وترحمه علي، وأسأل الله تعالى له التوفيق ونفع العباد والبلاد.

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

ولما حضرت مؤتمر الإمام البخاري في سمرقند في شهر جمادى الأولى سنة أربع عشرة وأربعمئة وألف سعدت بصحبة الشيخ فاستجزته مرة أخرى فأجازني، وهذا نص ما كتبه:

وأجيز الأخ الكريم المذكور الشيخ محمد أكرم مرة ثانية إجازة خاصة وعامة شاملة لكل ما تصح لي وعني روايته، وقد استحسن العلماء تكرار الإجازة لتوكيدها ولشمولها ما جدّ من سماع أو تأليف للمجيز، وقد صاحبني في السفر ونعمت بصحبته، ورافقني وسعدت برفقته في زيارتي إلى مدينة طشقند وسمرقند وبخارى بمناسبة مؤتمر الإمام البخاري رضي الله عنه، فكان خير صاحب وراعٍ في السفر في عنايته ورعايته، ولطفه وأدبه، ومحبته وأخوته، زاده الله خيرًا على خير، وجعله للناس إمامًا في دينه وعلمه وصلاحه وأخلاقه، ونفع به حيثما حلّ وأشرق شمس، وأرجو منه أن لا ينساني من صالح دعواته، والله يحفظه ويرعاه ويعينه ويتولاه بكمه وكرمه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ولما شرفنا الشيخ رحمه الله في مدينة أوكسفورد بمناسبة الجائزة العالمية في الحديث الشريف في صفر سنة ست عشرة وأربعمئة وألف أهدي إلي عدة من مؤلفاته، من بينها تحقيقه لثبث شيخه الإمام الكوثري رحمه الله، وأجازني مرة ثالثة، وهذا نص ما كتبه:

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الضعيف عبد الفتاح بن محمد أبو غدة: أهدي هذا الثبث النفيس إلى الأخ الفاضل الشيخ محمد أكرم الندوي مع إجازتي له إجازة عامة شاملة بما أجازني به شيوخه الصدور البدور رحمهم الله تعالى وفي طليعتهم شيخنا الإمام الكوثري صاحب هذا الثبث، ويمروياتي ومؤلفاتي، بشرط الثبث في التحمل والإتقان في الأداء، راجيًا منه أن يذكرني مع شيوخه بصلح دعواته، والله يتولاه ويرعاه، وينفع به ويُسعده في دنياه وأخراه.

جامع العادلية

ونزلنا مقابل جامع العادلية، يرجع بناء جامع العادلية إلى أكثر من خمسمئة عام، بناه العثمانيون، وهو جامع كبير يشعر الداخل فيه بنورانية كبيرة، وكم شهد هذا الجامع من تقلبات العصر وحوادثه، كما أنه شاهد على من زاره وتردد إليه من كبار العلماء والمشايخ، فشيخنا عبد الفتاح أبو غجة رحمه الله من هذه المدينة، وشيخه محمد راغب الطباخ كان من هنا، وقبلهما جماعة كبيرة من العلماء والمشايخ، وحلب هي عاصمة الدولة الحمدانية، وفيها كان شاعرهم الكبير المتنبي، الذي فاق المتقدمين والمتأخرين بجودة شعره ومتانته وعلو معانيه وتفلسفه.

صلاة الجمعة

توضأنا وجلسنا أمام المحراب، وصلينا السنة منتظرين الخطيب الدكتور محموداً أبا الهدى الحسيني والذي لم أقابله بعد، وهو طيب وعالم من مدينة حلب، وله مؤلفات في العقيدة والفكر الصوفي، منها: إرشاد المكلفين إلى العقائد الخمسين، والتمهيد في عقائد التوحيد، وغير ذلك من المؤلفات. وقد أذن له الشيخ عبد الرحمن الشاغوري بالإرشاد والتسليك، وهو يعتبر من أنشط تلاميذه في نشر الفكر الصوفي.

صعد الخطيب على المنبر قبل الساعة الواحدة، وكانت خطبته اليوم في الردّ على القوميين، وعجبنا من جرأته، له صوت قويّ، وكانت خطبته غير مركزة، وتنقصها الأدلة العلمية، يا ليت قرأ قبل الخطبة كتابات بعض المفكرين الإسلاميين، أو قرأ على الأقل كتابات شيخنا أبي الحسن علي الندوي رحمه الله، فإنها متوفرة في بلاده.

وكان مما قال في خطبته: يحاول اليوم من يسمون أنفسهم بالقوميين أن يسرقوا تجربة عاشتها أمتنا ليغيروا مقاصدها، إنهم يحاولون أن يسرقوا ثوابتها، يقول بعضهم:

إن المجتمع الذي أنشأ سيدنا محمد ﷺ كان مرده إلى القومية، يحاولون رد كل ما حققه إلى القومية، كل من تأمل ولو للحظة في رسالة سيدنا محمد ﷺ وفي سيرته المطهرة يجد أنه ﷺ بنى مجتمعاً دينياً طاهراً لم تكن منطلقاته منطلقات قومية، ثم ذكر قصة سلمان الفارسي وقصة بلال الحبشي رضي الله عنهما كيف أنهما كانا من مقومات هذا المجتمع، ما كانت قيمتهما في هذا المجتمع أقل من أي عربي.

ثم عرض لقبسات من حياة هذا النبي ﷺ، وهو يبني أمة متكاملة المباني، واضحة في أهدافها ومعانيها.

والمجتمع الذي بناه يقوم على عنصرين: عنصر المادة وعنصر الاتصال بالله تعالى، إن السلوك لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال الشعلة التي تتقد بالإيمان. ثم تعرض لبداية الإسلام وقصة بيعة العقبة، حيث بايعه الناس على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعروف ما عرفته الفطرة السليمة والمنكر ما أنكرته الفطرة السليمة، ثم تحدث بشيء من التفصيل عن العلاقات بين المهاجرين والأنصار، وهل كانت العلاقة بينهم قائمة على أساس إبراز الذات، ثم تحدث عن الواقع الخلقي حول المدينة، وسلوكهم المثالي بعد الفتوحات والانتصارات العظيمة، ثم انتقد الشيخ انتقاداً لاذعاً لحكام عصرنا حيث قالوا: لا إله إلا الله فظلموا، والشيخ واضح في كلامه، لا أراه يخاف في الله لومه لائم.

وبعد الصلاة اجتمعت بالشيخ في قاعة الضيوف، وحوله أعيان البلد وعدد من المثقفين، كما جاءت لزيارته جماعة من الطالبات الأجنيات من اليابان وأمريكا وبريطانيا، سألهن الشيخ أن يعرفن أنفسهن، فتكلمت بعضهن بالعربية، وأكثرهن

تكلمن بالإنكليزية وقام بعض الحضور بترجمة ما قلن بالعربية، ثم سأل الشيخ اثنين من الحضور أن يتكلما بالإنكليزية، وكان حديث الرجلين حديثاً اعتذارياً فيه كثير الاعتذار، وتقرير أن الإسلام ليس ديناً إرهابياً، وأنه دين التسامح والحرية والعدل والمساواة، لم يعجبني هذا الكلام الضعيف، ثم سألني الشيخ أن أتحدث بالإنكليزية فألقيت كلمة وجيزة تحدثت فيها عن الرسالات السماوية، وختمها بالنبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن نجاة البشرية تتوقف على الإيمان بهذه الرسالة، وشرحت معالم الدعوة الإسلامية.

ثم قام الشيخ مع الفتيات، وصوّر نفسه معهن، فعجبت من شيخ ينكر على القومية والقوميين في خطبته، ولا يتبته إلى أن تصويره معهن منكر، وهو إمام وخطيب وشيخ للطريقة الشاذلية.

منزلنا

ثم سألني الشيخ أن نذهب مع الشيخ عبد الفتاح مؤذن الجامع وإمامه إلى منزلنا الذي نبئت فيه الليلة، فخرجنا إلى هذا المنزل الذي يقع في حي الأعظمية قريباً من جامع طارق بن زياد، وصلنا إليه بعد الساعة الرابعة، وتغدينا بسرعة، فإن لي موعداً في الساعة الرابعة مع الشيخ زين العابدين الجذبة.

الشيخ محمد زين العابدين الجذبة

وصلنا إلى منزل الشيخ محمد زين العابدين الجذبة بعد الساعة الخامسة بقليل، والشيخ كبير السن مريض، طريح الفراش، قابلته وهو جالس على الأريكة، وعليه نور الصلاح والتقوى، ثم تحدث إلينا ابنه عن لمحة من حياته، فهو الشيخ محمد زين العابدين بن الشيخ محمد عطاء الله بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الجذبة مفتي حلب. ولد بحلب الشهباء سنة ١٣٢٨ هـ.

ونشأ فيها من أسرة جاءت تونس، واستقرت بحلب، وفي القرن العاشر الهجري عرفت بالعلم والمعرفة، وعهد في بيتها الفتوى والخطابة بالجامع الأموي الكبير، تحدر من سلالة الحسين بن علي رضي الله عنها. وكان أبوه خطيباً في الجامع الأموي الكبير بحلب ومدرّساً بالمدرسة الأحمدية، فاعتنى به حتى حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين. انتسب إلى المدرسة العربية الإسلامية بقسط خاص، ثم انتسب إلى المدرسة الحكومية حيث أتم المرحلة الابتدائية.

ودرس في المدرسة الخسروية، فقرأ على كبار العلماء بها، حيث قرأ علم الفقه وأصوله على العلامة الفقية الشيخ أحمد محمد الزرقا، وقرأ علوم الحديث ومصطلحه والسيرة النبوية وسيرة الخلفاء على المؤرخ المحدث الشيخ محمد راغب الطباخ، وقرأ علوم المنطق والتوحيد والعقيدة الإسلامية على الشيخ فيض الله الأيوبي، كما قرأ علوم النحو والبلاغة والأدب العربي على الشيخ كامل الغزي، والشيخ إبراهيم السلقيني، والشيخ إبراهيم الكردي، والشيخ محمد الناشو، وقرأ علم التفسير على الشيخ أحمد الشماع، وقرأ علم الفرائض على الشيخ محمد عبد المعطي، وقرأ علم القراءات والتجويد على الشيخ أحمد أبي التيج المدني، كما درس العلوم الكونية كالرياضيات والجغرافيا، ولازم دار الحديث بدمشق ليستقي علومه من المحدث الكبير الشيخ محمد بدر الدين الحسني، ونال شهادة الخسروية (الكلية الشرعية) سنة ١٣٥٠ هـ، وأجازه في الحديث الشريف المؤرخ المحدث الشيخ محمد راغب الطباخ، والمحدث الشيخ محمد بن العربي التباني المكي، والشيخ محمد التلمساني الحسني، وشملته إجازة الشيخ محمد بدر الدين الحسني.

عهدت إليه خطابة الجامع الأموي الكبير بحلب عام ١٣٥٤ بتوجيه من السيد الشيخ محمد تاج الدين الحسني رئيس المجهوية السورية، وعيّن مديراً لأوقاف قضاء

معرة النعمان عام ١٣٥٥ هـ، وبعدها تم نقله إلى مديرية أوقاف حلب ١٣٥٨ هـ.
وعهد إليه التدريس بالمدرسة الأحمدية وبالمدرسة الكواكبية. انتقل إلى ملاك
دائرة الإفتاء والتدريس الديني ليكون مدرساً دينياً في محافظته حلب، وعهد إليه أن
يكون مدرّساً في الثانوية الشرعية، وفي معهد العلوم الشرعية الذي بقي فيه مدرّساً لغاية
عام ١٤٢٢ هـ.

سماع المسلسل بالأولية منه

سمعت من الشيخ الحديث المسلسل، وقد سمعه من محمد الراغب الطباخ
والشيخ بدر الدين الحسني، وسمعت الشيخ نيشد:
أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

إجازة الشيخ

ثم سألت الشيخ الإجازة، فقال: إنه يحبني، وقال كلمات فسرّها أولاده بأنه يعني
الإجازة، ورأيت ذلك في عينه، ومع ذلك حاولت أن يصرح بذلك فسألته ثلاث مرّات،
وقال أخيراً: إن شاء الله، فرحمنا الشيخ وأخذّه أولاده إلى الداخل، وحمدت الله عز
وجل على أني حصلت على الإجازة من الشيخ، فجزاه الله خيراً.

مختارات من خطبه

ثم أهدى إلي ابن الشيخ كتاب «مختارات من خطب الوعظ والإرشاد» لوالده
فضيلة الشيخ محمد زين العابدين الجذبة، وهو في نحو خمسين صفحة، ومواضيعه
هي: الإيثار والتراحم بين المسلمين، واحترام المرأة وأداء مالها من حق، والغيبة
وضررها الديني والدنيوي، وخطر الجلوس في الطرقات وما إليها إلا إذا أعطيت
حقوقها، والأمر بالمعروف والالتزام به والنهي عن المنكر واجتنابه.

وفاته

توفي رحمه الله تعالى يوم السبت في ليلة السابع والعشرين من رمضان المبارك سنة ١٤٢٦ هـ، رحمه الله ونفعنا به وأسكنه فسيح جناته.

أخبرنا الشيخ محمد زين العابدين الجذبة بإسناده إلى أبي الحسن علي ابن البخاري، قال: أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد، قال: أخبرنا أبو غالب أحمد بن الحسن ابن البناء، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري، قال: أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز، قال: أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، قال: حدثنا الحسين بن الحسن المروزي، قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا يحيى بن أيوب، عن عبد الله بن سليمان، أن إسماعيل بن يحيى المعافري أخبره، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: من حمى مؤمناً من منافق بغيبته بعث الله إليه ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن قفا مؤمناً بشيء يريد به شينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال.

الشيخ محمد بن درويش الخطيب

ثم زرت الشيخ محمد بن درويش الخطيب الشافعي، وهو محمد بن درويش بن محمد الخطيب (محمد كوزال) بن الشيخ مصطفى بن الشيخ محمد عرب بن أحمد، ينتهي نسبه إلى نعيم الخرفان من آل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ولد سنة ١٣١٠/١٩٠٣ في قرية غربي حلب، تسمى الجينة، ونشأ في بيئة صالحة. كان أبوه رجلاً يصلي بالناس في المسجد، وكان جده فقيهاً عالماً، وكان يطلق عليه اسم محمد كوزال، ومعناه بالتركية (الحسن)، وكان مشهوراً بالصلاح والولاية، ويجمع الناس على الذكر.

مات والده (أي والد المترجم له) وهو يناهز العاشرة، فنشأ في كنف أمه، ودرس في المدرسة الخسروية، وتميز بالفقه على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله، ومن شيوخه أحمد شهيد، والشيخ أسعد العبجي مفتي حلب (في الفقه وأصوله)، والشيخ العلامة الولي محمد سعيد الإدلبي (في الفقه)، والشيخ عمر الماريني (في الفقه)، والشيخ فيض الله الأيوبي (في التوحيد)، والشيخ راغب الطباخ (في الحديث وأصوله والتاريخ الإسلامي)، والشيخ عيسى البيانوني (في التصوف)، والشيخ عبد الله حماد، والشيخ إبراهيم السلطيني، والشيخ محمد الناشد (في النحو وعلوم العربية)، والشيخ أحمد الشماع (في تفسير القرآن الكريم)، وآخرون.

عمل بعد تخرجه إمامًا، ثم تنقل إلى مناطق عدة: تفتناز، وعين العرب، ومعرفة النعمان إمامًا وخطيبًا ومفتيًا ومعلمًا في المدارس، إلى أن توجه إلى حلب عام ١٩٦٢م، حيث عمل مدرسًا في جامعها الكبير (جامع سيدنا زكريا عليه السلام)، وأخذ الطريقة النقشبندية من الشيخ أبي النصر خلف الحمصي، والطريقة القادرية من الشيخ نعيان الفرواتي في حلب، وحج بيت الله الحرام غير مرة، وله عدة مؤلفات.

المسلسل بالأولية

وسمعت منه المسلسل بالأولية مسلسلاً بإسناده، وقد سمعه من الشيخ محمد راغب الطباخ.

الإجازة العامة

وأجازنا إجازة عامة، وسألته أن يجيز لأولادي فأبى أن يجيز إلا من حضر لديه، وأعطاني إجازته المطبوعة موقعًا عليها، وهي:

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا ومولانا وحبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، يقول الفقير إلى الله تعالى محمد بن الشيخ درويش الخطيب الشافعي: قد أجزت الأخ بالله محمد أكرم الندوي وفقه الله تعالى لما يحبه ويرضاه بالأحاديث التي أجازني بها شيعي محمد راغب الطباخ الموجودة في كتاب (الأنوار الجليلة) مع أسانيدھا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أوصي أخي بالله بتقوى الله تعالى وطاعته في السر والعلن كما أوصيه أن لا ينساني من صالح دعواته، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ومن شيوخ المؤرخ الشيخ محمد راغب الطباخ رحمه الله: الشيخ شرف الحق الهندي الدهلوي، وهو أول من أجازہ، والشيخ الشيخ محمد رضا الزعيم الدمشقي، والشيخ محمد خالد الأتاسي، والشيخ كامل المؤقت الحلبي، والشيخ طاهر بن السيد صالح الجزائري الدمشقي، والشيخ محمد بدر الدين الحسني، والشيخ محمد بن جعفر الكتاني، والشيخ محمد كامل الهراوي الحلبي، والشيخ أبو الإسعاد محمد عبد الحي الكتاني، والشيخ يوسف بن إسماعيل النبھاني، والشيخ أحمد رافع الطهطاوي، والشيخ محمد حبيب الله بن عبد الله بن مايابى الشنقيطي المدني، والشيخ محمد عطا الكسم، والشيخ عبد الستار الصديقي الحنفي، والشيخ محمد عارف بن عبد القادر خويقر، وغيرهم.

معجزة القرآن الكريم

وشرفني الشيخ بإهداء نسخة من كتابه (معجزة القرآن الكريم تتحدى البشر إلى الأبد)، وهو كتاب غزير المعلومات، جمع فيه الكثير من القضايا العلمية

والتفاصيل الدقيقة التي تحرك الفكر، واستخرج ما غاب عن كثير من الأذهان من روائع لغة القرآن، ومن آيات خلق الله البديعة في الأكوان، والكتاب منقسم إلى أربعة أبواب: الباب الأول الإعجاز اللغوي، والباب الثاني الإعجاز العلمي في الآفاق، والباب الثالث الإعجاز العلمي في عالم الأحياء، والباب الرابع الإعجاز العددي والتاريخي.

مجلس معه

وسألني عن قضية في الميراث، وهي أن رجلاً مات عن زوجة وأب وأم وبنت، فقلت: للبنت النصف، وللزوجة الثمن، وللأم ثلث ما بقي، ويكون الأب عصبه. ثم سألنا أن نقرأ عليه من كتاب «الأنوار الجلية» ثبت الشيخ محمد راغب الطباخ، فقرأنا عليه ما اختار لنا من أحاديثه وأسانيده المختلفة، وأفادنا إفادات علمية قيمة، واستمتعت بمجلسه كثيرًا. ثم صلينا العصر في بيته، واستأذناه لزيارة فضيلة العلامة المحدث الشيخ نور الدين عتر حفظه الله تعالى.

أخبرنا الشيخ محمد بن درويش الخطيب الشافعي، قال: أخبرنا محمد راغب الطباخ بإسناده إلى ابن أميلة، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن البخاري، قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أبي زيد الكراني إذنا من أصبهان، قال: أخبرنا أبو منصور محمود بن إسماعيل الصيرفي، قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن فاذشاه، قال: أخبرنا أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، قال: حدثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي، قال: حدثنا أبو الجماهر، قال: حدثنا أبو كعب السعدي، قال: حدثنا سليمان بن حبيب المحاربي، عن أبي أمامة، عن رسول الله ﷺ قال: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققًا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه».

الدكتور عصام قصبجي

حاولنا الاتصال بالشيخ نور الدين عتر، وكان خارج منزله، فرجعت إلى منزلي، ثم صليت المغرب في مسجد طارق بن زياد، وجمعت بينها وبين العشاء، وعدت إلى المنزل واسترحت قليلاً.

ثم اتصلت بالدكتور عصام قصبجي حوالي الساعة الثامنة والربع، واتفقت معه أن أراه عند جامع طارق بن زياد في الساعة التاسعة إلا الربع ليتجول بنا من خلال مدينة حلب، والدكتور عصام قصبجي من مواليد مدينة حلب سنة ١٩٤٨ م، وحصل على الشهادة الثانوية من ثانوية المأمون بحلب سنة ١٩٦٦ م، وحصل على الإجازة في اللغة العربية وآدابها سنة ١٩٧٠، وعيّن معيداً في قسم اللغة العربية بجامعة حلب سنة ١٩٧٠ م، وحصل على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها (الأدب الأندلسي) من جامعة القاهرة سنة ١٩٧٦ بإشراف الأستاذ الدكتور عبد العزيز الأهواني.

وحصل على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها (النقد الأدبي) من جامعة القاهرة سنة ١٩٧٨ م بإشراف الأستاذ الدكتور شوقي ضيف. وعيّن مدرّساً في قسم اللغة العربية من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة حلب سنة ١٩٧٨ م، وعيّن أستاذاً مساعداً في قسم اللغة العربية من الكلية نفسها سنة ١٩٨٥، ثم أستاذاً سنة ١٩٩١، وأعير إلى جامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية بين عامي ١٩٨٣-١٩٨٨، وعيّن رئيساً لقسم اللغة العربية بجامعة حلب منذ سنة ١٩٨٩ م حتى سنة ١٩٩٥ حين أوفد إلى باريس في مهمة للبحث العلمي.

وعيّن رئيساً لتحرير مجلة بحوث جامعة حلب سنة ١٩٩٨ م ولا يزال. ومن مؤلفاته: لسان الدين ابن الخطيب حياته وفكره وشعره، ونظرية المحاكاة في النقد العربي القديم دراسة تطبيقية في شعر أبي تمام وابن الرومي والمتنبي، وأصول النقد

العربي القديم. وقد أشرف على عدد كبير من الرسائل والبحوث.

تعرفت عليه عن طريق ابنته فاغية التي تقضي فترة بحث ودراسة في أوكسفورد، وقد تفضلت لتدريس اللغة العربية لبناتي حسنى وسمية وهالة ومريم، وكانت قد بعثت معنا بهدايا إلى والدها، فقابلت - ومعي جميع بناتي - الأستاذ قصبجي، وتجول بنا في أحياء حلب القديمة.

بيت المتنبي

مررنا ببيت أبي الطيب المتنبي، وقد تم تعيين مكانه قريباً، وهاج في نفسي مزيج من الشوق والفرح والعجب أن أتجول حيث عاش ذلك الشاعر العبقرى بشعره وفلسفته. وهو شاعر الزمان أبو الطيب أحمد بن حسين بن حسن الجعفي الكوفي الأديب الشهير بالمتنبي. ولد سنة ثلاثمئة، وأقام بالبادية يقتبس اللغة والأخبار، وكان من أذكى عصره، بلغ الذروة في النظم وأربى على المتقدمين، وسار ديوانه في الآفاق، ومدح سيف الدولة ملك الشام والخادم كافوراً صاحب مصر وعضد الدولة ملك فارس والعراق، وكان يركب الخيل بزي العرب وله شارة وغلمان وهيئة، قيل: إنه جلس عند كتبي فطول المطالعة في كتاب للأصمعي، فقال صاحبه: يا هذا أتريد أن تحفظه، فقال: فإن كنت قد حفظته؟ قال: أهبه لك، قال: فأخذ يقرؤه حتى فرغ منه، وكان ثلاثين ورقة.

قيل: تنبأ ببادية السماوة، فأسره لؤلؤ أمير حمص بعد أن حارب، وقد نال بالشعر مآلاً جليلاً، يقال: وصل إليه من ابن العميد ثلاثون ألف دينار، وناله من عضد الدولة مثلها، أخذ عند النعمانية فقاتل فقتل هو وولده محمد وفتاه في رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة. ومن شعره:

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال^(١)

ضريح الظاهر الأيوبي

ثم مررنا بضريح الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي، وهو سلطان حلب الملك الظاهر غياث الدين أبو منصور غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب. مولده بمصر في سنة ثمان وستين وخمسمئة. سمع من أبي الطاهر بن عوف وعبد الله بن بري النحوي والفضل ابن البانياسي وحدث. تملك حلب ثلاثين سنة، وكان بديع الحسن في صباه، مليح الشكل في رجوليته، له عقل وغرور ودهاء وفكر صائب.

كان يصادق ملوك الأطراف وبياطنهم، ويوهمهم أنه لولاه لقصدهم عمه العادل، ويوهم عمه أنه لولاه لتعامل عليه الملوك ولشقوا العصا. وكان كريماً معطاء يتحف الملوك بالهدايا السنية، ويكرم الرسل والشعراء والقصّاد، وكان عمه يرعى له لمكان بنته، فماتت فزوجه بأختها والدّة ابنه الملك العزيز.

فلما ولدت زينت حلب مدة شهرين، وأنفق على ولادته كرائم الأموال، وكان قد انضم إليه إخوته وأولادهم، فزوج ذكرانهم بإناثهم بحيث إنه عقد بينهم في يوم نيفاً وعشرين عقداً، وعمر أسوار حلب أكمل عمارة، ويقال: إنه بعث بالشاعر الحلبي وألح عليه، فقال الحلبي: أنظم يعرض بالهجاء، فقال الظاهر: انثر وقبض على السيف.

قال سبط ابن الجوزي: كان مهيباً سائساً فطناً، دولته معمورة بالعلماء مزينة بالملوك والأمراء، وكان محسناً إلى الرعية، وشهد معظم غزوات والده، وكان يزور الصالحين ويتفقدهم، وله ذكاء مفرط.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/١٩٩-٢٠١).

مات بعلة الذرب، قال أبو شامة: أوصى في موته بالملك لولده من بنت العادل، وأراد أن يراعيها إختوتها، ثم من بعده لأحمد، ثم للمنصور محمد ابن أخيه الملك العزيز، وفوض القلعة إلى طغريل الخادم الرومي. توفي سنة ثلاث عشرة وستمئة، وله خمس وأربعون سنة.

قال الذهبي: كان يفيق ويتشهد ويقول: اللهم بك أستجير، ورثاه شاعره راجح الحلبي فقال:

سل الخطب إن أصغى إلى من يخاطبه	بمن علقت أنيابه ومخالبه
نشدتك عاتبه على نائباته	وإن كان لا يلوي على من يعاتبه
إلى الله أرمي بطرفي ضلالة	إلى أفق مجد قد تهاوت كواكبه
فما لي أرى الشهباء قد حال صبحها	علي دجى لا تستنير غياهبه
أحقاً حمى الغازي الغياث بن يوسف	أبيح وعادت خائبات مواكبه
وهل مخبري عن ذلك الطود هل وهت	قواعده أم لان للخطب جانبه ^(١)

مدرسة الخسروية

ثم مررنا بمسجد السلطانية، ومررنا بمدرسة الخسروية الشهيرة التي تخرج منها علماء كبار، من أمثال شيخنا عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى.

شهاب الدين السهروردي المقتول

ونزلنا في مدخل الحديدية حيث مسجد السهروردي، وهو ملاصق لمركز الشرطة، وزرنا ضريح شهاب الدين السهروردي المقتول، وهو العلامة الفيلسوف السيمائي المنطقي شهاب الدين يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي، من كان

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٢٩٧-٢٩٩).

عبد الفتاح والأستاذ عصام قصبجي متجهين إلى منزل الشيخ نور الدين عتر، وصلنا في الساعة العاشرة والنصف تقريباً، ومنزله في مكان مرتفع جداً يمكن رؤية حلب كلها من ذلك المكان، وقريباً منه موقع قصر سيف الدولة.

كان لقاء الشيخ نور الدين من أفضل أمانى، فإن هناك عالمين في الحديث النبوي الشريف لا أعدهل بهما أحداً، وكلاهما من مدينة حلب: شيخنا العلامة المحدث الباحثة المحقق العالم الرباني محمد عوّامة حفظه الله تعالى، والشيخ العلامة المحدث الناقد البصير نور الدين عتر، والذي خدم السنة تدرّساً وتحقيقاً وكتابة وتأليفاً، مع العناية بالتعمق والإتقان والتدقيق والفصل والبيان قلما تيسر لأحد في هذا العصر.

فمن مؤلفاته العلمية المتخصصة الذائعة الصيت:

١- الإمام الترمذي والموازنة بين جامعهِ وبين الصحيحين، والذي فتح للمعنيين بالحديث النبوي الشريف أبواباً كثيرة من العلم والدراية.

٢- منهج النقد في علوم الحديث.

٣- معجم المصطلحات الحديثية (باللغتين العربية والفرنسية، حائز على الجائزة الأولى لمسابقة الدراسات الحديثية، للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - جامعة الدوال العربية).

٤- تصدير معجم المصنفات في الدراسات الحديثية (حائز على الجائزة الثانية لمسابقة الدراسات الحديثية).

٥- هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصلوات الخاصة.

٦- دراسات تطبيقية في الحديث النبوي (الكتاب الأول: العبادات، والكتاب

الثاني: المعاملات).

- ٧- دراسات منهجية في الحديث النبوي (الأسرة والمجتمع).
- ٨- النكاح في سنن النسائي والأدب في سنن الترمذي.
- ٩- الحج والعمرة في الفقه الإسلامي (موضح بالمصورات الجغرافية).
- ١٠- في تفسير القرآن الكريم وأسلوبه المعجز علمياً وبياناً.
- ١١- علوم القرآن الكريم.
- ١٢- الإحرام (بحث خاص لموسوعة الفقه الإسلامي في الكويت).
- ١٣- الإحصار (بحث خاص لموسوعة الفقه الإسلامي في الكويت).
- ١٤- الحج (بحث خاص لموسوعة الفقه الإسلامي في الكويت).
- ١٥- خروج النظم المصرفية عن أحكام الشريعة الإسلامية وطرق علاجها.
- ١٦- المسانيد ومكانتها في علم الحديث.
- ١٧- أصول الجرح والتعديل.
- ١٨- خبر الواحد الصحيح وأثره في العقيدة والعمل.
- ١٩- القرآن الكريم والدراسات الأدبية.
- ٢٠- أحكام القرآن في سورة البقرة.
- ٢١- أحكام القرآن في سورة النساء.
- ٢٢- آيات الأحكام: تفسير واستنباط.
- ٢٣- إعلام الأنام شرح بلوغ المرام في أحاديث الأحكام.
- ٢٤- في ظلال الحديث النبوي: أول دراسة فكرية اجتماعية وأدبية جمالية معاصرة.

٢٥- التفسير وعلوم القرآن.

٢٦- لمحات موجزة في مناهج المحدثين العامة (في الرواية والتصنيف).

٢٧- مع الروائع والبدايع في البيان النبوي.

ومن تحقيقاته للمخطوطات العلمية:

١- علوم الحديث للإمام ابن الصلاح الشهرزوري.

٢- المغني في الضعفاء للإمام شمس الدين الذهبي.

٣- الرحلة في طلب الحديث للإمام الحافظ أبي بكر الخطيب.

٤- شرح علل الترمذي للحافظ ابن رجب الحنبلي.

٥- إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للإمام

النووي.

٦- نزهة النظر شرح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر.

٧- هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك للإمام المحدث الحافظ

المجتهد عز الدين ابن جماعة الكناي، إلى غير ذلك من البحوث العلمية والدراسات الثقافية الكثير.

الوفاء بأسماء النساء

تحدثت مع الشيخ عن أشغالي العلمية، وعن كتابي الذي أشتغل بتأليفه (الوفاء

بأسماء النساء: تراجم النساء الراويات)، فأعجب به كثيرًا، وشجعني على هذا العمل.

حافظات

وذكر الشيخ الطالبات اللاتي حفظن صحيح البخاري وغيره من كتب السنة عن

ظهر الغيب إسنادًا ومنتًا تحت إشرافه، وهذه لا شك ماثرة كبيرة ومفخرة عظيمة، لا

أعرف هذا العدد الكبير من الناس رجالاً أو نساءً حفظوا كتب الحديث عن ظهر الغيب، اللهم بارك في هؤلاء الطالبات، وأكثر أمثالهن، واجز الشيخ نور الدين خير الجزاء بحسن سعيه في الإشراف عليهن.

وسألت الشيخ أن يأمر بعض تلاميذه حتى يوفروا لي تراجمهن وتراجم غيرهن من النساء الشاميات الراويات، وإحداهن الأستاذة الباحثة سمر العشاء، التي ألفت قريباً (التيسير في حفظ الأسانيد)، وهو عبارة عن فهرس تحليلي لأسانيد صحيح البخاري، رتبته على أسماء الصحابة ثم الرواة عنهم مع الدلالة على مواضع أحاديثهم في الصحيح بذكر أرقامها، والاعتناء بالتعريف بكل راوٍ بكلمات مختصرة، وبرموز مشروحة في مقدمة الكتاب، مع ذكر التعليق على بعض الأسانيد مما يجعل الكتاب مرجعاً هاماً، وهو مفيد جداً لتسهيل حفظ الأسانيد ومتونها.

استفادتي من كتب الشيخ

وذكرت للشيخ استفادتي من كتبه، لاسيما كتابه «الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين»، ترجم فيه ترجمة حافلة للترمذي رحمه الله، كما ترجم للشيخين البخاري ومسلم، ثم درس مناهج الأئمة الثلاثة في كتبهم المشهورة، بمنهج نقدي مقارن، وعقد فصولاً مهمة في الكلام على الإسناد في جامع الترمذي، وفقه الترمذي.

وكتابه «منهج النقد في علوم الحديث»، نهج فيه منهجاً جديداً مبتكراً غير مسبق، مع المحافظة على قواعد هذا الفن وأصوله وضوابطه، مما يدل على تمكن المؤلف من ناصية هذا الفن، ويجعله في مصاف المجددين في محال التصنيف وجودة التنظيم والترتيب، فهو: «ينقل مسائل هذا العلم من التفرق إلى التكامل، ويأخذ بالقارئ من الجزئيات المبعثرة إلى النظرية المتكاملة المتناسقة التي تتألف

فيها أنواع علوم الحديث كافة، لتبدو في مجموعها منطلقة بتسديد وإحكام نحو الغاية المنشودة».

واستفسرت الشيخ عن بعض قضايا الحديث والرجال، فأجاب بما يشرح الصدور، ويكشف المعضلات، وكان المجلس والله الحمد مجلس علم وحديث.

إجازة الشيخ

وأهدى الشيخ إلي بعض مؤلفاته، وأهمها (إعلام الأنام شرح بلوغ المرام)، فسألته أن يجعل الهدية مقرونة بالإجازة، ففعل، فجزاه الله تعالى خيراً، وكتب على الجزء الأول من (إعلام الأنام): هدية تقدم إلى الأخ الكريم الدكتور الشيخ محمد أكرم الندوي المحترم لمناسبة زيارته حلب الشهباء مع الإجازة له بما يجوز عني ولي روايته، وفقنا الله وإياه لما يحبه ويرضاه.

إعلام الأعلام

وكتاب شيخنا نور الدين (إعلام الأنام شرح بلوغ المرام) شرح فيه بمنهج علمي تحليلي دقيق كتاب «بلوغ المرام من أدلة الأحكام» للحافظ ابن حجر. وتناول في شرحه تحليل الأسانيد، وعني ببيان وجه الاستدلال في كل مسألة مستنبطة من الأحاديث المشروحة، وبين مذاهب الفقهاء وكيف تعامل كل مذهب مع الحديث، طبع منه حتى الآن ثلاثة مجلدات ضخام. والمرجو أن يبلغ ستة مجلدات، الجزء الأول يشتمل على شرح أحاديث الطهارة والصلاة، والجزء الثاني يتناول أحاديث بقية أبواب العبادات، واللباس والبيوع، والجزء الثالث مخصص لشرح أحاديث المعاملات والأسرة، وأنقل هنا من مقدمة الشيخ ما يلقي الضوء على أهمية شرحه ومنهجه، يقول:

إن «بلوغ المرام من أدلة الأحكام» للإمام الحافظ شيخ الإسلام أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، من أوجز ما جمع في هذا الباب حجمًا، وأعظمها نفعًا، حرره هذا الإمام تحريرًا بالغًا، «ليصير من يحفظه من بين أقرانه نابغًا، ويستعين به الطالب المبتدي، ولا يستغني عنه الراغب المنتهي». فكان حقيقًا أن تُستحفظ أحاديثه عن ظهر قلب، وأن يُعنى بدراسته فنًا وفقهاً كل ذي لب، فتعددت الشروح عليه، وأقبلت همم الدارسين من الطلاب والعلماء إليه.

وقد اشتهر بين الطلاب كتاب «سبل السلام شرح بلوغ المرام» تأليف العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (المتوفى سنة ١١٨٢ هجرية) رحمه الله تعالى، الذي اختصره من «البدر التمام شرح بلوغ المرام» للقاضي الحسين بن محمد المغربي، لأن «سبل السلام» قد قُرر على طلاب العلم في مناهج الأزهر الأخيرة، وبالتالي في مناهج كليات أخرى غير الأزهر لدراسة الحديث، لما أنهم لما وضعوا المناهج لأحاديث الأحكام، أعوزهم كتاب مختصر سهل، فكان «سبل السلام» أقرب من غيره لذلك المرام.

لكن الناظر المتأمل في كتاب «سبل السلام» يتحقق أنه غير كاف لتحقيق الغرض منه على التمام، لتقصيره الواضح في الجانب الحديثي الفني رواية ودراية، وإخلاله بما يجب في فقه الحديث من توجيه دلالاته، وتدقيق النقل لآراء الفقهاء في دلالة الحديث ومعانيه.

وقد بادرنا فور قيامنا بتدريس الحديث في المدينة المنورة فأعدنا كتبًا تدرس أحاديث متخيرة، طبعت كتبًا جامعية، تداولها الطلاب، وتقدمنا بها لأفاضل العلماء من أولي الألباب، في مختلف الجامعات والبيئات، فكانت محل الثناء من الأفاضل الزملاء، والله الحمد والمنة، ونرجو منه القبول وإتمام المنّة.

ولما أن الحاجة ماسة لتعميم نفع تلك المؤلفات، وقد عظمت الرغبات بشرح «بلوغ المرام» جميعه على نهج تلك الدراسات، لاسيما وقد شاعت في الناس مؤلفات حادت عن سواء السبيل، وحتّم أصحابها على الناس قبول أفهامهم بما فيها من سقيم وعليل، بغير حجة ولا دليل، إلا مجرد الزعم بأن فهمهم هو السنن والسبيل، وأوغلوا في ذلك حتى شقّوا وحدة أهل الإسلام، وحجّروا على الناس ما اتسع من شريعة خير الأنام، وأغلقوا الباب على عمل العقول والأفهام، وسموا كل من لم يوافقهم مبتدعًا، ولغير السنة متبعا، جاهلين أو متجاهلين أنه إن كان لهم دليل فللائمة أدلة، وإن قبل أحد من الناس كلامهم فاللائمة محل إجماع الأمة، لذلك كله شمرنا عن ساق الجد لتكميل شرح «بلوغ المرام» شرحًا يلبي الحاجة، ويسهل السبيل لبلوغ الغاية، وزدنا فائدة القارئ بنصوص من مصادر الشروح القديمة للحديث، لنجمع إفادة القارئ من القديم والحديث، وعيننا باستدلالات الأئمة وبيان كيفية أخذها من السنة، لتوسيع آفاق القراء وتعارف أهل الملة، كما أودعنا هذا الشرح فوائد وتوجيهات فريدة، لا توجد في غيره، تزيد الأمة نفعًا.

أخبرنا شيخنا العلامة نور الدين عتر، أنا العالم الرباني الشيخ عبد الله سراج الدين الحلبي بإسناده إلى الحافظ ابن حجر، أنا أبو هريرة ابن الذهبي، أنا والدي، أنا أحمد بن سلامة، عن محمد بن إسماعيل الطرسوسي، عن محمد بن طاهر، أنا الحسن بن عبدالرحمن، أنا أحمد بن إبراهيم بن فراس، أنا محمد بن الربيع الجيزي، أنا عبدالله بن أبي رومان بالإسكندرية، حدثنا ابن وهب، أخبرني عيسى بن يونس،

(ح) قال ابن طاهر: وأخبرنا الفضل بن عبدالله المفسر، أنا أبو الحسين الخفاف، حدثنا أبو العباس السراج، حدثنا إسحاق الحنظلي، أخبرنا عيسى بن يونس، حدثنا حسين المعلم، عن بديل بن ميسرة، عن أبي الجوزاء، عن عائشة قالت:

كان رسول الله ﷺ يستفتح صلاته بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين، وكان إذا ركع لم يشخص رأسه ولم يصوبه، وكان إذا رفع رأسه من الركوع استوى قائمًا، وكان إذا رفع رأسه من السجدة لم يسجد حتى يستوي جالسًا، وكان ينهى عن عقب الشيطان، وكان يفرش رجله اليسرى وينصب رجله اليمنى، وكان يكره أن يفرش ذراعيه افتراش الكلب، وكان يختم الصلاة بالتسليم، وكان يقرأ في كل ركعتين التحية.

قال شيخنا نور الدين: الحديث أخرجه مسلم، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبو خالد - يعني الأحمر -، عن حسين المعلم (ح) قال: وحدثنا إسحاق بن إبراهيم واللفظ له، قال: أخبرنا عيسى بن يونس، حدثنا حسين المعلم، عن بديل بن ميسرة، عن أبي الجوزاء، عن عائشة، قالت.

وكذلك أخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد بأسانيدهم عن حسين المعلم به إلى عائشة. وقد تكلّم في سند الحديث، قال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام: وله علة، وقال محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني: وهي أنه أخرجه مسلم من رواية أبي الجوزاء - بالجيم والزاي - عن عائشة.

قال ابن عبد البر: هو مرسل، أبو الجوزاء لم يسمع من عائشة، وأعلّ أيضًا بأنه أخرجه مسلم من طريق الأوزاعي مكاتبه. أما العلة الأولى فقال الشوكاني أيضًا: قال ابن عبد البر: لم يسمع منها، وحديثه عنها مرسل، يعني: أبا الجوزاء عن عائشة.

والجواب أن ادعاء انقطاع السند بين أبي الجوزاء وعائشة ادعاء غير سديد، فأبو الجوزاء هو أوس بن عبد الله الربيعي تابعي ثقة، يرسل كثيرًا، مات سنة ثلاث وثمانين، أخرج له الجماعة، والسيدة عائشة رضي الله عنها ماتت سنة سبع وخمسين، فلا ينكر له لقاءها، وقد ذكر الأئمة في ترجمته اسم السيدة عائشة في شيوخه، لم يطعن

أحد منهم في سماعه منها، إلا ما أشار إليه البخاري بقوله: في إسناده نظر، وهو قول ناشئ من اختلاف الشيخين في الحديث المعنعن.

قال الزيلعي: قلنا: يكفي أن حديث أودعه مسلم صحيحه، وأبو الجوزاء اسمه أوس بن عبد الله الربيعي، ثقة كبير، لا يُنكر سماعه من عائشة، وقد احتج به الجماعة. وبُذِلَ بن ميسرة تابعي صغير مجمع على عدالته وثقته، وقد حدث بهذا الحديث عنه الأئمة الكبار، وتلقاه العلماء بالقبول، ولم يتكلم فيه أحد منهم.

وأما العلة الثانية، وهي قول الصنعاني: وأعل أيضًا بأنه أخرجه مسلم من طريق الأوزاعي مكتوبة، فلا ندري من أين قالها، وهذا إسناده مسلم وغيره سقناه لك، ليس في رواية أحد منهم ذكر للأوزاعي في سند الحديث، فضلًا عن فساد الإعلال بالمكتوبة.

رجوع إلى المنزل

تأخر الوقت، ونحن مستلذون بحديث الشيخ، ومتفعون بفوائده، وهو ممن يجب على طلبة العلم أن يشدوا إليه الرحال، ويعتكفوا على بابه حتى يبلغوا منه الآمال، فقلما يجود الدهر بمثله، وإن الزمان بمثله لبخيل، واستأذنت الشيخ والقلب غير راض بمغادرته، وفي النفس هوى لتقضى حاجته، ووصلت إلى منزلي حوالي الساعة الثانية عشرة.



غرة رجب يوم السبت

جعلنا صباح السبت لجولة سياحية لحلب القديمة، فخرجنا الساعة الثامنة إلى القلعة، ولكنها مغلقة، ولا تفتح إلا في الساعة التاسعة، فاتجهنا إلى مطعم أمام باب القلعة، وتناولنا شيئاً من الفطور، كان الطعام شهياً لذيذاً.

قلعة حلب

ودخلنا في القلعة الساعة التاسعة تقريباً، تعتبر القلعة من أكبر قلاع العالم وأقدمها، ومن أجمل وأضخم عمارات حلب الأثرية، تنتصب وسط المدينة على هضبة يزيد ارتفاعها عن ٤٠ متراً، وفيها آثار تشير إلى الحضارات التي تعاقبت على حلب منذ خمسة آلاف عام، وكانت في بادئ الأمر مركزاً للعبادة، وأول من استخدمها للدفاع هو سلوقس نيكاتور عام ٣١٢ قبل المسيح، ودخلها المسلمون صلحاً، وتجدد بناؤها عدة مرات، يعود تاريخ بناء أهم أقسام القلعة إلى عصر الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين الأيوبي، فلقد حصّن مدخلها وبنى على سفحها جداراً، وحفر حولها الخندق، وشيد في داخلها مسجداً وعدداً من القصور. وكانت زوجته ضيفة خاتون، التي صارت ملكة حلب، تعيش في أحد قصور القلعة، وفيها دفنت أولاً.

ودخلنا القلعة من بوابة ضخمة من خلال برج دفاعي مستطيل الشكل، ينتهي بالمدخل الكبير للقلعة، ويتكون من دهليز ينتهي بباب ضخم من الحديد المطرق، تعلوه فتحات للمرامي والمحارق، ويعود إلى عصر خليل بن قلاوون الذي جدده ورممه، وتعلو الباب قنطرة حجرية عليها نحت ممتد على طولها يمثل ثعبانين برأس تنين، ومكتوب على بوابة القلعة: (اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها).

وبعد اجتياز هذا المدخل وصلنا إلى دهليز آخر في جدرانہ الثلاثة أو اوين ضخمة، وفي إيوانه الشمالي باب يتصل بدرج يؤدي إلى قاعة الدفاع، وللقلعة باب رابع خشبي يعلوه ساكف عليه نحت أسدين متقابلين. وبعد اجتياز الباب مررنا بمصاطب مرتفعة تتخللها غرف ومستودعات. ثم وصلنا إلى ممر القلعة الداخلي تتخلله مجموعة من المباني والحوانيت، وثمة درج يؤدي إلى القصر الملكي.

وتابعنا المسير، حتى وصلنا إلى مسجد إبراهيم الخليل الذي أنشأه الملك الصالح إسماعيل بن محمود بن زنكي سنة ٥٣٦هـ، وعلى مدخل المسجد، وعلى جدرانہ كتابات تاريخية.

ويلي هذا المسجد بناء آخر هو مسجد ذو مئذنة مربعة عالية، أنشئت في عصر الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي.

ثم شاهدنا ثكنة عسكرية أنشئت في عصر إبراهيم باشا المصري سنة ١٢٥٢هـ. وفي وسط هذه الرابية قاعة كبيرة، وصلنا إليها من خلال سبعين درجة تحت السطح، كانت تستعمل مستودعاً للحبوب والعلف.

ومن القصور التي ما زالت قائمة، قصر يوسف الثاني حفيد غازي، مزين مدخله بمقرنصات جميلة، وأمامه ساحة مرصوفة بأحجار صغيرة ملونة ذات رسم هندسي بديع، واتجهنا من القصر إلى قاعة العرش، ودخلناها من بوابة ذات أحجار ملونة، تعلوها مقرنصات، تحتها كتابة تاريخية. ولقد شيدت القاعة في العصر الأيوبي على برجين حول المدخل الخارجي، ثم أكملت ورممت في العصر المملوكي.

ثم أضيف إليها في عام ١٩٦٠ زخارف أثرية خشبية وحجرية. ومن أجمل نوافذ هذه القاعة، نافذة كبيرة ذات شباك مزخرف بصيغ عربية، ومن خلاله تُرى مدينة حلب مترامية الأطراف عند مدخل القلعة، ولقد زخرفت واجهات القاعة الخارجية،

بزخارف هندسية حجرية وبأشرطة من الكتابات العربية من أبلغها (قل كل يعمل على شاكلته).

وتحت قاعة العرش هذه، قاعة الدفاع، وتخرق جدرانها كُوى لرمي السهام، وفتحات لسكب السوائل المحرقة على المداهمين والمُحاصرين، مررنا بجميع نواحي القلعة، ولقد أعجبنا بناؤها الممتين.

أسواق حلب

ثم دخلنا أسواق حلب القديمة المغطاة، والتي تمتد لأكثر من عشرة كيلو مترات، وتعد في طليعة أسواق المدن العربية والإسلامية من حيث جمالها واحتفاظها بطابعها الأصلي، ويعود أكثرها إلى القرنين السادس والسابع الهجري، وتعتبر بحق متاحف شعبية حية، وتمتد من باب إنطاكية غرباً إلى سوق النيرب شرقاً بطول ٧٥٠ وعرض ٣٥٠ م.

وهي على شكل شوارع وأسواق متوازية ومتعامدة، تضم تسعة وثلاثين سوقاً، يختص كل سوق بنوع من البضائع والسلع، كسوق الحبال والقطن والعطارين والسقطية.

وكانت أسواق حلب مفتوحة للتجار من أنحاء العالم، وكانت لهم خانات مخصصة، وتشتهر هذه الخانات بواجهاتها المزينة بالزخارف ومدخلها ذات الأقواس العالية، وأبوابها الخشبية المصفحة بالحديد والنحاس، وأشهر هذه الخانات خان الجمرک، وخان الوزیر، وخان الشونة وخان النحاسین.

كما مررنا ببعض حمامات حلب، وتشتهر مدينة حلب بحماماتها الأثرية التي ينوف عددها عن الستين حماماً، بعضها مبني منذ أكثر من ٨٠٠ سنة، وحمام باب الأحمر وحمام يلبغا الناصري الذي بني في القرن الثامن الهجري وقامت وزارة

السياحة بترميمه، وتم افتتاحه وتوظيفه سياحيًا. ثم مررنا بالبيمارستان الأرغوني الذي يعتبر مثالاً رائعاً للعمارة الإسلامية. وقد بني في القرن الرابع عشر.

الجامع الأموي

ودخلنا الجامع الأموي الكبير، والذي يقع في سوق حاتم شمال الجبل الكبير، وحاليًا يجري في الجامع عملية تجديد البناء وإصلاح العمارة، والجامع من أكبر جوامع المدينة التي تحوي ما يقارب ألف جامع ومسجد، تمثل أربعة عشر قرنًا، ويتميز بمنارته الجميلة والمربعة الشكل، ومنبره الرائع المصبوغ من خشب الأبنوس والمطعم بالعاج، ومحرابه المصنوع من الحجر الأصفر، والمزين بالمقرنصات، وأورقته المتناطرة المتناسقة.

وقد بني هذا الجامع الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك عام ٩٦ هـ، ليضاهي به ما عمله أخوه الوليد في جامع دمشق، وعندما دخل الإمبراطور البيزنطي نقفور فوكاس الثاني حلب أحرقها وأحرق جامعها ثم رحل عنها، فقام سيف الدولة بترميمه في عهده، وفي أيام نور الدين الزنكي أحرقته الإسماعيلية مع الأسواق التي حوله، فاجتهد نور الدين بعمارته وتوسعته، وكان للأتراك سهم في عمارته. وفي الجامع جناح بني في عهد السلطان عبد الحميد مكتوب على بابه:

في ظل سلطان الزمان مليكنا	عبد الحميد المعتلي بمقامه
وبسعي والينا المعظم ناظم	من ساد في الشهباء حسن نظامه
وعناية المولى الهمام محمد	مفتي الشريعة زيد في إكرامه
صحت معالمه وشيد بناؤه	وزكا شذاه زها بفرش رخامه
عمل به الإسلام طابت نفسه	أرخت لما فاح مسك ختامه

جوامع أخرى

وأمام الجامع الأموي بالضبط جامع الحلوية، والمدرسة الحلوية، ورأينا الآن في المدرسة لافتة «الجمعية الخيرية الفلسطينية». ورأينا في حلب القديمة قريباً من الجامع الأموي جامع الفستق، يرجع إلى العهد المملوكي سنة ٦٠٥ هـ.

في منزل الأستاذ قصبجي

واشتد النهار وشعرنا بحرارة، فعدنا إلى منزلنا حوالي الساعة الثانية عشرة واسترحنا قليلاً، ثم خرجنا في الساعة الواحدة إلا الربع للغداء في منزل الأستاذ الدكتور عصام قصبجي، وهو قريب من جامع الغزالي، وهو جامع فخم بني حديثاً، ومنزل الأستاذ قصبجي في الحي السكني لجامعة حلب، دخلنا منزله فاستقبلنا هو وأهله استقبالاً عظيماً، ورحبوا بنا ترحيباً كبيراً.

حديث حول البلاغة والنقد

وتحدثت مع الأستاذ قصبجي طويلاً حول الأدب العربي القديم والحديث، ونظريات النقد والبلاغة، وشرحت للأستاذ مقومات كتاب عبد الحميد الفراهي^(١) عن أساليب القرآن، ثم حدثته عن كتابه «جمهرة البلاغة»، وعن انتقاده لعلماء البلاغة العربية أنهم لم يؤسسوا أصولهم على كلام العرب، ولم يستمدوا نظرياتهم من القرآن

(١) وهو العلامة الفاضل عبد الحميد المعروف بحميد الدين بن عبد الكريم الأنصاري الفراهي المفسر الكبير صاحب التأليف النافعة (١٠٨٢-١٣٤٩)، كان متقناً للغات الفارسية، والعربية، والأردية، والإنكليزية، والعبرية مع اختصاص في القرآن الكريم وعلومه، وتفوق في الفلسفة الحديثة، له: نظام القرآن، والإمعان في أقسام القرآن، وجمهرة البلاغة، وأساليب القرآن، والرأي الصحيح في من هو الذبيح، وديوان لشعره بالعربية.

الكريم ولا الحديث النبوي الشريف ولا الشعر الجاهلي ولا الشعر الإسلامي في عهد احتجاجه، بل إن البلاغة العربية مأخوذة من اليونان، وأمثلتها تبتني على الشعر المتأخر، فقال الأستاذ: أنا قمت بدراسة مقارنة لبلاغة اليونان، فوصلت إلى أن العرب لم يأخذوها من اليونان، بل ولم يطلعوا على أصول بلاغتهم، وما نسب بعضهم إلى اليونان ليس بصواب، والأستاذ قصبجي يتسم بأسلوب علمي جاد في حديثه من دون أي هجوم على الآخرين، سمعت حديثه فأعجبني علمه وأدبه وسمته، وأرى أن كتاب الفراهي في حاجة إلى أن يدرس دراسة مقارنة بصيرة.

أصول النقد العربي القديم

وأهدى إليّ الأستاذ كتابه «أصول النقد العربي القديم»، وهو كتاب فريد في موضوعه، لا يعرض معلومات جامدة تقليدية عن الأدب والنقد، بل يجلو أصول النقد الأدبي القديم على نحو يساعد على فهم الشعر من حيث كونه رؤيا شعورية حية، لا نظمًا ذهنيًا جامدًا. وهو منقسم إلى مدخل وثلاثة فصول، تحدث في المدخل عن الطابع الغنائي في النقد العربي القديم: في النقد الجاهلي، في النقد الإسلامي، في النقد الأموي، في النقد العباسي، يقول فيه: فلنسلم، إذن، بأن شيئًا من التطور لم يمس النقد في العصر الأموي إلا في رصف الذوق المتأثر بالحياة الجديدة، ويبدو أننا سنسلم أيضًا بأن شيئًا من التطور لم يمس النقد في العصر العباسي، بحيث ينقله من الغنائية إلى الموضوعية، ومن التأثر إلى التعليل، أو من التأثر دون تعليل إلى تعليل التأثر، وذلك على الرغم من وجود بعض النقاد الذين حاولوا أن يجعلوا من النقد علمًا، كابن سلام في طبقاته، وابن المعتز في بديعه، وقدامة في نقده، والآمدي في موازنته، والجرجاني في وساطته، وليس ثمة جدال هنا في أن هؤلاء طوروا في الذوق، ولكنهم لم يطوروا في التعليل، ولم يضعوا المعايير التي تخلص النقد من غنائيته، أو تخفف من غلوها،

فالأمدي مثلاً أثر البحري إثارة ذوقياً، كما دافع الجرجاني عن المتنبي دفاعاً ذوقياً، وإن أخرج ذلك مخرج الحياد أو النزاهة العلمية، وما يبدو أنه قواعد نقدية إنما كان نابعاً من الذوق العام أو العرف العام غالباً^(١).

ويناقش في الفصل الأول قضية المحاكاة عند الفلاسفة: مفهوم المحاكاة بين أفلاطون وأرسطو، ومفهوم المحاكاة عند الفلاسفة المسلمين: الفارابي، وابن سينا، وابن رشد، بدأ هذا الفصل بقوله: ثمة علاقة جوهرية بين النقد والمحاكاة منذ طلع أفلاطون بنظريته التي فسر بها حقائق الوجود إلى أن قال شلي: إن الشعر فن قائم على التقليد^(٢)، وقارن بين أفلاطون وأرسطو بقوله: لا ريب أن مفهوم المحاكاة عند أرسطو يختلف عن مفهوم أفلاطون اختلافاً جوهرياً نابعاً من اختلاف النظرة الفلسفية، فأفلاطون أصلاً كان ذا نزعة صوفية غائية، بينما كان أرسطو ذا نزعة عملية تجريبية، ومن ثم فلم يدع أرسطو لنظرية أستاذه في المثل، حقاً لقد ذهب أيضاً إلى أن الفن محاكاة ولكنه لم يقرن نظرية المحاكاة بنظرية المثل فيكبل الفن بقيود الفلسفة، فالشعر محاكاة للطبيعة حقاً، ولكن الطبيعة ليست محاكاة لعالم عقلي، والشاعر إنما يحاكي الطبيعة بعد أن يفهمها على نحو متكامل منظم، وإذا كانت المحاكاة عند أفلاطون نظرية فلسفية فإنها عند أرسطو نظرية فنية^(٣).

ويقول لدى شرحه لمفهوم المحاكاة عند الفلاسفة المسلمين: لا غرابة إذن في أن العرب ترجموا أفكار أرسطو، ولكنهم فهموا أفكار أفلاطون، ذلك أن مفهوم أفلاطون عن المحاكاة كان أقرب إلى طبيعة الشعر العربي، ولكن المعضلة حقاً هي أنه

(١) (ص ٣٠).

(٢) (ص ٣٨).

(٣) (ص ٥٠).

كان أيضًا على حملته على الشعر، فكأن النقاد العرب أقرّوا أفلاطون على أن الشعر تصوير حي لمظاهر الأشياء، ولكنهم لم يجعلوا ذلك سببًا في ازدراء الشعر، وإنما جعلوه -تبعًا لطابع شعرهم- مظهر الإبداع الفني.

وربما كان أبلغ دليل على الشكل الفني المحرف الذي ظهرت به نظرية المحاكاة عند العرب، هو أن النقاد - والفلاسفة منهم خاصة - فهموا من الناحية النظرية غالبًا مذهب أرسطو في المحاكاة، ولكنهم كانوا يقعون في الغلط عندما يحاولون تطبيقه على الشعر العربي على نحو يشير إلى أنهم ظلوا يجهلون التناقض بين محاكاة أرسطو ومحاكاة العرب، ولعل أهم ملاحظة في هذا المجال هي أن الذهن العربي لم يجد مصطلحًا يقابل مصطلح المحاكاة سوى مصطلح التشبيه.

وحقًا إن التشبيه قد يصدق على مفهوم أفلاطون للمحاكاة، بيد أنه لا يصدق على مفهوم أرسطو مطلقًا، ولقد كان لتفسير المحاكاة بالتشبيه أبلغ الأثر في قصر الشعر العربي على دائرة المجاز، من خلال الاعتقاد بأن المجاز عمومًا، والتشبيه خصوصًا هو غاية الفن^(١).

وعرض في الفصل الثاني قضية المحاكاة عند النقاد، بدأه بقوله: لعل في مقدور المرء أن يطمئن إلى أمر واضح هو أن النقاد العرب لم يفهموا من المحاكاة غير التشبيه^(٢)، وعالج في هذا الفصل موضوع المحاكاة بين الصدق والكذب بما يروي الغليل ويشفي العليل.

يقول: قال الفارابي: «إن الأقاويل الشعرية كاذبة بالكل لا محالة»، ولا ريب أنه كان يريد تمييزها من ضروب الأقاويل الأخرى، البرهانية، الجدلية، والخطابية، من

(١) (ص ٥٩-٦٠).

(٢) (ص ١٣٣).

حيث اعتماد الأقاويل الشعرية على التخيل، ولم يكن يريد بها سوءاً...، على أن النقد لأمر ما فهموا من الكذب شيئاً آخر، فظنوا أنه نقيض الصدق وأفضى هذا الغلط، فضلاً عن اقتران مصطلح الصدق بالمدلول الديني الخلقي، إلى التخبط طويلاً بين القول: إن الكذب هو غاية الشعر، وبين القول: إن الصدق هو غاية الخلق، وكأن ثمة تعارضاً بين الشعر والخلق، ويلوح أن منشأ الغلط يرجع إلى الخلط بين مفهوم الخيال، ومفهوم الكذب، على نحو يوهم الوحدة^(١)، وختم حديثه هذا بمناقشة آراء عبد القاهر الجرجاني إلى أن قال: وهكذا بدأ عبد القاهر فقال: إن التخيل كذب، وانتهى فقال: إنه كذب، والتمس له فيما بين ذلك شيئاً من اللطف قد يشفع له قليلاً، ولكنه لا يسوغه تماماً، وكيف وهو ضرب من الكيمياء والسحر، وقلب الصور والجواهر^(٢).

وخصص الفصل الثالث لمناقشة آراء أبي الحسن حازم القرطاجني صاحب «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» حول المحاكاة، ويرى الأستاذ أن حازماً لم يأت بشيء جديد في الفكر، يقول: وهكذا يمكن القول إن فضل حازم يتجلى في منهجه أكثر مما يتجلى في فكره، لأنه لم يكديأت بجديد يذكر في مبادئ النقد، وإن كان قد أجاد عرض هذه المبادئ في ثوبها اليوناني حيناً، والعربي حيناً آخر^(٣)، وبما أن حازماً شاعر أيضاً إلى جانب كونه ناقدًا، فقارن الأستاذ بين النظر والعمل والمنهاج والتطبيق، ليرى ما إذا كان حازم مخلصاً لمنهجه النقدي بحيث يأتي شعره صورة لنظريته، ويخلص إلى أنه «إذن لا سبيل إلى اعتبار شعر حازم مثلاً لنقده، بل لعله يمكن اعتباره نقيض نقده»^(٤).

(١) (ص ١٨٤).

(٢) (ص ٢١٤).

(٣) (ص ٢٨٣).

(٤) (ص ٢٩١).

الدكتور إبراهيم السلقيني

ثم صلينا العصر في جامع طارق بن زياد، وصحبت الشيخ عبد الفتاح إلى منزل الدكتور إبراهيم السلقيني، والذي ولد سنة ١٩٣٥ في حلب في بيت العلم والفقه، ومن شيوخه: الشيخ سعيد الإدليبي. والشيخ أسعد الإدليبي، والشيخ أحمد الشماع، والشيخ عبد الوهاب سكر، والشيخ ناجي أبو صالح، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ موسى الزباد، والشيخ محمد راغب الطباخ درس عليه التاريخ والحديث والثقافة، وأجازه إجازة عامة، والشيخ السلقيني آخر من أخذ عن راغب الطباخ، وهو عالم متمكن من الفقه، وعمل عميداً لكلية الشريعة في حلب، وأسس كلية الشريعة في الإمارات. ومن مؤلفاته: الفقه الإسلامي (العبادات)، و«الميسر» في أصول الفقه، وكتب للتدريس في دور المعلمين والمعلمات.

وبيته كله علم وفضل، ومن شدة تواضعه لا يظهر نفسه. وتحدث الشيخ السلقيني عن شيخنا أبي الحسن الندوي رحمه الله تعالى، فقال: كان أبو الحسن الندوي متميزاً في خصائص نادرة.

إجازته

ثم استجزت الشيخ، فأجارني إجازة عامة في الحديث والفقه وأصوله، والحمد لله على ذلك.

المرأة في الشريعة الإسلامية

ثم سأله بعض الحضور عن موقف الشريعة من المرأة في الإرث والطلاق والشهادة، فقال: إن هذه الشريعة من وضع خالق الكون والإنسان والحياة، ولن يصدر عن هذه الشريعة أي حكم من الأحكام إلا لتحقيق مصالح العباد من جلب المنافع لهم

أو دفع المفسد عنهم، وأن هذه الشريعة لم تفرق بين أجناس البشر وأنواعه، بل ضمن للجميع ما يكفل العدالة والتكامل في هذه الحياة، لأن الإنسان كائن اجتماعي، فلا بد من التكامل والتعاون، وميزة هذه الشريعة أنها حققت العدل والمصلحة للجميع ومع الجميع.

وتأتي الشريعة رافعة من شأن المرأة وكرامتها، واعتبرتها كائناً إنسانياً كالرجل، حيث قال الله تعالى: (ولقد كرّمنا بني آدم)، ولم يقل كرّمنا البيض أو السود، فكل فرد من بني آدم موضع التكريم، ومن هذا المنطلق فإن المرأة موضع التكريم، وفرّق الإسلام بين الرجل والمرأة في الميراث والشهادة، وفرضية الحجاب، وفي الاختلاط، وجعل الطلاق بيد الرجل، وأمثال ذلك، والسبب أن الإسلام لم يعتبر الإنسان صوراً متماثلة، وغير ممكن أن يكون كل واحد متماثلاً، أمرنا أن نتسابق في الخيرات، من هنا لا ينبغي أن نقول إن الرجل خير من المرأة، أو إن المرأة خير من الرجل، بل التقوى هي مقياس الفضل، فالرجل والمرأة ليسا متماثلين ولا متخالفين، بل هما متكاملان، الرجل غير المرأة في الناحية الصورية، لو كان المجتمع كله رجلاً أو امرأة لن يكون هنا بقاء، نظر الإسلام إلى هذا الجانب كتوجيه اختصاصات ومسؤوليات، وتبعاً لهذا جعل الإسلام العمل خارج المنزل للرجل، وداخل المنزل للمرأة، وجعل النفقة على الرجل طول حياته، ولا تكلف المرأة بالنفقة، وبمقابل ذلك جعل نصيب الرجل في الميراث ضعف المرأة لتحقيق التوازن والعدالة، وأخطر عمل هو إيجاد أجيال سليمة. وهناك مسائل تكون شهادة النساء مقدمة على الرجال كالولادة، وهناك أمور شهادة الرجال فيها ضعف شهادة النساء، لأن المرأة بعيدة عن الصفقات التجارية والخصومات، وطبيعة الإنسان أنه لا يتذكر ما هو بعيد عن تخصصه وممارساته، ومن ثم قال الله: ﴿فَتَذَكَّرَ أَحَدَهُمَا الْأُخْرَى﴾.

تعدد الزوجات موجود في العاكم كله وفي جميع الأديان والحضارات، الفرق أن الإسلام ضبطه ونظمه، وجعل له حدًا معيّنًا، حتى الزيادة على الواحدة لا تصلح إذا لم يؤد الحقوق، والأصل أن هذا ليس إلا كعلاج للمجتمع، وفي مقابل ذلك جعل الزنا من أعظم الجرائم صيانة للمجتمع عن العلاقات التي تؤدي إلى فوضى.

وجعل الطلاق بيد الرجل، لأن الله أعطى للمرأة ما لم يعط للنساء من شدة الحب والحنان والعاطفة، والرجل هو المسؤول عن تدبير المنزل، ولو عكس الأمر لأدى ذلك إلى تعاسة المجتمع. أذكر هنا قصة، كان هناك صديقان، كان أحدهما دائماً يثني على زوجته ويمدحها، لم يتلاقيا إلا وجرّ الحديث إلى وصف طيب معيشتها وخلقتها، إلى حد أن صديقه ملّ من هذا التكرار، فقال: أريد أن أمتحن ذلك، واتفقا على خطة: دخل الرجل إلى بيته بعد العودة من العمل مقطبًا منقبضًا، فقالت له زوجته: ما حدث لك؟ فقال: صدر القانون من الدولة أن الطلاق يكون منذ الآن بيد المرأة، فقالت: إننا متحابّان، وعلاقتنا طيبة، فهذا لا يؤثر علينا، فأعدت الطعام، وقالت له: اغسل الصحون، وأصبحت تتعالى عليه حتى قالت: أنت طالق ثلاثًا، فجاء صديقه في اليوم الثالث فقال: والله طلقنتي زوجتي.

وتحدث عن قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾، وقال: هي درجة القوامة والقيادة، وليس معنى القيادة التحكم والتسلط، إنما هو مفهوم المسؤولية، وهي درجة للقوامة، والقيادة تنبني على الشورى، فهي قيادة خدمة ورعاية.

أخبرنا الشيخ إبراهيم السلقيني وجماعة، قالوا: أخبرنا محمد راغب الطباخ بإسناده إلى الحافظ ابن حجر، أنا أبو هريرة ابن الذهبي، أنا والدي الحافظ شمس الدين الذهبي، أنا أحمد بن هبة الله، عن عبد المعز بن محمد، أنبأنا تميم بن أبي سعيد، أنبأنا محمد بن عبد الرحمن، أنبأنا أبو عمرو بن حمدان، أنبأنا أبو يعلى

الموصلي، حدثنا علي بن الجعد، أنبأنا شعبة، عن عمرو بن مرة، سمعت يحيى بن الجزار، عن ابن عباس قال: جئت أنا و غلام من بني هاشم على حمار، فمررنا بين يدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يصلي، فنزلنا عنه وتركناه يأكل من بقل الأرض أو من نبات الأرض، فدخلنا معه في الصلاة، فقال رجل: أكان بين يديه عنزة؟ قال: لا.

مغادرة حلب

و كنت قد قررت من قبل أن أخرج من حلب الساعة السادسة، وتأخر الوقت فاستأذنت الشيخ، وجئت إلى المنزل، وكان الأهل جاهزين، فركبنا السيارة، واتجهنا إلى حلب القديمة لأنني أحببت أن أزور ضريح الشيخ عبدالله سراج الدين الحلبي في المدرسة الشعبانية قبل أن أخرج.

الشيخ عبد الله سراج الدين الحلبي

العلامة المسند محيي الدين والعلم الناطق ببراhein الكتاب والسنة الشيخ أبو النجيب عبد الله بن الشيخ محمد نجيب بن الحاج محمد سراج الدين الحلبي الحنفي. يروي عن والده المتوفى سنة ١٣٧٣ هـ، والعلامة محمد راغب الطباخ المتوفى سنة ١٣٧٠ هـ، والعلامة المحدث الشيخ حسن بن محمد المشاط المكي المتوفى سنة ١٣٩٩ هـ، والعلامة الشيخ السيد محمد مكي بن محمد بن جعفر الكتاني المتوفى سنة ١٣٩٣ هـ، والعلامة المسند الفقيه الشيخ إبراهيم بن سعد الله الختني الحنفي المتوفى سنة ١٣٨٩ هـ، وجماعة.

والشيخ عبد الله سراج الدين من كبار علماء حلب، وأخذ عنه عدد كبير من الناس، وكتبت إليه أطلب الإجازة منه، فلم يقدر لي ذلك، وتوفي إلى رحمة الله عشاء الاثنين العشرين من ذي الحجة سنة ١٤٢٢ هـ، فتأسفت كثيراً على فواته، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنانه.

ومن محبتي للشيخ كانت رغبتني شديدة أن أزور ضريحه، وهو دفين في المدرسة الشعبانية، لما وصلنا إلى المدرسة رأيناها مدرسة منسقة منظمة ونظيفة، وكن الطلبة في إجازة، فزرت أنا وبناتي ضريح الشيخ ودعونا له ولأنفسنا.

أخبرنا الشيخ المحدث الأصيل محمد عوامة، والشيخ الناقد البصير نور الدين عتر وجماعة، قالوا: أخبرنا الشيخ الصالح بركة حلب عبد الله سراج الدين، أنا السيد محمد مكّي الكتاني بإسناده إلى الحافظ ابن حجر، أنا أبو إسحاق التنوخي مشافهة، أنا أبو نصر محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الشيرازي الفارسي إجازة، أنا جدي أبو نصر، أنا الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، أنا علي بن محمد بن علي بن أبي ذر محمد بن إبراهيم بن علي أبو الحسن بن أبي بكر الصالحاني الأصبهاني بقراءتي عليه ببغداد قدمها حاجًا، قال: أبنا القاضي أبو بكر محمد بن الحسن بن سليم، ثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر إملاءً، ثنا محمد بن يعقوب بن يوسف الأصم بانتخاب ابن مطر، ثنا أبو بكر محمد بن إسحاق الصبغاني، ثنا سعيد بن عامر، عن شعبة، عن عثمان بن غياث، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي موسى قال: كان النبي ﷺ في بعض الحوائط ومعه عود ينكت بين الماء والطين، فجاء رجل فاستفتح، فقال: «افتح له وبشره بالجنة»، فإذا هو أبو بكر، فبشرته بالجنة، ثم جاء رجل فاستفتح فقال: «افتح له وبشره بالجنة»، ففتحت وبشرته بالجنة فإذا هو عمر، ثم جاء آخر فاستفتح، فقال: «افتح وبشره بالجنة على بلوى تكون»، ففتحت له وبشرته بالجنة على بلوى تكون، فإذا هو عثمان، قال: الله المستعان، وعليه التكلان. صحيح.

مدينة إدلب

ثم عدنا إلى سيارتنا، وكان الوقت وقت الزحمة، فتأخرنا جدًا، وفي نيتنا أن نزور أهم المدن الواقعة في طريقنا إلى دمشق، وأول مدينة تواجهنا هي إدلب، نريد أن نزورها، ونشتري منها الزيت والزيتون، فلما اقتربنا منها رأينا على حافتي الشوارع بساتين الزيتون، وشممننا رائحة الزيتون، وفرحنا، ووقف سائقنا أبو محمد عند بستان، فنزلنا جميعًا، وتنسمننا الهواء وكان لطيفًا، وكان الوقت وقت غروب الشمس، وكان منظر البساتين رائعًا جدًا، استمتعنا به جميعًا، وأخبرنا سائقنا أن الأراضي هنا رخيصة جدًا.

وركبنا السيارة ودخلنا مدينة إدلب من طريق المحراب، وأوقفنا السيارة في السوق، واشترينا الزيت من محل مشهور ببيع الزيوت، ثم ذهبنا إلى محل مجاور واشترينا بعض الأشربة والحلويات للأولاد، فسألني صاحب المحل وهو شاب صاحب لحية إذا كنت طالب علم شرعي، فقلت: جئت هنا لزيارة العلماء والمشايخ، فأخبرني أنه خريج كلية الشريعة في دمشق، وقد درس على الشيخ نور الدين عتر، ورفض أن يأخذ مني الثمن، وألححت عليه ودفعت الثمن، وأعجبني كثيرًا حسن خلق هذا الإنسان النبيل، ولكن ذهب عني أن أسأله عن اسمه.

* * * *

الكتاب النادر الذي تفرغ له المؤلف



مدينة إيبلا

الكتاب المأثور في تاريخها

خرجنا من إدلب، واتجهنا إلى إيبلا، وهي مدينة أثرية تقع نحو الجنوب من حلب، اكتشفت عام ١٩٦٨ من قبل بعثة أثرية إيطالية في موقع تل مردوخ، تبلغ مساحة الموقع ٥٦ هكتارًا. وكانت مملكة شهيرة في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد.

وفي الحفريات التي أجريت في الموقع عام ١٩٧٥، تم اكتشاف الأرشيف الملكي لمدينة إيبلا، ويضم ١٤٠٠ مخطوطًا على رُقْم (ألواح فخارية) تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد. تبين مخطوطات إيبلا، المكتوبة باللغة السومرية القديمة، أن المدينة كانت مركزًا تجاريًا هامًا وأنها كانت مستقلة ويحكمها ملك، ويوجد بينها أول قاموس مكتوب عرفته البشرية يتألف من لغتين. وقد سيطرت إيبلا في أوج عظمتها (٢٦٠٠-٢٢٤٠ قبل الميلاد) على كل من شمال سوريا ولبنان وأجزاء من بلاد ما بين الرافدين الشمالية (العراق الحديثة)، وقد كانت رائدة في العلاقات التجارية والدبلوماسية مع بلدان بعيدة مثل مصر وإيران وسومر.

ومن الملفت للنظر أنه كان فيها نظام لإعطاء الشهادات وكشف الدرجات، فعجبنا من تكبر الإنسان المعاصر وغطرسته إذ يظن أن حضارته أعلى ما وصل إليه البشر عبر التاريخ، مع أن هناك حضارات بائدة كثيرة، منها ما تم العثور عليها، ومنها ما لا يزال في غياهب الظلام، لديها ما لدينا، بل وتفوق العصر الحديث في أمر إحكام البناء والعمارات، وكثير من العلوم والصناعات.



معرة النعمان
مدينة أبي العلاء

الكتاب الذي في فقهنا



ثم اتجهنا إلى معرة النعمان مدينة الشاعر الكبير أبي العلاء المعري، وله ترجمة وافية في سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، جاء فيه: هو الشيخ العلامة شيخ الآداب أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن مطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أرقم بن أسحم بن النعمان - ويلقب بالساطع لجماله - ابن عدي بن عبد غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله - الذي هو مجتمع تنوخ - بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عامر - وهو هود عليه السلام -، القحطاني ثم التنوخي المعري الأعمى اللغوي الشاعر، صاحب التصانيف السائرة والمتهم في نحلته.

ولد في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وأضر بالجذري وله أربع سنين وشهر، سالت واحدة وبيضت اليمنى، فكان لا يذكر من الألوان إلا الأحمر لثوب أحمر ألبسوه إياه، وقد جدر وبقي خمسا وأربعين سنة لا يأكل اللحم تزهذا فلسفياً، وكان قنوعاً متعففاً، له وقف يقوم بأمره، ولا يقبل من أحد شيئاً، ولو تكسب بالمديح لحصل مالا ودنيا، فإن نظمه في الذروة يعد مع المتنبي والبحري.

سمع جزءاً من يحيى بن مسعر رواه عن أبي عروبة الحراني، وأخذ الأدب عن بني كوثر وأصحاب ابن خالويه. وكان يتوقد ذكاء، ومن أردى تواليفه رسالة الغفران في مجلد، قد احتوت على مزدكة وفراغ، ورسالة الملائكة ورسالة الطير على ذلك الأنموذج، وديوانه سقط الزند مشهور، وله لزوم ما لا يلزم من نظمه، وكان إليه المنتهى في حفظ اللغات.

ارتحل في حدود الأربعمئة إلى طرابلس وبها كتب كثيرة، واجتاز باللاذقية فنزل ديرًا به راهب متفلسف، فدخل كلامه في مسمع أبي العلاء وحصلت له شكوك لم يكن له نور يدفعها، فحصل له نوع انحلال دل عليه ما ينظمه ويلهج به، ويقال: تاب من ذلك وارعوى.

وقد سارت الفضلاء إلى بابه، وأخذوا عنه، وكان أخذ اللغة عن أبيه وبحلب عن محمد بن عبدالله بن سعد النحوي، وكانت غلته في العام نحو ثلاثين دينارًا، أفرز منها نصفها لمن يخدمه.

وكان غذاؤه العدس ونحوه، وحلواه التين، وثيابه القطن، وفراشه لباد وحصير بردي، وفيه قوة نفس وترك للمنن. عورض في وقفه فساfer إلى بغداد يتظلم في سنة تسع وتسعين، وحدث بها بسقط الزند. يقال: كان يحفظ كل ما مر بسمعه، ويلزم بيته وسمى نفسه رهين المحبسين، للزومه منزله والعمى، وقال الشعر في حدائته، وكان يملي تصانيفه على الطلبة من صدره.

خرج صالح بن مرداس ملك حلب فنازل المعرة يحاصرها، ورمأها بالمجانيق، فخرج إليه أبو العلاء يتشفع فأكرمه، وقال: ألك حاجة؟ قال: الأمير أطال الله بقاءه كالسيف القاطع، لأن مسه وخشن حده، وكالنهار الماتع قاط وسطه وطاب أبرداه، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فقال: قد وهبتك المعرة فأنشدنا من شعرك، فأنشده على البديه أبياتًا، وترحل صالح.

كان لأبي العلاء خلوة يدخلها للأكل ويقول: العمى عورة والواجب استتاره، فأكل مرة دبسًا فنقط على صدره منه، فلما خرج للإفادة قيل له: أكلتم دبسًا، فأسرع بيده إلى صدره فمسحه، وقال: نعم لعن الله النهم، فعجبوا من ذكائه.

وكان يعتذر إلى من يرحل إليه ويتأوه لعدم صلتته، وقال غرس النعمة محمد بن هلال بن المحسن: له شعر كثير وأدب غزير، ويرمى بالإلحاد، وأشعاره دالة على ما يزن به، ولم يأكل لحمًا ولا بيضًا ولا لبنًا، بل يقتصر على النبات، ويحرم إيلاام الحيوان، ويظهر الصوم دائمًا، قال: ونحن نذكر مما رمي به، فمنه:

قران المشتري زحلًا يرجى	لإيقاظ النواظر من كراها
تقضى الناس جيلًا بعد جيل	وخلفت النجوم كما تراها
تقدم صاحب التوراة موسى	وأوقع بالخسار من اقترأها
فقال رجاله وحي أتاه	وقال الآخرون بل افترأها
وما حجي إلى أحجار بيت	كؤوس الخمر تشرب في ذراها
إذا رجع الحكيم إلى حجاه	تهاون بالمذاهب وازدراها

وله:

صرف الزمان مفرق الإلفين	فاحكم إلهي بين ذاك وبينني
أنهيت عن قتل النفوس تعمداً	وبعثت أنت لقبضها ملكين
وزعمت أن لها معادًا ثانيا	ما كان أغناها عن الحاليين

وله:

عقول تستخف بها سطور	ولا يدري الفتى لمن الثبور
كتاب محمد وكتاب موسى	وإنجيل ابن مريم والزبور

قال السلفي: ومن عجيب رأي أبي العلاء تركه أكل ما لا ينبت حتى نسب إلى التبرهم، وأنه يرى رأي البراهمة في إثبات الصانع وإنكار الرسل وتحريم إيذاء الحيوانات حتى العقارب والحيات، وفي شعره ما يدل عليه وإن كان لا يستقر به قرار.

وقال السلفي: ومما يدل على صحة عقيدته ما سمعت الخطيب حامد بن بختيار، سمعت أبا المهدي بن عبد المنعم بن أحمد السروجي، سمعت أخي أبا الفتح القاضي يقول: دخلت على أبي العلاء التنوخي بالمعرة بغتة فسمعتة ينشد:

كم غودرت عادة كعاب وعمرت أمها العجوز
أحرزها الوالدان خوفًا والقبر حرز لها حريز
يجوز أن تخطئ المنايا والخلد في الدهر لا يجوز

ثم تأوه مرات، وتلا قوله تعالى: (إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة) إلى قوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥] ثم صاح وبكى وطرح وجهه على الأرض زمانًا، ثم مسح وجهه، وقال: سبحان من تكلم بهذا في القَدَم، سبحان من هذا كلامه، فصبرت ساعة ثم سلمت، ثم قلت: أرى في وجهك أثر غيظ، قال: لا بل أنشدت شيئًا من كلام المخلوق، وتلوت شيئًا من كلام الخالق فلحقني ما ترى، فتحققت صحة دينه.

وقال السلفي: سمعت أبا زكريا التبريزي يقول: أفضل من قرأت عليه أبو العلاء. وسمعت أبا المكارم بأبهر وكان من أفراد الزمان يقول: لما توفي أبو العلاء اجتمع على قبره ثمانون شاعرًا، وختم في أسبوع واحد مئتا ختمة، إلى أن قال السلفي: وفي الجملة، فكان من أهل الفضل الوافر، والأدب الباهر، والمعرفة بالنسب وأيام العرب. قرأ القرآن بروايات، وسمع الحديث على ثقات، وله في التوحيد وإثبات النبوات، وما يحض على الزهد وإحياء طرق الفتوة والمروءة شعر كثير، والمشكل منه فله على زعمه تفسير.

قال غرس النعمة: حدثنا الوزير أبو نصر بن جهير، حدثنا المنازي الشاعر قال: اجتمعت بأبي العلاء فقلت: ما هذا الذي يروى عنك؟ قال: حسدوني وكذبوا علي،

فقلت: على ماذا حسدوك وقد تركت لهم الدنيا والآخرة، فقال: والآخرة؟ قلت: إي والله.

ومن شعره:

رغبت إلى الدنيا زماناً فلم تجد بغير عناء والحياة بلاغ
وألقى ابنه اليأس الكريم وبتته لدي فعندي راحة وفراغ
وزاد فساد الناس في كل بلدة أحاديث مين تفتري وتصاغ
ومن شر ما أسرجت في الصبح والدجى كملت لها بالشاربين مراغ

ونقل القفطي أن أبا العلاء قال: لزمّت مسكني منذ سنة أربعمئة، واجتهدت أن أتوفر على الحمد والتسبيح إلا أن أضطر إلى غير ذلك، فأملت أشياء تولى نسخها أبو الحسن ابن أبي هاشم في الزهد والعظات والتمجيد فمن ذلك: الفصول والغايات مئة كراسة، ومؤلف في غريب ذلك عشرون كراسة، وإقليد الغايات في اللغة عشر كراريس، وكتاب الأييك والغصون ألف ومئة كراسة، وكتاب مختلف الفصول نحو أربعمئة كراس، وتاج الحرة في وعظ النساء نحو أربعمئة كراسة، والخطب مجلد، وكتاب في الخيل عشر كراريس، وكتاب خطبة الفصيح خمس عشرة كراسة، وترسيل الرموز مجلد، ولزوم ما لا يلزم نحو مئة وعشرين كراسة، وزجر النابح مجلد، وكتاب نجر الزجر مقداره، وكتاب شرح لزوم ما لا يلزم ثلاث مجلدات، وكتاب ملقى السبيل جزء، ومواظ في مجلد، وخماسية الراح في ذم الخمر عشر كراريس، وكتاب سقط الزند، وكتاب القوافي والأوزان ستون كراسة.

وسرد أشياء كثيرة أدبيات، وكتابه في الزهد يعرف بكتاب استغفر واستغفري منظوم نحو عشرة آلاف بيت، المجموع خمسة وخمسون مصنفًا، قال: في نحو أربعة آلاف ومئة وعشرين كراسة.

قال القفطي: أكثر كتبه عدمت، وسلم منها ما خرج عن المعرفة قبل استباحة الكفار لها. وقبره داخل المعرفة في مكان دائر، وكانت علته ثلاثة أيام، ومات في أوائل شهر ربيع الأول من سنة تسع وأربعين وأربعمئة، وعاش ستاً وثمانين سنة^(١).

دخلنا المعرفة وسألنا الناس عن ضريحه، فوصلنا إليه بعد قليل من الجهد حوالي الساعة العاشرة ليلاً، والضريح الآن داخل المركز الثقافي على شارع أبي العلاء المعري، وعلى الشارع نفسه متحف كبير يضم مجموعة رائعة من الفسيفساء والقطع الرومانية والبيزنطية، وتصورت عظمة هذا الرجل، فأبو العلاء كفيف البصر ولكنه أعياء البصراء أن يلحقوه في الشعر والأدب ومعرفة دقائق اللغة والبلاغة، وحق لمعرة النعمان أن تفتخر بابنها.

الإمام عمر بن عبد العزيز

وفي معرفة النعمان في الجهة الأخرى من المدينة على بعد عدة أميال ضريح الخليفة الراشد الإمام العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، فزرناه وعلى باب الضريح مكتوب:

هذا ضريح الإمام العادل والخليفة الراشد والحاكم الزاهد أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه توفي في سنة ١٠١ في هذا الدير الذي كان يسمى دير سمعان على بعد فرسخ من المعرفة، وله من العمر أربعون عامًا.

هذا ما أجمع عليه المؤرخون كياقوت الحموي، وأبي الفداء، والذهبي، وابن الوردي، والسمعاني، وابن الشحنة، وابن الحنبلي، وابن يسير الأندلسي، والرحالة ابن بطوطة وغيرهم، حاول أن ينقل إلى دنيا الترف عصر الوحي والنبوة بمثله وفضائله،

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/٢٣-٣٩).

فعاش فترة خلافته تسعة وعشرين شهراً كأنها تسعة وعشرون قرناً، كان يحكم على نصف الدنيا، وكان عرشه يا جلال عرشه حصيراً قديماً فوق التراب، زاره هنا السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٤هـ، ودفنت تحت قدميه زوجته فاطمة بنت عبد الملك بن مروان بناء على وصيتها.

ودعونا عند هذا القبر المبارك، اللهم أعطنا شيئاً من الورع والزهد الذي أكرمت به هذا الإمام العادل، آمين.

خير ميت من آل مروان ميتك	دير سمعان لا أغبّك غادٍ
إن تدانيت منك أو قد نأيتك	أنت بالذكر بين عيني وقلبي



مدينة حماة

ثم اتجهنا إلى مدينة حماة، وهي (حامات) القديمة التي سكنها العمالقة الروتانيون منذ الألف الرابع قبل الميلاد، وخضعت من ثم للأكاديين والسومريين حتى أواخر القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد عندما هاجمها العموريون ودمروها، ثم صارت مركزاً لهم، وخضعت حماة من بعدها للبابليين والحيثيين إلى أن دمرها الهكسوس عام ١٧٥٠ قبل الميلاد، وشهدت حماة العهد الفارسية واليونانية والهلنسية والسلوقية، وازدهرت في عهد الأخيرة، ودعيت (أبيغينا)، ثم احتلها الرومان فالبيزنطيون، وأكرمها الله تعالى بأن دخلها المسلمون عام ٦٣٨ م غزاة فاتحين، وشاهدت مختلف التطورات والأحداث في فترات حكمهم المختلفة، ثم أصبحت عاصمة الإمارة الأيوبية، وأشهر حكامها الملك العالم أبو الفداء مؤيد الدين إسماعيل صاحب كتب الجغرافية والتاريخ المشهورة.

دخلنا مدينة حماة في الساعة الثانية عشرة ليلاً، ومررنا بشوارعها وأسواقها وجوامعها، والحياة مستمرة فيها، وأهلها متجولون في كل مكان، ووقفنا لمشاهدة بعض نواعيرها، وتعتبر هذه النواعير الطابع المميز لمدينة حماة، وتعود إلى عصر الآراميين ثم تطورت في العصر الروماني، وهي آلات مائية خشبية ذات حركة دائمة تتناثر على شواطئ نهر العاصي، وتنقل الماء منه بواسطة صناديق، إلى حوض علوي، ومنه يتسرب في قنوات محمولة على قناطر ليسقي المدينة بمن فيها وما فيها، وهكذا تتألف الناعورة من القلب في مركز الدائرة، والصر وهي قطع خشبية حول القلب، والأعتاب وعددها ستة عشر في كل ناعورة، ومن القيود الخشبية للربط والدائرتين. تتكون صناديق المياه من الرادين والقبون والمعدان. وتصنع الناعورة من خشب الجوز والتوت والحوار والمشمش.

ويبلغ عدد النواعير في مدينة حماه ست عشرة ناعورة، من أشهرها البشرية الكبرى والصغرى، والعثمانية الكبرى والصغرى، والجسرية والمأمورية والمؤيدية والكيلانية البازية، والصابونية والمحمدية والقاق، وقطر أكبرها يصل إلى ٢١ مترًا، وبني على مقربة من أحدها فندق إقامة الشام وهو من الدرجة الدولية، نزلنا هنا ورأينا الأعجوبة، أربع نواعير مترافقة متحركة بصفة دائمة، ويحركها جريان الماء، وكان قريبًا منه حفل عرس، وفيه أناشيد في مديح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعامة الأعراس هنا على هذه الصفة، مديح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقراءة القرآن الكريم، وإلقاء الخطب من قبل العلماء، ثم تلاعب بالسيوف، وهو تقليد جميل يربط المسلمين بالبطولة.

عودة من طريق حمص إلى حلب

ثم اتجهنا إلى حمص، ووصلنا إليها حوالي الساعة الثانية صباحًا، واشترينا الحلويات من بعض محلات حمص، وكان المحل نظيفًا رائعًا. وأكلنا شيئًا من البقلاوة، وذكر لنا سائقنا أبو محمد أن هذا المحل معروف بحلوياته، ثم ركبنا السيارة، وفي نيتنا لعلنا نعود إلى حمص للقاء بعض المشايخ، ووصلنا إلى منزلنا في حي المهاجرين الساعة الثالثة والنصف أو بعدها، وصلينا المغرب والعشاء جمعًا، وانتظرنا قليلًا، وصلينا الفجر ثم نمنا.



٢ رجب يوم الأحد

اتصلت في الصباح بمنزل الشيخ محمد ديب الكلاس حتى أقرأ عليه شيئاً من تحفة الفقهاء، ولكن الشيخ كان معزوماً عند بعض أهل معارفه فلم أتمكن من زيارته، وأخذت بناتي حسنى وسمية وهالة لدرسهن في التجويد في شارع خرشيد الساعة الحادية عشرة. وتركتهن عند معلمتهن، واتصلت بالشيخ أبى الهدى يعقوبي إذا كان عنده وقت لزيارة بعض المشايخ. فوعدني أنه سيأتيني إلى منزلي قبل العصر.

الشيخ محمد سليم الحمامي

وصل الشيخ يعقوبي حوالي الساعة الرابعة، وجلسنا قليلاً، ثم خرجنا لزيارة الشيخ محمد سليم الحمامي، وهو من أقرب تلاميذ الشيخ بدر الدين الحسني، ووقت صلاة العصر قد حان، فدققنا باب منزله، وقلنا: سنرجع لزيارة الشيخ بعد صلاة العصر، صلينا العصر في مسجد منجك، وهو الجامع الذي كان يخطب فيه ويدرس الشيخ حسن حبنكة الميداني، الذي تلمذ عليه كبار علماء الشام، وله يد كبيرة في نهضتها العلمية.

بعد الصلاة دخلنا على الشيخ سليم الحمامي وهو يتلو القرآن الكريم، وهو كبير السن جداً، لعله قد بلغ فوق المائة، وهو العالم الورع، بركة الشام وأحد الأبدال فيها، إمام وخطيب في جامع الغواص بحي الميدان، من تلامذة الشيخ بدر الدين الحسني حضر عليه في داره وفي دار الحديث، وتخرج في العلم بالشيخ حسن حبنكة الميداني وقرأ عليه معظم تلامذة الشيخ، كما سلك في الطريق على الشيخ محمد سعيد البرهاني وأجازته، ولازم الشيخ عارف عثمان والسيد المكي الكتاني وغيرهما.

سمعت الشيخ سليم يقول: سمعت من الشيخ بدر الدين يقول: ما دخل جوف ابن آدم خير من الرمان، وقليل الباذنجان خير من كثير الرمان، وقال: سمعت الشيخ بدر الدين الحسيني عند تعزيتة لبعض الناس يحكي لهم قصة وفاة العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، حيث قال أحد الشعراء:

اصبر نكن لك صابرين فإنما صبر الرعية بعد صبر الراس
خير من العباس صبرك بعده والله خير منك للباس

إجازته

ثم سألته أن يجيز لي، فأجازني بما يرويه عن السيد بدر الدين، وعلي الدقر، وحسن حبنكة، وعبد القادر القصاب، وعارف عثمان، وسعيد البرهاني، ومحمد سليم الحلواني شيخ القراء (وقد قرأ القرآن عليه)، والسيد محمد الهاشمي، والشيخ يحيى الصباغ، والشيخ أحمد هارون.

حديثه عن شيوخه

وشيوخه الذين سماهم كلهم من أهل العلم المعروفين، ويتميزون بكثرة الأسانيد وعلوها، ويروي الشيخ كثيراً من قصصهم وحكاياتهم، وأنقل هنا بعض ما نجحت في تقييده. قال: سمعت الشيخ عبد القادر القصاب يتمثل:

من دعانا فأبينَا فله الفضل علينا
فإذا نحن أجبنَا رجع الفضل إلينا

وقال الشيخ: كنت أحضر دروس الشيخ محمد بن جعفر الكتاني في الجامع الأموي، فحدثت بحديث. فقال أحد الحضور: هذا الحديث ضعيف. فقال: من قال ذلك؟ قال: ابن خلدون، فقال: هو مؤرخ، وإنما يرجع في كل فن إلى أهله.

وقال: كان الشيخ بدر الدين الحسني يدرس الحديث بعد صلاة الجمعة، وكان يحضره في هذا الدرس العلماء والصالحون، وكان يستمر ثلاث ساعات، وكان يقول: مدمن الخمر عندي كعابد وثن.

وكان الشيخ محمد سليم الحمامي يلزم الشيخ بدر الدين، ويمشي خلفه إلى بيته، قال مرة: من ذهب إلى الكنيسة ليرى صلاتهم فيلجده إسلامه.

وذكر الشيخ أنه حضر على السيد محمد بن جعفر الكتاني ختمه للصحيح، وكان عمره إذ ذاك ستة عشر أو أربعة عشر عامًا.

وقال الشيخ: سمعت الشيخ علي الدقر يقول: لا تمكن زائغ القلب من أذنك، لا تدري ماذا يعلقك منه.

وذكر الشيخ أن محمد سعيد البرهاني وسعيد الحلواني أجازاه بالقرآن، وبشره الشيخ عارف عثمان بالولاية، وكذلك بشره الشيخ يحيى الصباغ بالولاية، وبشره السيد مكّي الكتاني بالولاية، وقال: رأيت السيد بدر الدين الحسني أربع مرات في الرؤيا. وأنشد:

الناس كالأرض ومنها هم	فمن خشن الطبع ومن لين
فجندل تدمى به أرجل	وإثمدي وضع في الأعين

وأنشد:

وداريت كل الناس لكن حاسدي	مداراته عزت وعزّ نوالها
وكيف يداري المرء حاسد نعمة	إذا كان لا يرضيه إلا زوالها

وأنشد:

اصبر على حسد الحسود	فإن صبرك قاتله
النار تأكل بعضها	إن لم تجد ما تأكله

والشيخ لا يعجبه التصوير، وإذا أراد أحد أن يصوره وضع يده على وجهه وغطاه بها. وأنشد الشيخ:

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم مني ابتسام فقولني مضحك والعمل يبكي

قال: كان السيد بدر الدين الحسنی يدرّس كل يوم بعد المغرب صحيح البخاري، والعلماء والصلحاء والأولياء كانوا يحضرون، وكان من كبار الأولياء، وكان لا يصلي بالناس إمامًا، ف قيل له: ألا تصلي بنا، قال: سبحان الله الإمامة تحتاج إلى أهلية.

وكان الشيخ سليم الحمامي مرة في مجلس السيد بدر الدين الحسنی، فسأله أن يدعو لهم، فقال السيد بدر الدين مخاطبًا الحضور: أسأل الله العظيم أن يغفر لكم ولمن رآكم ولمن رأيتموه، ولم يبق الآن من ذلك المجلس إلا الشيخ سليم، فاستبشرنا بذلك.

وقال الشيخ: سمعت شيخنا علي الدقر يقول:

صديق الصديق في الدنيا قليل فمن لك إن ظفرت به تملك

وقال: سمعت الشيخ أحد الحارون يقول: لا تتكدر، فالاجتماع مقدر.

ثم استأذنا الشيخ.

أخبرنا الشيخ محمد سليم الحمامي والشيخ عبد الغني الدقر والشيخ أحمد نصيب المحاميد وجماعة، قالوا: أخبرنا الشيخ محمد بدر الدين الحسنی، أنا إبراهيم السقا، أنا ثعلب بن سالم الفشني، أنا الشهاب أحمد بن عبد الفتاح الملوي، أنا عبد الله بن سالم البصري، أنا محمد بن علاء الدين البابلي، أنا سالم بن محمد

السنهوري، أنا النجم الغيطي، أنا زكريا الأنصاري، أنا الحافظ ابن حجر، أنا عائشة بنت ابن عبد الهادي، أنا الحافظ شمس الدين الذهبي، أخبرنا إسحاق بن طارق، أخبرنا يوسف بن خليل، أخبرنا محمد بن إسماعيل الطرسوسي.

(ح) وأنبأنا ابن أبي الخير عن الطرسوسي، حدثنا يحيى بن عبد الوهاب الحافظ سنة خمس وخمسة إملاء، أخبرنا عبد الملك بن شعبة البصري بها، أخبرنا أحمد بن محمد بن أبي مسلم إملاء، حدثنا أبو بكر الشافعي، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا زهير بن أبي زهير، حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا أبو جعفر الرازي، عن عبد العزيز بن عمر، عن صالح بن كيسان، عن عبادة بن الصامت قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا هؤلاء الكلمات إذا جاء رمضان، يقول اللهم: سلّمني لرمضان وسلّم رمضان لي، وتسلّمه مني متقبلاً. غريب، ورواه أبو زرعة الرازي عن خلف بن الوليد، وتفرد به خلف.

الشيخ عصام عرار

ودخلنا على الشيخ عصام عرار ابن الشيخ يوسف عرار، وقد ألفت رسالة في تعدد الزوجات. سمعت منه المسلسل بالأولية، وكان في عجل، ودعانا إلى مأدبة يوم الأحد.

في منزل مصطفى قبّوض

ثم ذهبنا إلى منزل الشاب مصطفى قبّوض في محلة فيها قبر عاتكة بنت يزيد بن معاوية، وجاءنا الأخ مصطفى قبّوض بصندوق جمع فيه تبركات العلماء والمشايخ من عمائمهم وقلانسهم وسبحاتهم.

الكتاب الذي تفرغ له أهل السنة

وزارنا هنا العالم الشيخ محمد معتز السييني، وسمعنا منه وأسمعناه المسلسل بالأولية، والشيخ السبيني يروى المسلسل بالأولية عن الفاداني، والشيخ منير الكسم الدمشقي وغيرهما، وروى الشيخ يعقوبي للحضور المسلسل بالأولية ببعض أسانيده، ثم قال: إنه يرويه عن مكي الكتاني، وصالح الخطيب، وأبي اليسر ابن عابدين، ومحمد الغلاييني، وصالح فرفور، وصالح النعمان، وعبدالرحمن الكتاني.

تعشنا عند الأخ مصطفى قبّوض.

حفلة عرس

ثم خرجنا إلى عرس لبنت أحد أصدقاء الشيخ يعقوبي في كفربطنا، وهم من المهاجرين من تونس إلى بلاد الشام، حضرنا العرس والمنشدون ينشدون في مديح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وألقى الشيخ يعقوبي بالمناسبة كلمة قوية جدًا استلفت الأنظار فيها إلى مآثر المهاجرين إلى دمشق وأعمالهم العلمية المجيدة. وسألوني أن ألقى كلمة كذلك، فألقيت كلمة ذكرتهم فيها بفضائل أهل الشام، وحكى لهم قصة عبد الله بن المبارك وأبيه بمناسبة عقد الزواج، وأهل العرس رحبوا بي ترحيبًا كبيرًا.

واستندت في كلمتي إلى أقوال للإمام الذهبي، فقالوا لي: كفربطنا هي مكان الإمام الذهبي، وسألوني أن أزور كفربطنا مرة أخرى.

وكان الأخ علاء الدين فرفور كذلك قد حضر الحفلة، فرجعت معه إلى منزلنا.



٣ رجب يوم الاثنين

زيارة بيروت

اليوم خرجت إلى بيروت لزيارة الحاج حبيب اللمسي صاحب دار الغرب الإسلامي مع الأخ محمد وائل الحنبلي، والأخ محمد الشعار، وفي الطريق أملى علينا الأخ وائل شيئاً من ترجمته.

وكانت رحلتنا من دمشق إلى بيروت في أجمل طريق، نمر بالحبال والمناظر الجميلة، وكانت الجبال في بعض الأماكن مرتفعة جداً.

وشاهدنا على الحدود السورية اللبنانية تفتيشات أمنية كثيرة، سببت للناس تعباً وإرهاقاً، وأخترتهم.

لما دخلنا في مشارف بيروت فوجئنا بحادثة اصطدام لبعض السيارات، ورأينا جثتين على جانبي الشارع، وتوقفت السيارات، وكانت سيارة واقفة أمام إحدى الجثتين، وخلال دقائق رأيت السيارة تحركت وسارت على الجثة قاضية عليها، ولعل السائق لم ينتبه لها.

ضريح الشيخ يوسف النبهاني

دخلنا في بيروت نمر بشوارعها ومحلاتها، وآثار حروبها الأهلية بادية من كثير من المباني، حتى مررنا بمقبرة الباشوراء التي فيها ضريح الشيخ يوسف النبهاني.

وهو كما ترجمه شيخ مشايخنا السيد محمد عبد الحي الكتاني: بوصيري العصر الأديب الشاعر المفلق الطائر الصيت المحب الصادق أبو المحاسن يوسف بن

إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن حسن بن محمد ناصر الدين النبھاني البيروقي الشافعي.

ولد سنة ١٢٦٦ بقرية إجزم بشمال فلسطين من أرض الشام، ورحل إلى الأزھر بمصر عام ١٢٨٣ ولا زال به إلى عام ١٢٨٩، فخرج منه مجازاً من شيوخه، وأول دخوله في سلك القضاة عام ١٢٩١، وجال في بلاد الشرق العربي وبر الترك، فدخل الآستانة والموصل وحلب وديار بكر وشهرزور وبغداد وسامراء وبيت المقدس والحجاز، وولي قضاء بيروت عام ١٣٠٥، وحج عام ١٣١٠، ثم دخل الحجاز بعد ذلك وأقام به.

وأول ما ظهر من مؤلفاته كتابه: «الشرف المؤبد لآل سيدنا محمد»، ثم «همزته»، وبها اشتهر، وتناقل الناس ما له من خبر لبلاغتها وانسجامها وطلاوتها، ثم عظم ذكره بما صنف ونظم ونثر وطبع ونشر، خصوصاً في الجناح المحمدي الأعظم.

وله «هادي المريد إلى طرق الأسانيد» في جزء صغير، لخصه من ثبتي ابن عابدين والكزبري، وختمه بترجمته وبعض الفوائد، فرغ منه سنة ١٣١٨ وطبع بيروت.

يروى فيه عامة عن المعمر الشمس محمد الدمنهوري ومنه سمع حديث الأولية، والبرهان السقا المصري، والشمس محمود حمزة الدمشقي، ومحمد بن عبد الله الخاني الدمشقي كلاهما بدمشق، والشمس الإنبائي المصري، وعبد الهادي الأبياري المصري، وإبراهيم الزرو الخليلي المصري، والمعمر محمد أمين البيطار، والشيخ أبي الخير ابن عابدين، وعبد الله بن إدريس السنوسي وغيرهم.

وروى فيه الطريقة الإدريسية عن الشيخ إسماعيل النواب نزيل مكة، والرفاعية عن الشيخ عبد القادر أبي رباح الدجاني اليافي، والخلوتية عن الشيخ حسن رضوان الصعيدي، والشاذلية عن الشمس محمد بن مسعود الفاسي، وعلي نور الدين الشرطي، والنقشبندية عن غياث الدين الإربلي وإمداد الله الهندي، والقادرية عن حسن بن حلاوة الغزي وغيرهم.

وهو ممن خدم السيرة المحمدية والجناب النبوي أرفع الخدمات، أوقف حياته على ذلك، فنشر وكتب ما لم يتيسر لغيره في عصره هذا ولا عشر معشاره.

فمن مؤلفاته في السنة وعلومها: وسائل الوصول إلى شمائل الرسول، الأنوار المحمدية مختصر المواهب اللدنية، أفضل الصلوات على سيد السادات، الأحاديث الأربعين في وجوب طاعة أمير المؤمنين، النظم البديع في مولد الشفيع، الهمزية الألفية طيبة الغراء في مدح سيد الأنبياء، الأحاديث الأربعين في فضائل سيد المرسلين، الأحاديث الأربعين في أمثال أفصح العالمين، حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين في مجلد ضخمة، سعادة الدارين في الصلاة على سيد المرسلين، رياض الجنة في أذكار الكتاب والسنة، نجوم المهتدين في معجزات سيد المرسلين، أحسن الوسائل نظم أسماء النبي الكامل، والأسمى فيما لسيدنا محمد من الأسماء، شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق في مجلد ضخمة وهو من أمتع مؤلفاته وأنفسها، والبرهان المسدد في نبوة سيدنا محمد، جواهر البحار في فضائل النبي المختار وهو أجمع كتاب نشره وأمتع في مجلدين ضخمين ما أنفسه وأوسع، اختصار رياض الصالحين للنووي، إتحاف المسلم بأحاديث الترغيب والترهيب من البخاري ومسلم، الأربعين أربعين من أحاديث سيد المرسلين، منتخب الصحيحين،

الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، حاشية دلائل الخيرات، وكل هذه التصانيف مطبوعة تداولها الأيدي في سائر بلاد الإسلام^(١).

أخبرنا الشيخ محمد المهدي بن محمد العربي العزوزي والشيخ الصالح المعمر المجاهد محمد نمر الخطيب وجماعة، أنا الشيخ يوسف النبهاني، أنا عبد الله بن درويش السكري، أنا الوجيه عبد الرحمن الكزبري، أنا مصطفى الرحمتي، أنا عبد الغني النابلسي، أنا النجم الغزي، أنا والدي البدر الغزي، أنا أبو الفتح المزي، أنا عائشة المقدسية، أنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب، أخبرنا عبد الله بن عمر، أخبرنا أبو الوقت السجزي، أخبرنا أبو إسماعيل الأنصاري، أخبرنا محمد بن أحمد الجارودي إملاء، حدثنا عبد الله بن عمر بن محمد القاضي بأصبهان، حدثنا محمد بن العباس الأخرم، حدثنا محمد بن منصور الطوسي، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا سفيان الثوري، عن أسامة بن زيد، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: كان رسول الله لا يسرد سر دكم هذا، يتكلم بكلمة فصل يحفظه كل من سمعه.

الحاج حبيب اللامي

وصلنا إلى منزل الأستاذ الحاج حبيب اللامي صاحب دار الغرب الإسلامي، ويسكن في فندق في بناية إدريس، ودخلنا عليه، فإذا هو رجل أصغر من سنه، رجل ظريف، وهو يشرب النارجيلة، كلامه حلو وحديثه عذب، لا يمله جليسه. ولد في السابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٣٠ م، ولكن لا يبدو عليه أثر السن، سألتني عن أعماله، وعن كتابي عن النساء المحدثات، وتعرف على صديقنا الفاضل محمد وائل الحنبلي، والأخ الكريم محمد بن عبد الله الشعار.

(١) انظر: فهرس الفهارس (٢/ ١٠٧-١١٠)، ورياض الجنة للفاسي (٢/ ١٦١).

ووجدت الأستاذ لين الطبع لطيفاً في حديثه، ولقد أعجبني كثيراً ما طبع عليه من اللين والحلم والأناة، وذكر أن عنده في بيته في تونس مخطوطات قيمة كثيرة.

دار الغرب الإسلامي

وأردنا أن نشترى بعض الكتب من عنده ولكن مكتبة دار الغرب الإسلامي بعيدة من هنا، فاتصل بصاحبها وسأله أن يؤمن لنا الكتب التي نريدها.

أسسها الحاج حبيب اللامي سنة ١٩٧٩ م، وبشرت إنتاجها سنة ١٩٨٠ م، وعينت بنشر كتب التراث خاصة بما يتصل بكتب الفقه المالكي، والدراسات المتعلقة بالمغرب الإسلامي، كما وجهت عنايتها لنشر التراث الأندلسي من تاريخ ورجال وأدب.

ومما يدين العالم الإسلامي لهذه الدار أنها قدمت له أمهات الكتب التي نشرت لأول مرة، والتي تتميز بمستوى رفيع من الدقة في التحقيق والعناية العلمية، وقد قامت إلى الآن بطباعة ونشر خمسمئة كتاب تقريباً، من أهمها: مشيخة ابن الجوزي، والمعيار المعرب والجامع المغرب، وفهرست ابن عطية، وبرنامج الوادي آشي، وفهرس الفهارس، والغنية (فهرست شيوخ القاضي عياض)، وثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي، وفتاوى ابن رشد، والبيان والتحصيل لابن رشد، وصيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط، وصلة الخلف بموصول السلف، والوجيز في ذكر المجاز والمجيز، والأعلام الشرقية، وموسوعة أعلام المغرب، وإتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء، وإرشاد الطالبين إلى شيوخ ابن ظهيرة جمال الدين، والمشيخة البغدادية، وتاريخ الإسلام للذهبي.

ومما طبعته الدار لي: أصول الشاشي (في أصول الفقه الإسلامي) تحقيق، وبستان المحدثين، والعقد اللجيني في أسانيد العلامة الشريف سلمان الحسيني.

منزل الأخ محمد الشعار

خرجنا من عند الحاج حبيب اللمسي قبل الساعة الواحدة، واتجهنا إلى منزل صاحبنا محمد الشعار، ولقد وجدته خير رفيق في السفر، وكأنه شعلة نار في حفظه واستحضار تراجم الشيوخ وأسانيدهم، وهو محمد بن عبد الله بن حسين بن خليل بن حسين بن حسن بن محمود الشعار الحسامي البيروتي الحنفي.

ولد في بيروت في ١٩ جمادى الآخرة ١٤٠٤ هـ، تخرج من أزهر لبنان، والتحق بكلية الشريعة التابعة لدار الفتوى. قرأ القرآن بحفص على الشيخ المعمر عبد الله بن مصطفى العريس والشيخ خالد بن عبد الرحمن الشقاوي البيروتيان.

وقرأ على والده جميع تحفة الأطفال والجزرية، ومأخذ العلم لابن فارس، والأربعين المختارة من حديث الإمام أبي حنيفة لابن عبد الهادي، وعوالي الإمام أبي حنيفة ليوسف بن خليل، وجزء فيه الأحاديث السبعة عن سبعة من الصحابة الذين روى عنهم الإمام أبو حنيفة لأبي المكارم النيسابوري، وجزء فيه من الزهد للإمام أبي حاتم الرازي.

وعلى الشيخ خليل بن محيي الدين الميس البقاعي مفتيها الحنفي: جميع شرح رسم المفتي لابن عابدين، ومعظم تأسيس النظر ومن تقويم الأدلة كلاهما لأبي زيد الدبوسي، ومن أصول الجصاص، ومن منهاج الوصول للبيضاوي، وكتباً من فتح باب العناية بشرح النقاية للملا علي القاري، وبحثه في نكاح المتعة، وغير ذلك.

وعلى الشيخ أنس بن جميل طيارة البيروتي الشافعي عميد كلية الشريعة: غالب شرح الرحبية لسبط ابن المارديني، وجميع العقائد النسفية، وجميع شرح الأخضري على سلمه المنورق في المنطق، وبعض شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وجميع شرح لامية الأفعال لبدر الدين ابن مالك الطائي، ومن تلخيص الإمام القزويني في البلاغة، ورسالته المسماة الموجز الأسمى في شرح الأسماء الحسنی.

وعلى زوج عمته الشيخ سليم بن محمد عمر سوبره البيروتي الحنفي: أول الاختيار شرح المختار للموصلی، وأكثر من نصف الهداية للمرغيناني، وحصّة جيدة من أصول السرخسي، وكتبًا من فتح باب العناية للقاري، وجميع شرح نظم مختصر المنار لطفه بن أحمد الكوراني، وما وجد من مناسك ابن أبي عروبة، وجميع تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة للعلائي، وختم جامع الترمذي لعبد الله بن سالم البصري، وبغية الراغب المتمني في ختم النسائي للسخاوي.

وعلى الشيخ صلاح بن خضر فخري البيروتي الحنفي: جميع شرح الرحبية لسبط المارديني، وبعض شرح السيد الشريف الجرجاني على الفرائض السراجية، وجميع شفاء العليل وبل الغليل في حكم الوصية بالختمات والتهاليل، وجميع سل الحسام الهندي لنصرة لنصرة مولانا خالد النقشبندی كلاهما لابن عابدين.

وعلى حسين بن أحمد عسيران البيروتي (ت ١٤٢٦ هـ): جميع هذه الكتب: الأربعين العجلونية، والعقيدة الطحاوية، وثبت الشيخ يوسف النبهاني، والعوامل في النحو وأصول الحديث كلاهما للبركوي، وفرائد المواهب اللدنية في مولد خير البرية لمفتي بيروت الشيخ مصطفى نجا، ومتن العقيدة الإسلامية للشيخ محمود الحمزاوي، والشمعة المضية في أصول علم العربية للسيوطي، وسمع منه المسلسل بالأولية، وأجازه إجازة عامة.

وله من التقييدات: عجالة المحتاج لأسانيد مسلم بن الحجاج، وترجمة موجزة للشيخ العلامة مصطفى نجا مفتي بيروت، والورد القدسي على أسانيد الشيخ الأنسي (وهو ثبت الشيخ محمد علي بن حسن الأنسي البيروتي)، والقول الصحيح المسند في جواز حذف «قال» نطقاً أثناء السند.

أنسنا بصاحبنا محمد الشعار أنساً كبيراً، واسترحنا في منزله، وانتهزنا فرصة تواجده في بيروت لنشري بعض ما يهمنا من الكتب، فوفر لنا فهارس مطبوعات دار ابن حزام، ودار البشائر الإسلامية، ودار الكتب العلمية، واخترنا عناوين، فأرسل بعض أصدقائه ليشتري لنا تلك الكتب، وتغدينا عنده.

الشيخ عبد الله الشعار

وقبل الغداء شرفنا أبوه الشيخ عبد الله بن حسين الشعار، فسعدنا بزيارته، والاستماع إليه، والاستفادة منه. وبعد الغداء استجزنا الشيخ عبد الله بن حسين الشعار، فأجاز لنا إجازة عامة.

وهو الشيخ عبد الله ابن القارئ الجامع الشيخ حسين بن خليل بن حسين بن حسن بن الشيخ محمود الشعار الحسامي البيروتي الحنفي الحسيني النقشبندي. ولد في بيروت في ٧ رمضان سنة ١٣٦٧، وأخذ عن أبيه وغير واحد من العلماء كالشيخ محمد هاشم دفتر دار المدني وأحمد العجوز ومختار العلايلي وحسن دمشقية. وخلفه الشيخ محمود بن قاسم الرنكوسي الدمشقي الحنفي المتوفى سنة ١٤٠٥ هـ في الطريقة النقشبندية.

تحدث لنا عن شيخه حسن دمشقية، وذكر أنه كان من كبار المسندين في بيروت، أخذ عن الشيخ محمد العربي العزوزي، ومختار العلايلي، وكان يحفظ مئة ألف بيت شعر في مختلف العلوم والفنون، وكان يراجع محفوظاته كل يوم.

وقال عن شيخ شيخه أبي الخير الميداني النقشبندي: كان جامعاً بين الحديث والفقه، والرواية والدراية، وكان له حياء كبير، وكان يلقي الدرس في المسجد، فيقوم عن مكانه، فسئل عن ذلك، فقال: رأيت بعض أولاد شيخي ماراً، فقامت إجلالاً له. وتحدث عن زاوية ابن عرّاق في بيروت، وزاوية الأوزاعي، وقبر علي ابن ميمون. وجرى الحديث عن مواضيع مختلفة. ثم تحدث عن شيخه الشيخ محمود وقال: قال شيخنا الشيخ محمود: من ادعى الحال سلب الحال، والأدب وصول بلا تعب. لا بد من التأدب.

وأعطاني الشيخ عبد الله الشعار إجازته المطبوعة موقعاً عليها.

الشيخ مصطفى نجا

ثم جرى ذكر الشيخ مصطفى نجا، وقد أعد صاحبنا محمد الشعار ترجمة موجزة له، وأعطانا نسخة منها، ملخصها:

الشيخ مصطفى بن محيي الدين بن مصطفى بن عبد القادر نجا البيروتي الشاذلي الشرطي الشافعي. ولد في بيروت في ٢٧ رمضان ١٢٦٩ الموافق ٤ تموز ١٨٥٣ م، من عائلة اشتهرت بالصلاح والتقوى. قرأ القرآن الكريم على الشيخ حسين شومان، وجوّده مع أحكامه على الشيخ حسين بن موسى شرف الدين المصري الأزهري المتوفى سنة ١٣٢٧ هـ.

وتلقى العقائد الدينية عن العلامة الشيخ عبد الباسط بن علي الفاخوري البيروتي المفتي المتوفى سنة ١٣٢٤ هـ. والفقه واللغة على شيخ الشيوخ يوسف بن عبد القادر الأسير الصيداوي ثم البيروتي الشافعي المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ، والعلامة الأديب الشيخ إبراهيم بن علي الأحذب الطرابلسي الحنفي المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ، والشيخ الشاعر

عمر بن محمد ديب الأنسي البيروتي المتوفى سنة ١٢٩٣ هـ. وروى عن الشيخ عبد الله بن إدريس السنوسي المتوفى سنة ١٣٥٠ هـ، والشيخ محمد بدر الدين بن يوسف المغربي الحسني الدمشقي المتوفى سنة ١٣٥٤ هـ. وأخذ الطريقة الشاذلية الشريفة من الشيخ المعمر علي بن أحمد نور الدين الشريطي الشاذلي المتوفى سنة ١٣١٦ هـ.

وجهت له رتبة إزمير من الأستانة سنة ١٣٢٤ هـ. وتولى إفتاء بيروت بعد وفاة الشيخ الفاخوري سنة ١٣٢٧ هـ.

له من المؤلفات: فتاوى في ثلاثة مجلدات، وديوان شعر، وشرح على الصلاة المشيشية سماه كشف الأسرار لتنوير الأفكار، والاستغاثة السنية برجال أهل سلسلة الطريقة الشاذلية العلية، ونصيحة الإخوان بلسان الإيمان، وأرجوزة في التربية والتعليم، وتفسير جزء عم، وإرشاد المريد لأحكام التجويد، وقصة المعراج، وفرائد الفوائد على المقاصد، وفرائد المواهب اللدنية في مولد خير البرية، وبيان مشروعية الحجاب، ومورد الصفا في مولد المصطفى، ومظهر السعود في مولد سيد الوجود، وشرح الوظيفة الشاذلية.

توفي ببيروت فجر يوم الأحد الثالث والعشرين من رمضان سنة ١٣٥٠ هـ.

يوسف المرعشلي

وتفضل الشيخ يوسف المرعشلي إلى منزل الشيخ عبد الله الشعار، فتعانقنا، ثم سمعنا منه المسلسل بالأولية، يرويه عن كثيرين، منهم مالك بن عمر بن حمدان المحرسي، والشيخ ياسين الفاداني، ويروي عامة عن مئتي شيخ، أجازني وأولادي ومن يولد لي في حياته.

والشيخ يوسف عبد الرحمن المرعشلي أستاذ الحديث والفقہ بكلية الشريعة بجامعة بيروت الإسلامية، له «معجم المعاجم والمشیخات والفهارس والبرامج والأثبات»، موسوعة إسنادية تضم تراجم المسنين عبر القرون، ترجم فيه لـ ١٦٢ من شیوخه الذين أجازوه إجازة عامة، منهم:

محمد یاسین الفادانی المکی، ومحمد بن إبراهیم الفاسی، وإسماعیل عثمان زین الیمنی المکی، وأحمد جابر جبران المکی، ومحمد الحافظ بن موسی حمید المدنی، وعبد الرحمن بن أبی بکر الملا الإحسائی، وأحمد نصیب المحامید، وعبد الغنی الدقر، ومحمد بن إسماعیل النحلاوی الدمشقی، ومحمد تیسیر المخزومی، ومحمود أحمد عبد المحسن الأزهری، ومحمد المنتصر الکتانی، ومحمد بن عبد الهادی المنونی، وماء العینین الشنقیطی، ومحمد عبد الله بن محمد آد الشنقیطی، ومحمد بن إسماعیل العمرانی، والحبيب محمد بن أحمد الشاطري، وحبيب الله قربان المظاهري.

زهیر الشاویش

ثم خرجنا ثلاثتنا لزيارة الأستاذ زهير الشاويش صاحب «المكتب الإسلامي»، وهو زهير بن مصطفى بن أحمد الشاويش الحسيني الدمشقي البيروتي، المولود سنة ١٣٤٤ هـ. دخلنا عليه فاستقبلنا ورحب بنا في منزله، وتحدث معنا عن العلماء والشیوخ، وأجاز لنا، وأعطانا إجازته المطبوعة موقعاً عليها، وذكر فيها عشرين شيخاً من شیوخه.

أخبر أنه يروي عن صلاح الدين بن رضا الزعيم، وسعدي بن أسعد ياسين الصباغ، وحسين أحمد بن حبيب الله الهندي، وعبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ومحمد راغب الطباخ الحلبي، ومحمد بن محمود الحامد، ومحمد سعيد العرفي،

ومحمد تقي الدين الهلالي، ومحمد بشير الإبراهيمي، وحبيب الرحمن الأعظمي،
ومحمد جميل الشطي، وعبد الوهاب حافظ دبس وزيت وأحمد محمد شاكر.

ولما استفسرناه عن كيفية استجازته من هؤلاء الشيوخ ظهر لنا أنه كان حاضراً
في مجالس بعض هؤلاء الشيوخ وهم يعطون الإجازة للراغبين الطالبين، فظن أن
الإجازة شملته، مع أنه جرى له مع بعض هؤلاء مجادلات عنيفة، ولم يعرف بطلب
العلم ومزاحمة الركب عند العلماء، ولم يذكر لنا سماعاً من أحدهم أو قراءة أو إجازة
خطية، إلا ما زعم أن الشيخ محمد راغب الطباخ أرسل إليه إجازته من دون طلب منه.
وأهدى إلينا كتاب «الردّ الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ
الإسلام كافر» للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، بتحقيقه.

والأستاذ معروف بقلة التأدب مع علماء الإسلام، أعاذنا الله من ذلك، وسألني
أن أكتب له عن اجتماعنا به، فكتبت:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد النبي
الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد، فقد تشرفت خلال زيارتي لمدينة بيروت
بلقاء الناشر الكبير فضيلة الأستاذ محمد زهير الشاويش، واستمعت إلى أحاديثه
المشتملة على ذكرياته مع شيوخ الحديث والرواية من القرن المنصرم، ووجدته شيخاً
لطيفاً محباً للعلم والعلماء، وكانت زيارتي هذه في صحبة الشيخ العالم محمد وائل
الحنبلي، والعالم الشاب محمد بن عبد الله الشعار، فطلبنا منه أن يشرّفنا بإجازته،
فتفضّل بها مشكوراً، وجزاه الله تعالى خيراً عن الإسلام والمسلمين، ووفقنا الله جميعاً

لما يرضيه، أمين. وكتبه محمد أكرم الندوي في مدينة بيروت، في الثالث من شهر رجب سنة ١٤٢٦ هـ.

رجوع إلى دمشق

ثم خرجنا من عنده، واتجهت أنا والأخ محمد وائل إلى دمشق، وكانت جبال بيروت مغطاة بالغيوم، فاستمتعنا بالمنظر الجميل والهواء العليل، ولعل بعض هذه الجبال هي التي كان الصالحون يلجؤون إليها في انعزالهم، وتحدثنا في الطريق عن العلم والعلماء، ولا سيما عن الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى، والعلامة محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى، وأخونا محمد وائل الحنبلي معجب بهما، ومحِب لهما. وذلك يدل على سلامة طبعه.

ووصلنا إلى دمشق حوالي الساعة العاشرة والنصف.



٤ رجب يوم الثلاثاء

اتصلت في الصباح بالشيخ اليعقوبي لأسأله إذا كان لديه وقت فنقوم ببعض الزيارات، ولكن الشيخ لم يكن بالبيت، فبقيت مع أهلي، وصليت الظهر في جامع الخياط، حيث التقيت ببعض الشباب، وأخته معلمة في بعض المعاهد، فسألته إذا كانت أخته لديها وقت لتعلم بناقي ساعتين كل يوم، فرحب بذلك كل ترحيب، وأخذ مني رقم هاتفي، وقال: سيخبرني إن شاء الله في صلاة العشاء.

الشيخ تيسير المخزومي

وكان اليوم عندي فراغ، فلم أرض أن يفوت الوقت من دون لقاء أو زيارة، فقررت أن أزور الشيخ أبا الطيب توفيق المخزومي في الساعة السابعة، ومنزله قريب من سكني، فإنه يسكن كذلك في المهاجرين أمام جامع الرضوان، ولي إجازة من والده محمد تيسير المخزومي، فلعلي أحصل منه على ترجمة له.

وهو الشيخ العالم المسند أبو عبد الله محمد تيسير المخزومي بن السيد محمد توفيق الدمشقي مولدًا المكي أصلًا. يروي عن أكثر من تسعين شيخًا، ومن شيوخه الذين أجازوه:

أبو المعالي عبد القادر بن حسن القصاب الديرعطاني الشافعي الأزهري (١٢٦٤-١٣٦٠)، العلامة المحقق العارف بالله الأديب الأريب الفقيه المدرس بالأزهر ثم في بلده دير عطية وناشر العلم والفضل بها، يروي عن جماعة منهم: إبراهيم السقا، ومحمد بن محمد عlish، ومحمد الإنباي، وعبد الرحمن الشربيني، وأحمد الرفاعي المالكي، وبكري العطار، وأحمد الشريف العدوي المالكي.

ومحمد الشريف بن محمد الصديق بن محمد الحسن بن محمد العربي
اليعقوبي الإدريسي الحسني الجزائري ثم الدمشقي المالكي (١٢٨٢-١٣٦٢)
العلامة الكبير الفقيه العارف بالله المربي المرشد الحسيب النسيب إمام المالكية
بالجامع الأموي والمدرس فيه، يروي عن جماعة منهم: جده محمد الحسن.

وصالح بن أسعد بن محمد الحمصي الدمشقي الحنفي (١٢٨٥-١٣٦٢)
العلامة الفقيه الأصولي، يروي عن جماعة منهم: بكري العطار، وعبد الحكيم
الأفغاني.

ومحمد سليم بن أحمد الحلواني الشافعي (١٢٨٥-١٣٦٣) العلامة الكبير
شيخ القراء في بلاد الشام بزمانه، يروي عن محمود الحمزاوي، وسليم العطار،
وبكري العطار، وعمر العطار، ومحمد المنيني، وأحمد المنير وغيرهم.

ومحمد خالد بن محمد الأنصاري الشافعي ثم الحنفي (١٢٨٧-١٣٦٤)
العلامة المشارك الأديب الشاعر الفقيه، يروي عن بكري العطار.

وعبد الجليل بن سليم الدرا (ت ١٣٦٦) العلامة الفقيه الخطيب الأديب،
يروى عن جماعة، منهم بدر الدين الحسني، وأحمد أبو الخير العطار المكي،
وأحمد بن إسماعيل البرزنجي، ومحمد بن جعفر الكتاني، وخان بن محمد خان
القازاني، وعبد القادر القصاب وغيرهم.

ومحمد صالح بن مصطفى الآمدي الديار بكري الدمشقي الحنفي (١٢٦٣-
١٣٧٠) العلامة المحدث المسند المعمر، يروي عن جماعة، منهم: عبد الله بن
درويش السكري، وعلي بن ظاهر الوتري، وفالح بن محمد الظاهري وغيرهم.

ومحمد شاكر بن محمد بن علي شاكر المصري الحمصي ثم الدمشقي
(١٢٩٢-١٣٧١) العلامة المفسر الخطيب العارف بالله، يروي عن جماعة، منهم:

في بيروت، يروي عن جماعة ذكرهم في ثبته «إتحاف ذوي العناية» منهم: محمد بن جعفر الكتاني، وبدر الدين الحسني، وأحمد بن إسماعيل البرزنجي، ويوسف النبهاني، وأحمد الشريف السنوسي وغيرهم. وسعد الله الحريري الدمشقي (١٢٧١-١٣٨٤) العارف بالله المعمر الفاضل، يروي عن يوسف بن إسماعيل النبهاني.

وأحمد بن محمد سعيد الزهاوي الكردي البغدادي (١٣٠٠-١٣٨٦) العلامة بركة العصر الفقيه الأصولي، يروي عن: والده محمد سعيد، وأبي المعالي محمود شكري الألوسي، وعباس حلمي بن عبد اللطيف القصاب وغيرهم.

كتب إلي بإجازته من دمشق في العشرين من شهر ربيع الثاني سنة تسع عشرة وأربعمئة وألف، وأرسل إلي إجازة له مطبوعة تتضمن معظم شيوخه، موقعاً عليها بالإجازة لي يوم الاثنين سادس عشر رجب سنة عشرين وأربعمئة وألف.

حفلة عزاء

وقبل أن أخرج إلى منزل الشيخ توفيق المخزومي دق الأخ علاء الدين فرفور بابي وقال لي: إن معلمة من معلمات معهد الفتح (قسم البنات) قد توفيت اليوم وستعقد اليوم جلسة عزاء لها في المعهد، فلو حضرتها، فوافقت، وأجلت زيارتي للشيخ أبي الطيب إلى وقت آخر.

من العادة هنا أنهم يوزعون نشرات للإعلان عن الجنائز وجلسات العزاء، والنشرة التي تم توزيعها بهذه المناسبة هي:

إلى رحمة الله تعالى

أسرة معهد جمعية الفتح الإسلامي

عم الفقيده: فؤاد بن محيي الدين البزم

شقيق الفقيده: زياد بن محمد محيي الدين البزم
 أبناء أعمامها: عدنان ونذير ومحمود وبشار وبسام ويوسف وعبد الرزاق ونهاد
 ومحيي الدين وأنور وأحمد وأيمن البزم
 أبناء أخوالها: ناصر وعلاء الدين جباوي
 أنسباء الفقيده: محمد هشام الخطيب وأبو صالح الحلبي ومحمود البزم
 أبناء شقيقته: أنس وأحمد وبلال الخطيب
 أبناء خالتها: ممدوح وعبد الهادي البزم
 أبناء عمتها: ممدوح الأفغاني ووليد السليم
 وعموم آل البزم والخطيب والحلبي والجباوي والأخضر والأفغاني والسليم
 والدروبي والمحجوب والبرشه

ينعون إليكم بمزيد من الرضا والتسليم لقضاء الله وقدره وفاة فقيدتهم الغالية
 المربية الفاضلة الأنسة منى بنت محمد محيي الدين البزم، التي لبت نداء ربها مساء يوم
 الإثنين الواقع ٤ رجب ١٤٢٦ هـ الموافق ٨ آب ٢٠٠٥ م، وسيشيع جثمانها الطاهر من
 مشفى حكمت محجوب الكائن في السيينة حيث يصلّى عليها عقب صلاة ظهر يوم
 الثلاثاء الموافق لـ ٩ آب ٢٠٠٥ في جامع الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري خلف
 كراجات درعا، ثم توارى الثرى في مقبرة الباب الصغير للفقيده الرحمة ولكم الأجر
 والثواب.

تقبل التعازي للرجال والنساء في مقر معهد الفتح الإسلامي للإناث في قبو جامع
 الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري - خلف كراجات درعا التشيع بالسيارات.

فخرجت مع الأخ علاء الدين، وصلينا المغرب في جامع أبي أيوب الأنصاري مسجد المعهد، ولقيت به فضيلة الشيخ حسام الدين فرفور، واستفسرني عن رحلتي إلى حلب وعن أحوالي عامة، ورأيت منه اهتمامًا كبيرًا بأمري، فجزاه الله تعالى خيرًا. وفي حفلة العزاء هنا يقرؤون القرآن الكريم، ويتخلل هذه القراءات كلمات يلقيها بعض العلماء والضيوف، وبما أن لي موعدًا اليوم مع بعض الطلاب في الساعة التاسعة فخرجت بعد نصف ساعة ووصلت إلى جامع الخياط في الساعة التاسعة وعشر دقائق، وصليت العشاء في الجامع.

لقاء مع بعض الطلبة

وبعد العشاء عدت إلى منزلي وقد شرفني بالزيارة عدد من طلاب الهند وطالبان من دمشق، ورغب أحد منهما أن يقرأ عليّ مسلسلات ابن عقيلة فقلت: ليس لي سماع إلا للبعض منها، ولا أتذكر مسموعاتي، فلو قرأها على الشيخ مطيع الحافظ، فإن له أسانيد عالية.

ثم تناولنا أطراف الحديث عن العلماء والمسندين في دمشق، وغادروا قبيل الحادية عشرة إلا الأخ محمد منتظر عبد الحفيظ، فإنه أهدى إليّ كتابه الصادر حديثاً «مقدّمات الإمام العلامة الداعية المفكر الإسلامي الكبير الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي» من مؤسسة الرسالة، وعليه تقديم شيخنا العلامة محمد الرابع الحسيني الندوي، يقول في التقديم:

«ويمكن للاطلاع السريع على خصائص عمله (أي على الشيخ الندوي) العلمي قراءة المقدمات التي تقدم بها في مؤلفاته المتنوعة المتعددة من ناحية الموضوع وفي مؤلفات غيره من أصحاب العلم».

ويقول الأخ محمد منتظر صاحب هذا الكتاب: «هذا ومع تكامل الفكرة في ذهني وتمام القناعة بهذا العلم فقد قمت بجمع ما استطعت جمعه من مقدمات الشيخ أبي الحسن رحمه الله، فبلغ عدد المقدمات عندي أربعين مقدمة، وأعتقد أن هناك مقدمات أخرى لم أهتم بعد إليها، لعدم الفهرس الذي يجمعها باستثناء ما ذكره الشيخ في كتابه «شخصيات وكتب».



٥ رجب يوم الأربعاء

أردت اليوم أن أزور الشيخ محمد ديب الكلاس. ولكن لم أتمكن من ذلك، ثم اتصلت بصديقنا الشيخ يعقوبي لعله يأخذني لزيارة الشيخ محمد الفاتح الكتاني، والشيخ يعقوبي محمّل بالأشغال، فأجل الزيارة لوقت آخر، فاتصلت بالأخ محمد وائل الحنبلي، فسألني أن أصلي الظهر في الجامع الأموي، وأنه ينتظرنني عند غرفة الشيخ عبد الرزاق الحلبي، فخرجت متأخراً ولم أصل إلى الجامع إلا بعد الساعة الواحدة والنصف، وكان وائل في انتظاري، وذكر لي أن غرفة الشيخ عبد الرزاق الحلبي هو المكان الذي اعتكف فيه الغزالي لما أقام بالأموي في دمشق.

بعض آثار دمشق القديمة

حمام نور الدين الشهيد

خرجنا من الجامع من جهة الجنوب، ومشينا في سوق البزورية، وعلى اليمين محل محمد خير الخطيب، وهو من أقدم اللوحات في السوق، ورأينا على يسارنا «حمام نور الدين الشهيد»، وهو حمام يعمل، فسألني الأخ وائل أن أدخل فيه حتى أطلع عليه، فشاهدته، وهو حمام متطور وتأسس عام ٥٦٧هـ، ورمم عام ١٤٠٠هـ.

خان أسعد باشا

وبعد زيارة الحمام مررنا بخان أسعد باشا، دخلنا فيه وهو خان قديم، بناء والي دمشق أسعد باشا العظم سنة ١١٦٧هـ، وهو من أقدم وأجمل خانات دمشق، وهو كالفندق، والخانات لها بوابات كبيرة لأنه كان يدخلها الأفراس، والعربات. وكل بوابة

لها باب صغير يسمى خوخة، دخلنا في الخان، ورأينا فيه معرضًا، وأحيانًا يقيمون فيه الأعراس والحفلات، وإزاءه خان آخر اسمه خان العامود، سوق البنرورية.

الشيخ محمد رجائي الخطيب

ووقفنا عند دكان الشيخ محمد رجائي بن شهيد ميسلون كمال الخطيب، توفي قبل سنين، والآن يجلس فيه ابنه، فقابلناه، وأفادنا أن والده الشيخ محمد رجائي ولد سنة ١٣١٧ هـ وتوفي سنة ١٤٢٠ هـ. ومن شيوخه العلامة السيد بدر الدين الحسيني، والشيخ علي الدقر، والشيخ يوسف النبهاني، والشيخ كامل القصاب، وبرع في علم الفرائض، وتعلم الشيخ رجائي من والده الشيخ كمال أيضًا. وكان الأخ وائل يتأسف كثيرًا على أنه لم يستجز من الشيخ محمد رجائي مع أنه كان يمر بدكانه كثيرًا، ويسلم عليه، وقد كان من آل الخطيب، ونالته إجازة أبي النصر الخطيب، ولكن السماع رزق.

مكالمة الأخ سلمان أبو غدة

ورن هاتف الأخ وائل فقال: هذا الأخ سلمان أبو غدة يتصل من جدة، فسلمت عليه وتحادثنا، وسألته إذا كان قد تسلم صور والده التي أرسلتها إليه قبل بضعة شهور، فقال: نعم.

محل الشيخ أحمد الحبال

ثم مررنا بسوق مدحت باشا أو سوق الطويل، وهي سوق مغطاة، وهنا أسواق كثيرة متفرعة من الحميدية كلها مغطاة، وفي سوق الطويل محل الشيخ أحمد الرفاعي الحبال الذي يروي عن الشيخ بدر الدين الحسيني، وقد رضع من بناته، فكان يدخل في بيته ولازمه ملازمة تامة، دخلنا المحل والشيخ يقرأ القرآن، والدكان قديم وصغير، والشيخ دائمًا مشغول بالتلاوة، ويغلبه استغراق فلا يلتفت إلى من حوله، وكان عنده

كهل جالسًا من أحفاد بدر الدين الحسيني، وعنده شيء من بقايا الشيخ الحسيني، فوعد لي الأخ وائل أننا سنزوره في بيته.

وكان الدكان لوالده الشيخ محمد صالح الحبال الرفاعي، وغلب عليهم نسبه الحبال لبيعهم الحبال في هذا الدكان، وكان محمد صالح الحبال من تلاميذ الشيخ سعيد الحبال، وكان ملازمًا له، والشيخ أحمد الحبال قد كبر سنه فلا يشغل المحل، وإنما يجلس فيه يقرأ القرآن الكريم ويقضي حوائج الناس، ويوزع عليهم الخبز وأشياء أخرى. ورأينا عند الشيخ مثال نعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والشيخ يوسف النبهاني هو الذي نشر هذا المثال بين الناس.

والشيخ أحمد الحبال ولد سنة ١٣٣١ هـ تقريبًا، وهو الآن شيخ مجالس الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بلاد الشام كلها. وقد حج أكثر من ستين مرة. وله في رحلاته إلى الحج قصص وكرامات كثيرة.

ثم سلمنا على الشيخ، وسأله الأخ وائل أن يجيز لي، فقال كلمات ولكنها لم تكن صريحة في الإجازة، ثم سأله الإجازة فقال: إن شاء الله، بإذن الله، فلم نطمئن إلى هذه الإجازة، وسنزوره مرة أخرى إن شاء الله حتى نحصل منه على إجازة صريحة.

ثم مررنا بجامع النبهان، والشيخ يصلي فيه إمامًا، ومررنا بسوق الخياطين، يسمى بذلك لأنهم يبيعون فيه مستلزمات الخياطة.

المدرسة النورية الكبرى

ثم دخلنا في المدرسة النورية الكبرى، وهي وقفت على الحنفية، والمدرسة منسوبة إلى إمامها نور الدين الزنكي الشهيد، وفي المدرسة مصلى، وفي الصحن بحرة، والبحرات عامة في أفنية المدارس، إذا كانت المدرسة للحنفية كانت البحرة عشرة

أذرع في عشرة، وإذا كانت للشافعية كانت البحرة قلتين.

وممن درّس فيها الشيخ محمد نجيب كيوان، وكان من القيمين عليها الشيخ محمد بكري الشويكي من الأولياء، وسكن فيها الشيخ أرسلان أبو طوق من القرن الرابع عشر الهجري، وكان يتعامل مع الأفاعي، إذا خرج في بيت أفعى جاء إليه الشيخ، وكان الشيخ يتكلم مع الأفعى بلغة لا يفهمها الناس، فيخرج الأفعى مع الشيخ، وكانت الأفاعي تسكن في هذه الغرفة مع الشيخ، وقد بلغ عددها خمسمئة أفعى، وهذا أمر متواتر عند أهل الشام.

وذكر الشيخ مرشد عابدين أنه ظهر في بيته أفعى كبير، فجاءوا بالشيخ فأخرجه. وكان من أواخر من أقام في هذه المدرسة الشيخ عبد الرحمن الشاغوري، وكان يقيم فيها الذكر الشاذلي، وقبله أقامه فيها السيد محمد الهاشمي.

المدرسة القلبجية

ثم دخلنا المدرسة القلبجية، وفيها الآن معهد جمعية التهذيب والتعليم، أسسها آل الخطيب، والشيخ أبو الخير الخطيب كان يسكن هنا، والبحرة هنا أصغر لأنها مدرسة شافعية.

المدرسة العادلية الكبرى

ثم مررنا بسوق القيشاني، وبخان الجمرك، والخان يرجع إلى أوائل القرن العاشر الهجري، والآن يستعمل كسوق، وقد تحولت كثير من الخانات إلى الأسواق الآن.

ثم دخلنا في المدرسة العادلية الكبرى التي تم إنشاؤها سنة ٦١٨ هـ، وكان يدرس فيها القاضي بدر الدين ابن جماعة وتاج الدين السبكي، وبدأ إنشاءها السلطان نور الدين الزنكي، فتوفي قبل أن يتمها، فأتىها الملك العادل سيف الدين بن أبي بكر محمد بن أيوب فنسبت إليه، ومجمع اللغة العربية بدمشق أسس هنا، ثم نقل إلى مبنى

آخر، وتجري الآن في المدرسة ترميمات، ودخلنا في المدرسة وكلها بناء، حجري قديم، لا يشعر الداخل فيها بحرارة، وفيها غرف عالية.

المدرسة الظاهرية

ثم دخلنا المدرسة الظاهرية. نسبة إلى السلطان ظاهر بيبرس، بنيت سنة ٦٧٦هـ، وحوّلت إلى المكتبة الظاهرية، والفضل في ذلك يرجع إلى الشيخ طاهر الجزائري والشيخ علاء الدين ابن عابدين، فجمعا الكتب من بيوتات دمشق وخزائنها وحفظاها في هذه المكتبة، وأخيرًا نقلت منها المخطوطات والنوادير إلى مكتبة الأسد. وزرنا فيها ضريح الملك الظاهر بيبرس، مكتوب عليه: هذا ضريح الملك الظاهر غفر له سنة ٦٧٦هـ. وبجانبه ضريح آخر مكتوب عليه: هذا ضريح الملك السعيد غفر له سنة ٦٧٦هـ.

وفوق المكتبة قاعة المطالعات، كان فيها قسمان للرجال والنساء، ولكن منذ أن نقلت نواذرهما ومخطوطاتها إلى مكتبة الأسد قل عدد القاصدين لها. فلم يبق إلا جناح للمطالعات، ولم نر فيها إلا أربعة أو خمسة دارسين، مع أنها كانت مقصدًا للعلماء والباحثين في السابق، وقد زارها العلامة الكوثري غير مرة، وجلسنا في هذه المكتبة. فأهدى إليّ الأخ الحنبلي مرقومًا، وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الجليل، والأخ الحميم درّة بلاد الهند، وأمل مسنديها مولانا الندوي محمد أكرم: لا أخلى الله مكانه، ولا عدمنّا آثاره، ليس لي أن أقدم بين يديكم شاكرًا فضلكم لإقوال الإمام أبي عبد الله محمد ابن الموصلي الطرابلسي الشافعي: مازلت أسمع عن إحسانكم خبرًا الفضل يسنده عنكم ويرفعه

متى التقينا فشاهدت الذي سمعت أذني وأضعاف ما قد كنت أسمعه

محجكم الدمشقي

محمد وائل

غرة رجب الفرد ١٤٢٦ هـ

جنبه الله الرذائل

ثم خرجنا من باب الفرج، والباب من عصر نور الدين الشهيد، وهو أحد أبواب دمشق الثمانية. ومررنا بسوق العصرية من أقدم الأسواق، نسبة إلى ابن عسرون، ثم مررت بجامع المعلق بناه الأمير برد بيك الجكمي سنة ٩٢٥ هـ.

جامع الرضوان

ثم رجعت إلى البيت قبيل العصر، وبقيت إلى ما قبل المغرب، ثم صعدت في الساعة السابعة إلى جامع الرضوان، وهو على بعد خمس دقائق مشياً بالأقدام من منزلي، وأمامه منزل الأستاذ أبي الطيب محمد توفيق المخزومي، ولكن الأستاذ كان خارج البيت، فصليت المغرب في الجامع، ثم دعاني شيخ الحي الشيخ عبدالرحمن المرابط إلى منزله، وهو شيخ محب للعلم والعلماء، واتصل بمنزل شيخنا الدكتور سعيد رمضان البوطي ليأخذ موعداً لمقابلته، فأخبرنا أن الشيخ البوطي الآن في حمص، ويرجع متأخراً من الليل.

ثم رجعت إلى جامع الخياط، وصليت العشاء فيه، وصلت إلى المنزل وقد جاءتنا طالبة أمريكية من أصل هندي تزورني وتستشيرني، ولها عناية بالحديث والسند، اللهم بارك لنا في علومنا وأعمالنا واجعلنا صالحين متقين، واغفر لنا ذنوبنا وارحمنا، وأنت أرحم الراحمين.



٦ رجب يوم الخميس

كنت أرى أن أزور اليوم مع الشيخ أبي الهدى بعض المشايخ، وحاوت الاتصال به غير مرة، لعله كان نائماً لسهره الليل في القراءة والتدريس، ثم اتصلت بالأستاذ أبي الطيب توفيق المخزومي، ولكنه كان مشغولاً برحلته ليحضر اجتماع الأدب الإسلامي في القاهرة، فبقيت في الصباح في البيت، وفكرت أن أخرج لوحدي لأشاهد بعض الآثار، وخرجت لصلاة الظهر في جامع الخياط، وسألت شيخ الحي عن عنوان جامع الحنابلة والمدرسة العمرية، فأخبرني أنهما قريبان من جامع الشيخ محيي الدين ابن العربي.

الصالحية

فركبت بعد الصلاة حافلة من عند بيتي، ونزلت في العفيف، ومن هناك اتجهت إلى المدرسة العمرية ماراً بدور الصالحية القديمة وبعضها من تراب، حتى دخلت من خلال شارع عبد الغني.

والصالحية أثر مبارك من آثار المهاجرين من أسرة الشيخ أحمد بن محمد بن قدامة وأهله وأتباعه الذين هاجروا في بلادهم في فلسطين سنة ٥٥١هـ، وجاءوا إلى دمشق، واستقروا بسفح جبل قاسيون، ولم تمض مدة يسيرة حتى اتسعت شهرة المهاجرين الذين عرفوا بالتقوى والصلاح، وسُموا بالصالحين، وسميت المنطقة بالصالحية نسبة إليهم، قال أحد الشعراء:

الصالحية جنّة والصالحون بها أقاموا
فعلى الديار وأهلها مني التحية والسلام

وقد وصف القلقشندي الصالحية فقال: «مدينة ممتدة في سفح الجبل، تشرف على دمشق وضواحيها، ذات بيوت ومدارس وربط وأسواق وبيوت جليلة، وقال عنها ابن بطوطة: هي مدينة عظيمة لها سوق لا نظير لحسنه، وفيها مسجد وجامع ومارستان، وأهل الصالحية كلهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل».

المدرسة العمرية

المدرسة العمرية على شارع عبد الغني النابلسي في الصالحية، رأيتها وقد أصابها خراب ينبي عن ماضيها الرائع، مكتوب على بابها: «المدرسة العمرية بناها الشيخ أبو عمر محمد الجماعيلي سنة ٦٠٣هـ»، ومكتوب على جانب منها كتابة حديثة «العمرية نسبة للمدرسة العمرية التي أنشأها الشيخ أبو عمر محمد بن قدامة القدسي ٥٥٥هـ، وكانت نموذجًا كاملاً للمدرسة الجامعة».

المدرسة مقفلة، ولكن نوافذها مكسورة فيمكن رؤية داخلها، فتجولت حول مبنى المدرسة، وهي مدرسة كبيرة بنيت من الحجر، وفيها غرف كثيرة تدل على سعتها وأقسامها المتنوعة.

أطلق المؤرخون على هذه المدرسة عدة تسميات، فهي المدرسة العمرية نسبة إلى أبي عمر، وهي المدرسة الشيخة لأنها شيخه المدارس، وقيل عنها إنها المدرسة الشيخية نسبة إلى شيخ الإسلام أبي عمر، أراد لها واقفها أبو عمر أن تكون خاصة لتعليم القرآن، والفقه الحنبلي، ومضت كذلك أكثر من قرنين على هذا النهج، حتى أراد الله لها أن تكون جامعة لكل المذاهب الأربعة إضافة إلى علوم القرآن والقراءات.

تخرج منها الآلاف من الفقهاء والقراء والمحدثين، وكانت الرحلة إليها من الأقطار الإسلامية شرقاً وغرباً مما يتنافس فيه المتنافسون، وفيها كانت حلقات العلم في كل جانب من جنباتها، وفي كل غرفها وخلواتها أو إيوانها، منها حلقة لشيخ يقرئ أو

يشرح أو يروي الحديث أو يعلم الفقه، وفيها ألفت المؤلفات الكثيرة والكبيرة، ثم انتشرت في العالم الإسلامي^(١).

حارة نعمة بنت علي

وعلى شارع عبد الغني النابلسي بيت مكتوب عليه: حارة نعمة بنت علي، ومكتوب تحت ذلك: نعمة بنت علي عالمة محدثة، ولدت سنة ٥١٨ هـ. ودرس عليها عدد من العلماء، توفيت بدمشق ٦٠٤ هـ، فأعجبني أن يسموا الحارات والأحياء بأسماء العلماء والعالمات، ودمشق حافلة في تاريخها بكثرة من فيها من الرجال المعروفين والنساء العالمات.

الجامع المظفري

ثم تقدمت من المدرسة العمرية في اتجاه صعودي للجبل، والمدرسة عن يميني، وبعد قليل أجد نفسي أمام جامع الحنابلة، مكتوب عليه: جامع الحنابلة بناء الأمير الملك المظفر كوكبري صاحب إربل سنة ٥٩٩ هـ، ولوحة أخرى جديدة مكتوب عليها: «بسم الله الرحمن الرحيم شرع في ترميم هذا المسجد إسماعيل يوسف السعدي بتاريخ ١٧ محرم ١٤٢٣ هـ، ١٢ شباط ٢٠٠٢ م جزاه الله خيرًا وأحسن إليه.

وفي جانب للمسجد مدرسة للبنات، وفي مصلى المسجد مدرسة للأولاد، دخلت الجامع وصليت ركعتين، وهو جامع كبير، وهو أول مسجد جامع تقام منه خطبة الجمعة في الصالحية، وأول جامع كبير بني في دمشق بعد الجامع الأموي، كذلك كان أول جامع من العهد الأيوبي، وهو الجامع الذي قرئت فيه تلك الأجزاء الحديثية

(١) انظر: كتاب «المدرسة العمرية» لشيخنا العلامة محمد مطيع الحافظ.

الكثيرة والمصنفات الكبرى مرّات لا تحصى، وعلى جماعة كبيرة من العلماء والمحدثين الكبار^(١).

جامع ابن العربي

خرجت من هنا، واتجهت إلى جامع محيي الدين ابن العربي، مكتوب فيه على لوحة: جامع محيي الدين ابن عربي، أنشأه السلطان سليم سنة ٩٢٤هـ، ودخلت الجامع وصليت فيه ركعتين، والجامع واسع كبير، وفيه على يسار الداخل في المصلى ضريح محيي الدين ابن العربي، وعلى مدخله مكتوب: قال الشيخ الأكبر قدس سره:

فلكل عصر واحد يسمونه وأنا لباقي العصر ذاك الواحد

ودخلت في حجرة ضريح الشيخ فوجدت فيه عدة أضرحة: ضريح أكبر، وهو للشيخ الأكبر سلطان العارفين الشيخ محيي الدين ابن عربي، وبجانبه ضريحان لولديه الشيخ سعد الدين والشيخ عماد الدين، وضريح الأمير الجزائري، وضريح الشيخ محمد أمين الخربوطلي مكتوب عليه: هنا يرقد الحافظ الشهير المرحوم الشيخ محمد أمين الخربوطلي المتوفى سنة ١٣٥٦هـ، وضريح السيد محمد ترك آغا، مكتوب عليه: هذا قبر المرحوم السيد محمود باشا الخونجي.

وبجانب ضريح ابن عربي نسوة يدعون متجهين إليه ويقرآن القرآن أو بعض الأوراد، فسأني أن يتركن المسجد، ويتعبدن عند قبر، ورأيت في داخل الضريح نقودًا كثيرة ملقاة.

حي المدارس

وخرجت من جامع محيي الدين ابن العربي متجهًا إلى حي المهاجرين،

(١) انظر: كتاب «جامع الحنابلة» لشيخنا العلامة محمد مطيع الحافظ.

فمررت على اليسار بالبيمارستان القيمري، بناه الأمير سيف الدين القيمري سنة ٦٥٤هـ، وعلى اليمين ضريح سيف الدين القيمري وابنه، ولعله كان مدرسة في القديم، وهذا الحي يسمى حي المدارس، لكثرة ما فيها من المدارس الشهيرة، ومررت بجادة التغالبة، مكتوب على مبنى فيها: التغالبة تسمية متعارف عليها بالتواتر الشفهي تعود لآل التغلبي. وهم من سلالة القبيلة العربية بني تغلب، سكنوا هذه الجادة فعرفت بهم.

ثم مررت بالجامع الجديد مكتوب عليه: أنشئ هذا الجامع الجديد بتولي خضر بن محمد السرهند الحلبي الناصري عام ٦٥٣هـ، ثم حول التربة الخاتونية التي أوقفها عصمت خاتون عام ٥٧٧هـ إلى مسجد، وأضافها إلى الجامع سليمان بن حسين الفقري بتولي علي أمز التدمري عام ٧٩٠هـ، وأمام الجامع تربة لم أتبين قراءة لوحها.

ثم مررت بمسجد الشركية والمدرسة الجهاركسية، نسبة إلى الأمير جهاركس فخر الدين الصلاحي، بناها مملوكه الأمير صارم الدين بن عبدالله بين سنة ٦٠٨ و ٦٣٥هـ.

ثم مررت بالتربة التكريتية مكتوب عليها: تربة الوزير تقي الدين التكريتي سنة ٦٩٨هـ، وأمام التربة التكريتية دار الحديث الأشرفية البرانية، بناها السلطان الملك الأشرف موسى الأيوبي سنة ٦٢٩هـ، وقد حوّلت هذه المدرسة الكبيرة إلى منازل، ولكن جدرانها لا تزال باقية مع ما فيها من خطوط، ومشيت على الشارع مكتوب على رأسه: شارع المدارس، نسبة لما كان في هذا الشارع من مدارس تعود للعهد الأيوبي لا تزال أبنية معظمها باقية إلى اليوم.

في منزل وائل الحنبلي

وفي جامع التوبة في حي العقيبة يعقدون كل شهر مرة من المغرب إلى ما بعد العشاء جلسة تسمى جلسة الوفاء، أسسها فضيلة الشيخ محمد هشام البرهاني، تعقد

كذكرى لإحدى الشخصيات البارزة، وكانت الجلسة اليوم موضوعها «الشيخ أبو الخير الميداني رحمه الله»، والكلمة لشيخنا الدكتور محمد مطيع الحافظ، وكانت الكلمة بعد العشاء.

ودعانا الأخ محمد وائل إلى عشاء في بيته، فخرجت مع أهلي وبناتي في الساعة السابعة والنصف، تعشينا عنده، وسمعنا قصيدة صاحبنا الشيخ عمر النشوقاتي التي أنشدتها بمناسبة زواج وائل الحنبلي، وقد أثبت القصيدة بكاملها في ترجمة الشيخ النشوقاتي.

وأعطاني محمد وائل هنا أسماء الشيوخ الذين أجازوا لي ولأولادي على استدعاء منه.

ترجمة محمد وائل الحنبلي

هو محمد وائل بن محمد أسامة بن يوسف بن محمد علي بن عمدة العلماء محمد بن فخر قضاة الإسلام مصطفى بن سلمان بن سليمان بن محمد مزهر الحنبلي الدمشقي، أصلهم من أتباع المذهب الحنبلي، وجدهم يوسف هو الذي انتقل إلى مذهب أبي حنيفة، فوائل، وأبوه، وجدته حنفيون. وأمه الحاجة الفاضلة بنت عبد الكريم بن أحمد لبنية، وهو أحد المؤذنين في الجامع الأموي.

ولد محمد وائل في دمشق في السابع عشر من ذي العقدة سنة ١٣٩٩ هـ الموافق تشرين الأول ١٩٧٩. نشأ وتربى في جامع التوبة في حي العقيبة، وبعد ولادته بساعات أخذه والده إلى شيخه وعمدته الشيخ أحمد نصيب المحاميد، فسرّ الشيخ به، ونظم قصيدة في تهنئته.

درس مبادئ علوم الشريعة في جامع التوبة، ثم دخل معهد الفتح الإسلامي، وحضر دروس العلامة أحمد نصيب المحاميد في جامع التوبة وفي بيته، وقرأ عليه كتاب الإتيقان للسيوطي، والصاوي على الجلالين، والعهود المحمدية للشعراني، وقرأ

عليه غالب ما قرأ على الشيخ محمد بدر الدين الحسني، أي شرح الرضي على الكافية، وقسمًا من صحيح مسلم، وشرح «غرامي صحيح»، وشرح نخبة الفكر، وألفية ابن مالك، والأربعين النووية، وسمع منه قسمًا من ابن عقيل، وشرح الحكم لابن عباد، وأكرمه الله بخدمته وملازمته التامة إلى أن توفاه الله عز وجل، ولازم العلامة الفقيه الشيخ عبدالرزاق الحلي، وحضر عليه جل حاشية ابن عابدين، وشرح النووي على مسلم وأطرافًا من الكتب الستة.

ورحل إلى الحجاز لزيارة الحرمين الشريفين أول مرة سنة ١٤٢٠ هـ اجتمع بها بعدة من العلماء، منهم العلامة المحدث محمد عاشق إلهي البرني، ولازمه مدة أسبوعين، وقرأ عليه مسلسلات ولي الله الدهلوي، وقسمًا من صحيح البخاري، ومتن إعلاء السنن كتاب الطهارة، وحضر دروس السيد محمد بن علوي المالكي، وأخذ عنه عدة مسلسلات، ثم قرأ موطأ الإمام مالك برواية الإمام محمد على الشيخ حبيب الله قربان، ولازم العلامة الناسك حمادة مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشيخ محمد الحجار الحلبي ثم المدني، وقرأ عليه بستان العارفين في الحرم النبوي الشريف قرب باب السلام، وأخذ عن كثير من العلماء الوافدين إلى الحرمين الشريفين، ومن لم يتمكن من الاجتماع به أخذ عنه مكاتبة.

وأجازه من دمشق: الشيخ محمد رياض المالح، والشيخ محمد خالد الجبائي، والشيخ عبد الغني الدقر، والمعمر محمد بن إسماعيل النحلاوي، والعلامة محمد أنور الحصني سمع منه المسلسل بالأولية، وبشير خوجة، ومحمد خالد حمزة، وعبد الرحمن الشاغوري، والشيخ عبد الحكيم كفتارو، والمعمر الصالح محمد نذير علوان، والشيخ أبو الحسن الكردي، وشيخنا محمد يعقوبي، ومحمد عزت البيطار

قرأ عليه الجامع الصغير للسيوطي كما قرأه على محمد أبي الخير الميداني كما قرأه على العلامة الرباني سليم المسوقي.

ومن الحجاز: الحبيب عبد القادر السقاف، وعبد الفتاح راوه، ومحمد زكريا البخاري.

ومن حلب: الشيخ عبد الله سراج الدين، ومفتي حلب الشيخ عثمان بلال، والعلامة الأصولي محمد بن إبراهيم السلقيني، ومحمد بن درويش الخطيب، وقرأ عليه شمائل الترمذي كاملاً والأربعين النووية بحق قراءتهما على العلامة المسند محمد راغب الطباخ.

وأجازه الشيخ محمد أحمد بن عبد الله آدو الشنقيطي، وحسن وإبراهيم ابنا محمد بن الصديق الغماري، والسيد إدريس بن محمد بن جعفر الكتاني، والسيدة فاطمة الشفا، والعلامة محمد سرفراز صفدر، ومحمد تقي العثماني، ومحمد رفيع العثماني، وفيض أحمد الملتاني، والسيد عبد الرحمن الكتاني (قرأ عليه ثلاثيات البخاري والترمذي وابن ماجه وأبي داود، والأربعين المسلسلة بآل البيت) وأحمد علي السورتي، والشيخ أديب الكلاس (قرأ عليه شرح السلم كاملاً والاختيار وشرح العقائد النسفية كاملاً، وشرح الباجوري على الجوهرة، وأشياء أخرى)، والشيخ محمد علي المراد الحموي، والشيخ محمد أمين سراج، والشيخ حسن رزوق، والشيخ أحمد مختار رمزي، والمفتي علي جمعة.

وأخذ عن الشيخ المعمر الصالح محمد بن عبد الرزاق الخطيب، واستجازه للكثيرين، وإنما عرفه الناس بدلالة وائل، وقرأ عليه الكثير من الأجزاء والأحاديث العالية، وأكرمه الله بالخدمة والقراءة على العلامة القاضي الشرعي السيد الأصيل المعمر أبي الإرشاد محمد مرشد بن أبي الخير ابن عابدين (قرأ عليه الكثير من

الأجزاء والمسلسلات والمتون الفقهية والأصولية التي يرويها بالسماع عن أخيه عن أجداده، وقرأ عليه ولا يزال يقرأ عليه في الدر المختار الذي يرويه بالسماع المتصل إلى ابن عابدين، وإفاضة الأنوار شرح المنار).

وأجازه من اليمن المفتي محمد بن أحمد زبارة، ومحمد بن إسماعيل العمراني، والسيد سالم بن عبد الله بن عمر الشاطري، ومحمد بن أحمد الشاطري قرأ عليه ثلاثيات البخاري والأربعين المسلسلة بآل البيت والمسلسل بالمحمدين، والشيخ عبد الله الناجبي وقرأ عليه كثيرًا.

وقرأ على الشيخ عزت البيطار كنز الدقائق، والفقه الأكبر، والعقيدة الطحاوية، وجزء ابن الغطريف، وجزء ابن عرفة، وعروس الأجزاء، والأربعين للنسوي، والأربعين النووية، وثلاثيات عبد بن حميد والدارمي والبخاري وأبي داود والترمذي وابن ماجه، والآثار للإمام محمد والجامع الصغير للسيوطي. وأخذ عن الشيخ حسين عسيران فقرأ عليه ألفية العراقي في المصطلح بحق سماعه على شيخه محمد العربي الغزوزي، ومحمود الشميطلي، والشيخ مساعد السوداني، ومفتي دوما الشيخ عبد الله الدومي.

وسمع المسلسل بالأولية بشرطه من أكثر من أربعين شيخًا، منهم عبد الرحمن الكتاني، وحسن الغماري ومحمد بن علوي المالكي وعبد الفتاح راوه، وعبد الله الشنقيطي، ونور الدين الخطيب، والشيخ محمد عربي الدغلي.

وأجازه زين العابدين الجذبة، ومحمد بن درويش الخطيب، وسعيد الرشيد الديرعطاني، والعلامة المعمر محمد ملحم أبو ظاهر، والحاجة الفاضلة فاطمة بنت المفتي محمود السيد، وإلهام الحمصي، والدكتورة منيرة والددة الشيخ أحمد عاشور، والشيخ أديب حسّون، والشيخ وصفي المسدي، ومحمد سعيد الكحيل، وعبد

الرحمن الملا بن أبي بكر الأحسائي، والشيخ عبد الكريم المدرس مفتي بغداد، وأكرم عبد الوهاب الموصلي، والشيخ محمد يونس الجونفوري سمع منه المسلسل بالأولية والمسلسل بالمحبة، ورشيد أحمد بن حبيب الرحمن الأعظمي، ومحمد تيسير المخزومي.

وقرأ ختمه كاملة بقراءة عاصم برواية حفص وشعبة على المقرئ العلامة الداعية الشيخ بكري بن عبد المجيد الطرابيشي الحنفي، وهو أعلى القراء سنداً إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويروي الطريقة الشاذلية عن محمد بن جعفر بن الطيب الجزائري عن محمد صالح المفتي (شيخ الكوثري)، وأكرمه الله منذ صغره مع والديه وإخوته بملازمة العارف بالله معتقد أهل الشام سيدي وسندي أحمد بن صالح الحبال، الذي حنكه بعد ولادته بثمانية أيام، وقد شفاه الله تعالى بدعائه من مرض عضال أصابه في صغره، وفرج الله عنه كُرباً كثيرة بدعائه.

ويعمل في تحقيق حاشية ابن عابدين، وكتب عن مفتي الشام محمود أفندي الحمزاوي، ويعمل في تحقيق زاد الفقير للكمال ابن الهمام، والمستطاع من الزاد لمفتي الشام عبد الرحمن العمادي.

جلسة الوفاء

وبعد التاسعة والربع دخلنا في جامع التوبة وصلينا فيه العشاء، وهنا لقيت الشيخ عدنان المجد، فقدمني إلى الأمام مع الشيوخ، وبدأ شيخنا الدكتور مطيع كلمته، وافتتحها بإسماع حديث الرحمة المسلسل بالأولية بالتماس مني حتى تحصل الأولية لبناتي ولمن حضروه أول مرة.

وكانت كلمته مؤثرةً جدًا، أخذت بمجامع القلوب، تحدث فيها عن جوانب من حياة الشيخ جديدة، وأخيرًا سألني أن ألقى كلمة، فتحدثت عن إسهام الدكتور محمد مطيع الحافظ في إحياء مآثر أهل الشام، وذكرت فضل الشام، وسألت الشيوخ أن يتكرموا علينا بالإجازة، وكانت الكلمة للدكتور مطيع الحافظ، فأعاد الحديث المسلسل بالأولية وأجاز الحضور إجازة عامة.

أخبرنا الشيخ محمد مطيع الحافظ وجماعة، قالوا: أخبرنا الشيخ أبو الخير الميداني، أنا الشيخ سليم المسوقي، أنا أحمد مسلم الكزبري، أنا عبد الرحمن بن محمد الكزبري، أنا والدي محمد بن عبد الرحمن الكزبري، أنا والدي عبد الرحمن الكزبري، أنا أبو المواهب محمد بن عبد الباقي الحنبلي، أنا والدي عبد الباقي الحنبلي، أنا النجم الغزي، أنا والدي بدر الدين الغزي، أنا أبو الفتح محمد بن محمد الإسكندراني، أنا الشیخة الصالحة عائشة بنت محمد بن عبد الهادي المقدسية، أنا الحافظ شمس الدين الذهبي، أنا أبو الفضل أحمد بن تاج الأمان، أنبأنا عبد المعز بن محمد، أخبرنا زاهر بن طاهر، أخبرنا أبو سعد الكنجروذي، أخبرنا عبد الله بن محمد الرازي، أخبرنا محمد بن أيوب، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا سحامة بن عبد الله، قال: قدم علينا أنس بن مالك واسط، فحدثنا أن رجلاً جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر من أمره حاجة وفقرًا، فأقيمت الصلاة، فنهض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليدخل فيها فتعلق به الرجل، فقام معه حتى قضى حاجته ثم دخل في الصلاة.

هذا حديث حسن عال جدًا، وسحامة مذكور في كتاب الثقات لابن حبان، وقد أخرج له البخاري هذا الحديث في كتاب الأدب عن أبي بكر بن أبي الأسود عن أبي عامر العقدي عنه.

وبه إلى الذهبي، قال: أنبأنا علي بن أحمد وغيره، قالوا: أخبرنا عمر بن محمد، أخبرنا أبو غالب ابن البناء، أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، أخبرنا أبو بكر القطيعي، حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا مبارك بن فضالة، عن الحسن، سمعت عثمان رضي الله عنه جمعًا متواليات يأمر بقتل الكلاب وذبح الحمام.

قال الذهبي: في الإسنادين ضعف من جهة زاهر وعمر، لإخلافهما بالصلاة، فلو كان في ورع لما رويت لمن هذا نعته.



٧ رجب يوم الجمعة

خرجنا اليوم الساعة التاسعة إلا الربع صباحًا لجولة سياحية لدمشق، وأردنا أن نبدأ بزيارة حديقة الحيوانات، لأنه إذا ارتفع النهار واشتدت الشمس لم نتمتع بالنزهة، في دمشق أربع حدائق للحيوانات، أكبرها وأحسنها تلك التي في دوما، فاتجهنا إليها.

حريستا

خرجنا من دمشق، ومررنا بحريستا. وهو مكان تاريخي قديم، ومررنا في حريستا على الشمال بجوامع كبير لعله جامع حديث. وعجبنا من كثرة مكاتب السيارات في حريستا.

دوما

ثم دخلنا في دوما، وهي معروفة ببيع لحوم الجمل، فأردنا أن نشترى لحم الجمل من هنا عند عودتنا، وذكر لنا سائقنا أن دوما شهيرة بكثرة إطلاق الناس فيها أزواجهم، ويطلقون لأمر تافه. والعلماء بها يفتون بأن هذا الطلاق لغو، ومن ثم إذا طلق واحد في دمشق ذهب إلى دوما واستفتى فيها فيلغون طلاقه.

وقد أجازنا من دوما العلامة الكبير الشيخ عبد الله بن محمود السيد الدومي الحنبلي، يروي عن والده، وعن المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني، أجازني في استدعاء، أرسل به إلي أخونا الشيخ محمد بن عبد الله آل الرشيد.

حديقة الحيوانات

دخلنا في حديقة الحيوانات في دوما، واسمها حديقة الجلاء، وهي حديقة صغيرة، وعدد الحيوانات التي تعيش فيها قليل، شاهدنا فيها أنواعًا من الدب والذئب والكلب، والثعلب، والقرد، والنعام، والظبي، والجمل، والحمار البري، والأسد،

والنمر. ومما أعجبنا أن حارس الحديقة يفتح قفل قفص الأسد والذئب، ويدخل فيه ويتكلم معه ويمسه فلا يهيجه ذلك، وتطير الطيور المتنوعة هنا وهناك، كما توجد بحيرة في الحديقة حيث البجع الأبيض والبطوط تسبح على سطح البحيرة بحرية وعلى ضفة البحيرة عدة الطواويس تفرد الأجنحة لعرض جمالها أمام الزوار، وفي الحديقة منتزه للزوار، وملعب صغير للأطفال.

بقينا هنا ساعة، ثم خرجنا ومررنا بسوق لحوم الجمل في دوما، واشترينا كيلوين من اللحم المدقوق.

العودة إلى دمشق

اتجهنا إلى دمشق عائدين لنزور قصر العظم، ومررنا بمسجد عبادة بن الصامت رضي الله عنه على يسارنا في نهاية دوما وبداية حرستا، ومررنا بمتحف البانوراما، وهو متحف الآثار التذكارية من حرب تشرين، ثم مررنا بحديقة الأزهار والورود، وفيها أنواع كثيرة من الأزهار والورود في ألوانها المختلفة ونفحاتها الممتعة، ومررنا عند مدخلنا في دمشق بحديقة أخرى للحيوانات، وهي صغيرة.

دخلنا في دمشق من باب الجابية، ومررنا بمسجد سنان آغا، وكان في العهد العثماني، وقصته أنه قرر أن يبني هذا الجامع ويتحمل وحده النفقات كلها، واستمر البناء إذ جاءت امرأة بحجر إلى العاملين فيه، وقالت: اجعلوه في هذا البناء. فقبلوا، ورأى سنان آغا في المنام قصرًا في الجنة، وقيل له: هذا قصره لبنائه المسجد، ثم رأى قصرًا أحسن منه، وقيل له: هذا لامرأة وصعت حجرًا في بناء المسجد، فلما استيقظ سأل المرأة أن تبيعه ذلك الحجر، فأبت.

قصر العظم

ومررنا بسوق البزورية، حتى وصلنا إلى قصر العظم، فنزلنا عند بوابته، ومكتوب عند المدخل: بناه والي دمشق أسعد باشا العظم سنة ١١٦٣ هـ.

وهو نموذج مدهش للبيت الدمشقي القديم، حيث يشعر فيه المرء بالانصراف والسرور، لما يحوي هذا البيت من الحجارة الجميلة والرخام الملون والأزهار والبحيرة الصغيرة ونافورتها التي تتوسط باحة البيت، ويشغل البيت الآن متحف الفنون والتقاليد الشعبية

ولد أسعد باشا العظم (١٧٠١-١٧٥٧) والي دمشق في معرة النعمان، وحكم دمشق مدة ١٢ عامًا، تميزت بسيادة الأمن والنظام، وأبعد عن دمشق إلى جزيرة كريت، وقتل في أنقرة بتركيا بعد خلاف مع السلطان العثماني. أقام في دمشق عددًا من المباني، أهمها قصر العظم الأثري الشهير وخان أسعد باشا، استغرق بناء القصر ثلاث سنوات، حيث جند أسعد باشا أمهر الصناع والعمال، فجاء القصر آية في الإبداع وحسن العمارة والفخامة وجمال الزخارف والنقوش، وقسم إلى قسم السلملك (لاستقبال الزوار) والحرملك (قسم النساء والمعيشة).

وفي القصر الآن متحف التقاليد الشعبية، زرنا القصر كله بمتحفه، وأعجبنا ما وصلت إليه دمشق في حياتها الاجتماعية، كما أدهشتنا كتابات دقيقة جميلة واضحة في حبة قمح أو أرز لبعض الخطاطين.

صلاة الجمعة

خرجنا من هنا حوالي الساعة الثانية عشرة إلا الربع، ولم يكن عندنا وقت كاف لنزور التكية السليمانية، فأخرنا زيارتها إلى الجمعة القادمة، وعدنا إلى البيت حتى لا

تفوتنا الصلاة، وفي الطريق اشترينا كبابًا من لحم الجمل لغدائنا، نزلنا عند بيتنا، ثم اغتسلت، وصليت الجمعة في جامع الخياط، وكانت الخطبة قوية حافلة بالحماس والروح الإيماني.

استراحة

بعد صلاة العصر اتصلت بالأخ أحمد اللوجي، إذا كان بالبيت، فأزوره ونتحدث قليلاً ولكنه كان في المزة، وسألني أن أزور معه قريباً قبر الصحابي الجليل دحية الكلبي رضي الله عنه، فقلت: إن شاء الله، لأنه أحد الآثار التي أنوي زيارتها خلال إقامتي في هذه البلاد المباركة، ثم رجعت إلى المنزل، واسترحت قليلاً وأخذت في مطالعة الرحلة السامية لمحمد بن جعفر الكتاني رحمه الله تعالى، وأعجبني صلاح الرجل ودينه وإخلاصه، اللهم اجعلني من الصالحين.

جامع زيد بن ثابت

خرجت إلى جامع زيد بن ثابت رضي الله في الساعة السابعة إلا الربع مشياً على القدمين، لأنني لم أقم بأي رياضة بدنية منذ أن قدمت هنا إلا المشي، وأرى الناس هنا لا يحبون المشي، وصلت إلى الجامع قبيل المغرب، ولقيت على الباب الأخ محمداً الشعار، فدخلنا في المسجد، وتوضأنا، وبدأنا نتحدث إذ دخل الأخ عمر الشوقاتي مع ابنه، وسلّم بعضنا على بعض، وبعد الصلاة رأينا الأخ محمد وائل كذلك.

ثم اتجهنا إلى منزل الأخ الشوقاتي، ورأينا عنده صوراً لمخطوطات كثيرة تتعلق بالإسناد والرواية، واخترنا منها ما يهمننا للتصوير، كما أن الأخ الشوقاتي أهدى إليّ بعض أعماله عن النساء الراويات.

مسجد التيروزي

وصلينا العشاء في المسجد التيروزي عند بيت الأخ النشوفاتي، وهو مسجد قديم، وفيه ضريح الأمير خليل التيروزي حاحب الحجاب سنة ٨٢٥هـ، وبجانبه ضريح زوجته سنة ٨٢٥هـ، وبعد العشاء رجعنا إلى منزل الأخ النشوفاتي. فأرانا صور كثير من المخطوطات.

* * * *

الكتب النادرة في مسجدينا

٨ رجب يوم السبت

درس عن تاريخ القرآن الكريم والنظام فيه

اليوم كان لي درس في الساعة السادسة والنصف في منزلي لبناني وبعض الطالبات من أمريكا وبريطانيا وغيرهن، وكان موضوع الدرس تاريخ القرآن الكريم، والنظام فيه، واستمر الدرس نحو ساعة، ونيتي أن ألقى الدرس كل يوم في الصباح حول موضوع من التفسير والحديث والفقه، ورأيت في الطالبات رغبة كثيرة، كما كانت لهن أسئلة تدل على الفهم والمعرفة.

الفرق بين الدين والرأي

ثم زارني في الساعة التاسعة طلاب من إنكلترا يدرسون اللغة العربية والفقه والحديث في دمشق، وكان الحديث معهم حول الفقه ومذاهبه، فتحدثت معهم عن الفرق بين الدين والرأي، وأن مذاهب الفقهاء هي آراؤهم، تدل على المرونة التي جعلها الله في فروع الدين، وأئمتنا وفقهاؤنا كانوا على معرفة تامة بمدى الفرق بين الأمرين فمع اختلافهم كانوا يتبادلون بينهم الاحترام والمحبة، وذكرت بعض القصص في ذلك.

السيد محمد الفاتح الكتاني

ثم شرفني بالزيارة الشيخ أبو الهدى اليعقوبي، فخرجت معه لزيارة السيد محمد الفاتح بن محمد مكي بن محمد بن جعفر الكتاني. مولده سنة ١٩٢٢م، وله إجازة من والده، ومن الشيخ زين العابدين التونسي في البخاري خاصة، والسيد أحمد الشريف

السنوسي، والسيد بدر الدين الحسني. ولا شك أن له شيوخاً آخرين ممن أجازوا السيد محمد مكي الكتاني وأولاده.

والشيخ بابه مفتوح للزائرين، يقصدونه للتبرك به والدعاء، وسمعته يقول: من عرف نفسه لا يضره ما يقول الناس. ورآني الشيخ أقيّد كلامه، ففرح بذلك، وقال: نهنتك على هذا الأسلوب الحسن، ثم تناولنا عنده الشاي الأخضر.

السماع والإجازة

سمعت على الشيخ الحديث المسلسل بالأولية بقراءة الشيخ اليعقوبي، برواته عن والده محمد مكي الكتاني، وأجاز السيد محمد الفاتح الكتاني إجازة عامة لي ولأولادي ولمن شئت، فأنا بني ووكلني في الإجازة، فأجزت بهذا التوكيل أخي محمد مزمل الندوي، وأخواتي أسماء، وعاصمة، وصائمة، وصديقنا الفاضل المفتي محمد إبراهيم المدرس في دار العلوم بري، إنكلترا.

والشيخ الكتاني يتذكر السيد بدر الدين الحسني، وأنه وضع يده على رأسه، كما أن الشيخ خدم أمين سويد الدمشقي، ولكن لم يتذكر إجازة منه لنفسه. وذكر السيد محمد الفاتح أن جمال عبد الناصر عاهد على يد والده أن يحارب الشيوعية والكفر، ولكنه نكث العهد.

والشيخ قد بلغ من العمر فوق الثمانين، ومع ذلك فهو متمتع بحواسه مع القوة في الجسم.

أخبرنا السيد محمد الفاتح الكتاني وجماعة، قالوا: أخبرنا المحدث الأكبر العلامة بدر الدين الحسني، أنا إبراهيم السقا، أنا ثعيلب بن سالم الفشني، أنا الشهاب أحمد بن عبد الفتاح الملوي، أنا عبد الله بن سالم البصري، أنا محمد بن علاء الدين

البابلي، أنا سالم بن محمد السنهوري، أنا النجم الغيطي، أنا زكريا الأنصاري، أنا الحافظ ابن حجر، أنا أبو إسحاق التنوخي، أنا الحافظ المتقن أبو الحجاج المزي، أنا أبو الفضل أحمد بن هبة الله بن أحمد، قال: أنبأنا أبو روح عبد المعز بن محمد الهروي، قال: أخبرنا أبو القاسم تميم بن أبي سعيد الجرجاني، قال: أخبرنا أبو سعيد الكنجروذي، قال: أخبرنا أبو عمرو بن حمدان، قال: أخبرنا أبو يعلى الموصلي، قال: حدثنا عبد الله بن معاوية القرشي، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن خالد الحذاء، عن عبد الله بن شقيق، عن عبد الله بن سراقه، عن أبي عبيدة قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إنه لم يكن نبي بعد نوح إلا وقد أُنذر قومه الدجال، وإنِّي أُنذركموه»، فوصفه لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «لعله سيدركه بعض من رآني وسمع كلامي»، قالوا: يا رسول الله، فكيف قلوبنا يومئذ أمثلها اليوم، قال: «أو خير».

قال المزي: رواه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عن حماد، فوقع لنا بدلاً عالياً، ورواه الترمذي عن عبد الله بن معاوية، فوافقناه فيه بعلو، وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث خالد.

المدرسة الماردانية

ثم رجعنا من عند الشيخ، وسألني الشيخ اليعقوبي أن أحضر اليوم وليمة زواجه الثاني قبيل المغرب، ودخلت المنزل وتغديت واسترحت قليلاً، ثم خرجت في الساعة الثانية إلى جامع الجسر الأبيض، فإن أمامه بيتاً يقال إن فيه الجن، فلم يسكنه أحد منذ ما يزيد على عشرين عاماً، وزرت المسجد والمكتوب عليه: المدرسة الماردانية بناها زوجة الملك الأيوبي ٦١٠ هـ. ثم شاهدت البيت من الخارج، وهو بناء حجري كبير وله حديقة، فإليته تيسر لنا اشتراؤه.

وليمة الشيخ يعقوبي

حفل الفرح للشيخ أبي الهدى يعقوبي أقيم في مزرعة إحسان النحاس، شارع الزهراء يعفور، فوصلت إليها قبل الساعة السابعة، واستقبلني الشيخ أبو الهدى يعقوبي، ووالد زوجته الحاج غسان عبيد من آل أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، وتم التعارف بين الحضور ووجهوا إليَّ أسئلة عن وضع الإسلام والمسلمين في بريطانيا والهند، وهناك أُخبرْتُ أن الحكومة البريطانية قد طالبت باكستان بإغلاق لبعض المدارس الإسلامية، وطرد جميع الطلاب الأجانب من باكستان، فيا لصغف الإسلام والمسلمين.

بعد المغرب تعشنا، ثم قام المنشدون بإنشاد المديح النبوي، ومما أعجبني في بلاد الشام أن حفلات أفراحهم وعزائهم ليست إلا عبارة عن تلاوة القرآن الكريم وإنشاد المدائح النبوية، فليس فيهما تلك المنكرات من خلط الرجال والنساء، والأغاني المحرمة والسفور، وكان رئيس المنشدين في هذا الحفل هو الأستاذ عبد الوهاب أبو حرب، رجل كبير السن، وهو آخر من تبقى من قدامى المنشدين في هذا البلد، وصوته رائع جدًا.

وشرف الحفل بالحضور شيخنا الدكتور سعيد رمضان البوطي، فسَلِّمْتُ عليه، وذكرته بصحبتني له في أوكسفورد فعرفني، وألقى كلمة بليغة، كما دعيت أنا إلى إلقاء كلمة، وتضمنت كلمتي تعريفي على الشيخ يعقوبي، وإسهاماته الدعوية والعلمية في بلاد أوروبا وأمريكا، ثم ذكرت كيف أن الله تعالى فضّل العرب على غيرهم، وأن العالم في حاجة إلى أن ينتبه العرب، وليقودوا العالم من جديد قيادة عادلة رشيدة، وأخيرًا ألقى الشيخ يعقوبي كلمة حماسية مؤثرة في النفوس، وممن تشرفت بلقائه في هذا الحفل الدكتور عبد الله رابع، والشيخ محمد نهاد الغزي سليل النجم الغزي.

ولقد سررت كثيرًا في هذه المناسبة بلقاء شيخنا الدكتور سعيد رمضان البوطي، وأخبرنا أنه سيسافر إلى ماليزيا، فلم أر فرصة للقائه مرة أخرى، وتأسفت على ذلك.

وهو الشيخ الصالح العلامة الكبير محمد سعيد رمضان البوطي ولد سنة ثمان وأربعين وثلاثمئة وألف تقريبًا في قرية جيلكا، تابعة لجزيرة بوطان، وهي جزيرة ابن عمر، ثم هاجر به أبوه وهو ابن أربع سنوات إلى دمشق واستوطنها، وقرأ على والده، وأجاز له.

زارنا الشيخ في مدينة أوكسفورد في السابع عشر من رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمئة وألف، وقابلته في اليوم التالي يوم الجمعة، فتحدثت معه عن الحركات الإسلامية ومجالاتها في السياسة، وأثنى الشيخ خلال حديثه على الفكر المعتدل الذي يتصف به سماحة شيخنا الجليل السيد أبي الحسن الندوي.

ولما سألت الشيخ عن قول سيد قطب الشهيد رحمه الله: «الحاكمية أخص خصائص الألوهية»، فكأنه كره هذا التعبير، ثم ذكرت له استفادتي من الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى، فأثنى عليه خيرًا، وذكر صداقته معه.

ألقي الشيخ في يوم السبت تاسع عشر رمضان محاضرة بعنوان «حجية السنة أول ثمرة لحجية القرآن»، أكد فيه أن السنة والقرآن يصدران من مشكاة واحدة، وقال: إن مصادر الشريعة الإسلامية ليست في حقيقتها إلا فروعًا لأصل واحد، ألا وهو القرآن، وذكر لنا بعض الأحاديث، منها حديث: «لقد تركت فيكم أمرين ما إن تمسكن بهما لن تضلوا بعدهما»، الحديث، وحديث: «يوشك رجل متكئ على أريكته» الحديث، أبو داود والترمذي، وذكر أن

العصمة تنقسم إلى قسمين: العصمة من الذنوب، والعصمة من الخطأ في الاجتهاد، أجمع العلماء على أن العصمة من الذنوب ثابتة للنبي ﷺ، وأما اجتهاده فقد كان يخطئ أحياناً، ولكن الوحي كان ينزل لتصحيح اجتهاده، فاجتهاده في حق الأمة لا يحتمل الخطأ، يجب عليهم أن يعملوا به.

وقبل الإفطار بقليل في التاسع عشر من رمضان كتب لي إجازة، نصّها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد فقد أجازني والذي الشيخ ملاً رمضان البوطي رحمه الله بتدريس علوم الشريعة الإسلامية، والك تابة فيها، كما قد أجازته شيوخه بذلك إجازة موصولة إلى سيّدنا رسول الله ﷺ، ولما تعرّفت على الأخ الفاضل الشيخ محمد أكرم الندوي، وعلمت مدى اهتماماته بالحديث النبوي الشريف، ودراسته له ولعلومه على الشيوخ الأجلّاء المشهود لهم بالعلم والدراية، فقد أجزته، وأنا العبد الفقير محمد سعيد رمضان البوطي، بما أجازني به والذي، لا سيما في خدمة الحديث الشريف وتدريسه، أسأل الله تعالى أن ينفع به وبعلمه، وأن يرزقه ويرزقنا الإخلاص لوجهه. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

محمد سعيد رمضان البوطي، أوكسفورد.

وبعد الإفطار جرى بعض الحديث عني، فقال الشيخ: «الأستاذ محمد أكرم الندوي بركة أوكسفورد»، ثم تحدث معي وانبسط بي ودعا لي بالخير والبركة، ولما ذكرته عن عملي «المحدثات» ﷺ أعجب به كثيراً، وقال: إنه سيقدم للكتاب، ويستفيد منه، وأهدى إليّ كتابه «هذا والذي».

٩ رجب يوم الأحد

اتصل بي صباح اليوم في الساعة الخامسة أحد تلامذة الشيخ محمد معتز السبيني، وأخبرني أنهم خارجون بعد ساعة إلى نوى حيث يقرؤون الأربعين النووية ويرجعون حوالي الساعة العاشرة، وألح عليّ في ذلك. ولكنني اعتذرت لأنني سوف أدرّس الطالبات في الساعة السابعة.

حضرت الطالبات في الساعة السابعة، وتابعتُ الحديث عن النظام في القرآن الكريم، وبعض علومه مع أمثلة كثيرة، وأراهن استفدن من الدرس.

الأستاذ صلاح الدين كفتارو

اتصل بي الأخ منتظر في الصباح وأخبرني أن لي موعدًا مع الأستاذ صلاح الدين كفتارو في معهد أبي النور بعد الظهر، فاتصلت بالأخ وائل الحنبلي لأنه كذلك أراد أن يصحبني في هذه الزيارة، ووصلنا إلى جامع أبي النور عند صلاة الظهر، وبعد صلاة الظهر اجتمعنا بالأستاذ كفتارو في مكتبه الكبير، وذكر أنه عاد قريبًا من زيارة البوسنة وبعض دول روسيا، وذكر ما أصاب البوسنة من خراب ودمار في مبانيها ولا سيما مساجدها، وكم قتل فيها من المسلمين، وأن عدد المساجد التي هدمت فيها بلغ عددها ثمانمئة مسجد، بينما لم يحاول المسلمون هدم أي كنيسة، وأنه رأى في مكان مكتوبًا بالحروف اللاتينية «باقية» فسألهم عن معنى ذلك، فقالوا: إن السلطان محمد الفاتح لما افتتح البوسنة بقي فيها ثلاث ليال، ورأى النبي ﷺ في المنام فسأله هل تبقى هذه البلاد الجديدة تحت حكم المسلمين، فقال: تبقى، فسميت باقية.

وتحدث الشيخ عن بناء مجمع أبي النور ووالده شيخ الطريقة النقشبندية الشيخ أحمد كفتارو، وجده الشيخ أمين كفتارو، ثم شاهدنا فيديو عن المجمع، وبعد ذلك زرنا أضرحة الشيخ أحمد كفتارو وأمين كفتارو وغيرهما، وقرأنا الفاتحة.

ولد الشيخ أحمد كفتارو بن الشيخ أمين كفتارو بدمشق سنة ١٣٣٠ هـ، أخذ عن والده، وعن الشيخ أبي الخير الميداني، والشيخ إبراهيم الغلاييني، والشيخ محمد الحلواني، والشيخ محمد الملكاني، وجماعة. وعين مفتيًا عامًا لسوريا سنة ١٩٦٤ م، وعمل رئيسًا لمجمع أبي النور الإسلامي منذ تأسيسه عام ١٩٧٤ م.

المسند المعمر محمد بن عبد الرزاق الخطيب

اليوم بعد صلاة العصر لنا موعد لزيارة الشيخ المعمر المسند محمد بن عبد الرزاق الخطيب وهو ساكن في المزة، فوصلت إلى منزله في الساعة الخامسة والنصف تقريبًا، ونحن أربعة أنا والأخ محمد وائل، وصاحبنا محمد الشعار، والأخ عبد العزيز عبد الرحمن الحجار، دخلنا على رجل لم نر أكبر منه سنًا في حياتنا، سلّمنا عليه وسمعناه يدعو الله سبحانه وتعالى، ومما قيدت عندي من كلماته: سبحان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله. يا حيّ، يا قيّوم، قال: أسأل الله أن يثبتنا على الإيمان، اللهم ثبتنا على الدين.

سماع عليه وإجازة

واستجازه الأخ وائل لنا، فقال: أجزاكم بما أجازنا به أبو النصر الخطيب، ثم سمعنا عليه من جزء ابن عرفة حديث آتي يوم القيامة (لعله الحديث الأول) إلى قول: أن يختلفوا على أبي بكر الصديق، ومن آخر الجزء: واصفياه إلى آخر الجزء، ثم أجاز المذكورين في الاستدعاء الذي عمله الأخ وائل، وقال: أجزتهم بما أجازني المرحوم

الشيخ أبو النصر الخطيب، وفيه الإجازة لأزواجنا وأولادنا، فشملت الإجازة لبناتي حسنى وسمية وهالة ومريم وفاطمة وعائشة، وهو علو كبير لهن، فإن عائشة كانت بنت سنة ونصف عند هذه الإجازة، وأدعو الله تعالى أن يبارك لها ولأخواتها في العلم والحياة، فيحصل للآخذين عنهن علو كبير.

وسمعناه يقول: لا أعذب بالنار وأنت أرحم الراحمين. ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. وتحققنا منه مولده فقال: ولد في العشرين من شوال سنة عشرين وثلاثمائة وألف، وأبوه عبد الرزاق له إجازة من الشيخ أبي الخير الخطيب، وتناولنا عنده القهوة، والرجل ضعيف جداً، وسمعناه يقول: سبحانك ربي. سبحانك، ما أعظم شأنك.

ثم سمعنا عليه من جزء ابن الغطريف حديث ٨٩ إلى آخره. ورأينا المصحف الذي يقرأ منه الشيخ، وهو مصحف والده، مصحف كبير، كتبه بخطه محمد رشيد بن عبد الرزاق الألسي الحسيني في ٢٢ شوال ١٣٣٢ هـ، وخرجنا من عند الشيخ ونحن شاكرون الله وحامدون له.

التصويب لرواية الخطيب

إن رواية شيخنا محمد بن عبد الرزاق الخطيب المولود سنة عشرين وثلاثمائة وألف عن أبي النصر الخطيب المتوفى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف، وقد مضى على وفاة أبي النصر أكثر من مئة عام لمن أعلى الروايات، ولم يحصل مثل ذلك على وجه ثابت إلا لعدد قليل جداً من المسندين، وأشهرهم أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار، سمع من أبي عبد الله الحسين بن المبارك الزبيدي صحيح البخاري سنة ثلاثين وستمائة، وآخر ما حدث به عنه هو سنة ثلاثين وسبعمائة، فبين سماعه وإسماعه مئة سنة.

ولقد رأيت بعض الناس يطعنون في الرواية عن محمد بن عبد الرزاق الخطيب، كما طعن بعض من كان قبلهم في سماع الحجار من الزبيدي، فألف الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي رسالته الشهيرة «الانتصار للحجار»، دافع فيها عن الحجار دفاعاً قوياً، فإنه اطلع على الأصل الذي عليه أسماء بعض من سمع صحيح البخاري على الزبيدي بالجامع المظفري بسفح جبل قاسيون، وابتداء القراءة كان عليه في أواخر شوال سنة ثلاثين وستمئة، وآخرها عاشر ذي القعدة من السنة، وذلك في اثنين وعشرين مجلساً، ووجد اسم أحمد بن أبي طالب من بين من سمع الصحيح كاملة من دون فوت، الأمر الذي يؤكد صحة سماع الحجار، ثم استظهر بنصوص الأئمة المعاصرين للحجار ومن بعدهم على صحة سماعه وروايته، وهنا أنقل أحد هذه النصوص.

قال ابن ناصر الدين: وقال الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي العاقولي - قدم علينا دمشق قبل الفتنة - في كتابه «الدراية في معرفة الرواية» في ترجمة الشيخ الثالث والخمسين من مشايخه حين ذكر بعض ترجمة الحجار وذكر سماعه من ابن الزبيدي لجميع الصحيح فقال: ثابت لا شك فيه ولا امتراء.

وذلك في سنة ثلاثين وستمئة بجامع الصالحية بسفح قاسيون ظاهر دمشق، والعبرة في ذلك بقول الحفاظ المنزهين عن الأهواء والأغراض، وقد سمع عليه البخاري بسنده هذا جماعة منهم وحققوه، فلا عبرة بقول بعض أهل هذه البلاد في خطبة مشيخته تعريضاً به: «وفي سماعه بحوث وأنظار»، لأن قوله ذا ناشئ عن غرض بين لا خفاء فيه عند محقق، وهو طلبه لما زعم من انحصار الرواية في الشيخ رشيد الدين وطبقته أنهم انقضوا لثلاثين شاركه في علو روايته عنهم من سمعه من الحجار بعد وفاة الشيخ رشيد الدين بعشرين سنة، وهذا من المقاصد الواجب تجنبها على كل

مسلم والتحرز عن مثل ذلك في باب الرواية، فإنه من الآفات التي يجب التنبيه لها والتبري عنها، وأي بحث ونظر فيما حققه الحفاظ العارفون وأخبروا به^(١).

والآن أتحدث عن صحة إجازة أبي النصر الخطيب لشيخنا محمد بن عبد الرزاق، ثم تلقيه هذه الإجازة والرواية بها:

حصلت لشيخنا إجازتان من أبي النصر، إجازة عامة وإجازة خاصة، فأما الأولى فقد اتفق المترجمون لأبي النصر الخطيب أنه أجاز إجازة عامة لأهل عصره، وروى عنه بهذه الإجازة عدد كبير من العلماء، يقول العلامة عبد الستار الدهلوي في ترجمة أبي النصر الخطيب: وإن المترجم شيخنا السيد أبا النصر قد أجاز آل السيد الحبشي لاسيما السيد حسين الحبشي وأولاده وأولاد أولادهم الموجودين ومن لم يوجد وكل من كان موجودًا في مجلس السيد عمر شطا في بيته، ومرة أخرى أجاز كل من حضر في مجلس السيد حسين الحبشي في ٢٤ محرم الحرام سنة ١٣٢٠.

ثم قال بعد ذلك: وإني أجزت أيضًا من أدرك حياتي والمسلمين على مذهب من يرى ذلك من أئمة الحديث من المتقدمين والمتأخرين، وقد جرى العمل فيما بينهم.

قال القاضي عياض: وذهب جماعة من مشايخ الحديث إلى الإجازة للمسلمين من وجد منهم ومن لم يوجد، وذكر الحافظ السخاوي أن النووي استعملها، فإنه رأى بخطه في بعض تصانيفه: وأجزت روايته لجميع المسلمين، حتى إنه لكثرة من جوزها أفردهم الحافظ أبو جعفر محمد بن الحسيني البغدادي بمصنف رتبهم فيه على حروف المعجم، وكذا جمعهم الحافظ أبو رشيد الغزالي في كتاب سماه «الجمع المبارك».

ومن فروع هذه المسألة ما نقل من الحافظ مغلطاي وتلميذه الحافظ زين الدين

(١) مجموع فيه رسائل الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي (ص ٤٠٩).

العراقي وابن حجر العسقلاني المصري وزكريا الأنصاري وابن حجر المكي من جواز الإجازة لفلان ولمن سيولد له من ذريته تبعًا، وإنه يجوز العمل بها عملاً وأداءً وأخذًا.

وقد استعمل أيضًا جماعة من علماء الحديث الإجازة لمن أدرك حياته، منهم العلامة عبد الله بن سليمان الجرهمي، والسيد سليمان بن يحيى الأهدل، فإنه أجاز في ١١٩٤ لمن أدرك حياته، وابنه مفتي زبيد السيد عبد الرحمن الأهدل في النفس اليماني، والعلامة محمد بن محمد الجزري في آخر الحصن الحصين، والشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي، والشيخ مصطفى الرحمتي المتوفى سنة ١٢٠٥، فإنه أجاز لمن أدرك جزءًا من حياته، والشهاب أحمد العطار، والشيخ عابد بن أحمد علي السندي في آخر حصر الشارد، ثم شيخنا الشيخ عبد الرحمن الكزبري كما ذكرنا عنه، والله أعلم^(١).

ويقول العلامة أبو بكر بن أحمد بن حسين بن محمد بن حسين الحبشي (١٣٢٠ - ١٣٧٤) في ترجمة أبي النصر، وهو يروي عنه بتلك الإجازة: وقد أجاز شيخنا المترجم أهل عصره عامة كما أفاد بذلك صديقنا الشيخ العلامة محمد ياسين الفاداني المكي في «مطمح الوجدان» عن جماعة، من أجلهم شيخنا الشهاب أحمد المخللاتي الشامي ثم المكي، وكما استفاد من كلام شيخنا الشيخ عبد الله بن محمد غازي حيث جعله من شيوخه، وروى عنه بعموم إجازته لأهل عصره^(٢).

وأما الأخرى فإن أبا النصر أجاز إجازة خاصة لجميع آل الخطيب، قال السيد أبو النصر في ثبته «الكنز الفريد في علو الأسانيد»: وقد أجزت فيه وبكل ما تجوز لي روايته على وجه العموم: أولادي و... وأولاد عم أبي على العموم وأولادهم، بل وجميع

(١) مخطوطة «ترجمة أبي النصر الخطيب» للشيخ عبد الستار الدهلوي (ورقة ١٧-٧ب).

(٢) الدليل المشير (ص ٤١٣).

أهل عصري، بشرطه المعتبر عند أهل الحديث والأثر، وأوصيهم بتقوى الله تعالى^(١).

وشيخنا هو محمد بن عبد الرزاق بن محمد بن عبد الرحمن بن صالح بن عبد الرحيم. وأبو النصر بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم.

والسيد أبو النصر توفي سنة ١٣٢٤، فيكون شيخنا عبد الرزاق قد أدرك من حياة أبي النصر أربع سنوات، وكان والده يستصحبه لزيارة أبي النصر، وتلقى محمد بن عبد الرزاق هذه الإجازة، وأجاز بها.

فقد قال لنا عندما حضرنا لديه: أجزكم بما أجازنا به أبو النصر الخطيب، وكتب في توكيله لأخيना محمد وائل الحنبلي: بسم الله والحمد لله، لقد أذنت للسيد محمد وائل الحنبلي أن يجيز من يشاء عني مدة حياتي بما أجازني به العلامة ابن عمي الشيخ أبو النصر الخطيب. كاتبه محمد بن المرحوم عبد الرزاق الخطيب الحسني القادري.

تخريج حديث من طريقه

أخبرنا المسند المعمر محمد بن عبد الرزاق الخطيب والمسند المعمر محضار بن علي الحبشي، قالا: أخبرنا أبو النصر الخطيب، أنا عبد الله التلي الشامي، أنا العارف عبد الغني النابلسي، أنا نجم الدين الغزي، أنا والدي بدر الدين الغزي، أنا الإمام أبو الفتح محمد بن أبي الحسن الإسكندري، أنا عائشة بنت ابن عبد الهادي، أنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار، أنا أبو عبد الله الحسين بن المبارك الزبيدي، أنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى الهروي، ثنا الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداوودي، ثنا الحافظ أبو محمد عبد الله بن

(١) الكنز الفريد في علو الأسانيد (ق٣٦/ب)، وأرسل لي ذلك صاحبنا العلامة التقي محمد وائل

الحنبلي، فجزاه الله تعالى خيراً.

حمويه السرخسي، ثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري، قال: حدثنا الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري رحمه الله تعالى، حدثنا الحميدي عبد الله بن الزبير، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، قال: أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي، أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله على المنبر قال: سمعت رسول الله يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(١).

وقد أخبرنا بأنهم من ذلك وأعلى بدرجة المسند المعمر محمد بن عبد الرزاق الخطيب والمسند المعمر محضار بن علي الحبشي، قالوا: أخبرنا أبو النصر الخطيب، أنا عبد الله التلي الشامي، أنا العارف عبد الغني النابلسي، أنا نجم الدين الغزي، أنا والذي بدر الدين الغزي، أنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، أنا العز عبد الرحيم ابن الفرات الحنفي، أنا الصلاح ابن أبي عمر، أنا الفخر أبو الحسن علي ابن البخاري، أنا عمر بن أبي بكر الحساني، أنا هبة الله بن أبي عبد الله الكاتب، أنا محمد بن محمد بن إبراهيم الغيلاني، أنا أبو بكر الشافعي، ثنا عبد الله بن روح المدائني ومحمد بن ربح البزار، قالوا: حدثنا يزيد بن هارون، ثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن إبراهيم التيمي، أنه سمع علقمة بن وقاص يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله على المنبر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لامرئ

(١) كذا وقع في جميع أصول البخاري بحذف أحد وجهي التقسيم وهو قوله: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله النخ»، وقد ذكره البخاري من غير طريق الحميدي مستوفى، ورواه الأئبات من طريق الحميدي ومن غير طريقه تأمناً، وقد أسهب الحافظ ابن حجر وأجاد في الكلام حول اختصار البخاري للحديث، انظر: فتح الباري (١/٩١).

ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

محمد عصام الشطي

ثم زرنا الشيخ محمد عصام الدين بن محمد حسن الشطي الحنبلي. ولد في ٢٨ حزيران سنة ١٩٣١ في دمشق، قرأ متن الخرقى معظمه، والمغني، وأخذ الفقه عن والده، وذكر أنه عمره خمس وسبعون سنة، ثم رأينا عند الشيخ مخطوطة «تناظر العمال في شرح فضائل الأعمال» الشرح للسفاريني، والكتاب للضياء المقدسي، وهو في مجلدين، يتجاوز ألف صفحة، والشيخ يشتغل الآن بتحقيق هذا الشرح، وللشيخ إجازة من شيخ القراء كريم راحج في قراءة حفص عن عاصم، وأفرد القراءات العشر على الشيخ فهد خاروف صهر الشيخ كريم راحج، وقال الشيخ: الحنابلة أقرب إلى الحنفية.

الشيخ أبو الحسن الكردي

ثم اتجهت أنا والأخ محمد الشعار إلى زيارة الشيخ أبي الحسن محيي الدين بن حسن الكردي الشافعي الداري نسبة إلى تميم الداري، صلينا المغرب في جامع عبد الرحمن بن عوف الواقع في شارع خالد بن الوليد في منطقة عاتكة أم الخلفاء وفيها قبرها.

دخلنا في منزل الشيخ فقبل لنا: إنه مريض، فلا تجلسوا معه إلا لخمس دقائق، فلما دخل الشيخ رأينا وجهًا يعلوه نور وبهاء من الصلاح والتقوى، والعلم والفضل.

ولد الشيخ سنة ١٩١٢م في هذه الحارة ونشأ فيها، وختم على الشيخ محمود فايز الدير عطاني قراءة حفص عن عاصم وأجازة في القراءات العشر وأخذ عنه المقدمة

الجزرية والشاطبية، وحضر دروس الشيخ بدر الدين الحسيني العامة، وبعض الدروس الخاصة، وله منه إجازة، ولا يتذكر إذا كانت هذه الإجازة كتبت في حياة الشيخ بدر الدين أو بعد وفاته. وللشيخ أبي الحسن الكردي إجازة من الشيخ عبد الكريم الرفاعي، وأخذ الفقه الشافعي عن الشيخ صالح العقاد، وحفظ على الشيخ عز الدين العرقسوسي وهو عن الشيخ أحمد محمد دهمان، وعلى الشيخ محمد قطب عن الشيخ أحمد الحلواني الكبير.

وأخذ محمود فايز عن الشيخ محمد سليم الحلواني، وقرأ مشكاة المصابيح على الشيخ رشيد شمس، وهو عن الشيخ القاسمي.

وقرأ شيخنا على محمد بركات في جامع العنابي في باب سريجة الفقه الشافعي وشيئاً من النحو، وأخذ المنهاج ومغني المحتاج عن الشيخ صالح العقاد، وعلى حسني البغال الأزهرية وشرح قطر الندى وشرح ابن عقيل قسم النحو، وقرأ في المعقول والعقائد على الشيخ عبد الكريم الرفاعي. وعمدة السالك على الشيخ صالح العقاد ومحمد بركات، والجوهرة وشرح الجوهرة على الشيخ عبد الكريم، ولكن ليس عنده إلا إجازة الشيخ محمود فايز، وأخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ إبراهيم الغلاييني. وحضر على الشيخ أبي الخير الميداني الرحبية وشرحها في الفرائض، وأخذ الفرائض كذلك عن البغال وعبد الكريم.

إجازة

واستجزناه، فقال: أجزتكما بما أجازني الشيخ يحيى المكتبي نقلاً عن بدر الدين الحسيني، ودعائي قائلاً: زادك الله علماً على علم، وفضلاً على فضل. ثم ذكر لنا أنه أخذ عن الشيخ حسن المشاط، وأن له إجازة منه، فاستجزناه، فأجازنا إجازة عامة عن

حسن المشاط، وأخذنا عنه المسلسل بالمصافحة عن حسن المشاط، وذكر أنه قرأ سورة الفاتحة على عبد الوهاب دبس وزيت، فقرأناها عليه.

أخبرنا الشيخ الصالح المقرئ أبو الحسن الكردي وجماعة، قالوا: أخبرنا المحدث الأكبر العلامة بدر الدين الحسني، أنا إبراهيم السقا، أنا ثعلب بن سالم الفشني، أنا الشهاب أحمد بن عبد الفتاح الملوي، أنا عبد الله بن سالم البصري، أنا محمد بن علاء الدين البابلي، أنا سالم بن محمد السنهوري، أنا النجم الغيطي، أنا زكريا الأنصاري، أنا العز عبد الرحيم ابن الفرات الحنفي، أنا ابن أميلة، أنا أبو الحسن ابن البخاري، أنا حنبل، قال: أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا القطيعي، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا هشيم، عن يعلى بن عطاء، عن عبد الله بن سفيان الثقفي، عن أبيه أن رجلاً قال: يا رسول الله - وقد قال هشيم: قلت: يا رسول الله - مرني في الإسلام أمراً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قل آمنت بالله، ثم استقم»، قال: قلت فما أتقي؟ فأوماً إلى لسانه. رواه النسائي عن بNDAR عن غندر عن شعبة عن يعلى بن عطاء عن عبد الله بن سفيان عن أبيه، فوقع لنا عالياً بدرجتين.

زيارة الشيخ حسام الدين فرفور

ثم خرجنا من عنده، وكان لي موعد مع الشيخ حسام الدين فرفور، فذهبت إليه في منزله في السادات، وسياسف الليلة إلى البرازيل، ويعود إن شاء الله تعالى في السابع والعشرين من الشهر الجاري، وسيكون بيننا اجتماع آخر وإذن سأستجيزه إجازة عامة إن شاء الله تعالى، وقبل أن أخرج من عنده أهداني الجزء الأول من كتابه معجم الشعراء من تاريخ دمشق، مقروناً بالإجازة: هدية المحقق إلى أخي في الله تعالى الأستاذ المحقق الدكتور محمد أكرم الندوي، حفظه الله تعالى أهدي هذا السفر من

عملي العلمي المتواضع، وأجيز له روايته عني بشرط الإجازة المعتبر عند أهل الأثر، كما أجيز له أن يجيز به من يراه أهلاً لذلك، سائلاً المولى عز وجل أن ينفع به الأمة، كما أسأله أن لا ينساني من دعواته في ظهر الغيب.

ومعجم الشعراء هذا استخرجه شيخنا من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، وحققه، ويزدان الكتاب بتقديم من الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، يقول فيه معرفاً بعمل الأستاذ الدكتور فرفور: تطلع إلى استخراج «معجم الشعراء من تاريخ مدينة دمشق» على هدى منهج واضح دقيق، وبدأ عمله بتحقيق تراجم الشعراء الذين تبدأ أسماؤهم بأحد الأحرف الأربعة الأولى (أ-ج) (بإسقاط حرف الثاء الذي لم يبدأ به اسم لشاعر في تاريخ مدينة دمشق).

وقدّم بين يدي التحقيق دراسة تحدث فيها عن ابن عساكر وتاريخه الحديث المفصل، وكان التحقيق والدراسة هما الرسالة التي أعدها بإشرافي لينال بها درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة دمشق^(١).

والكتاب في نحو خمسمئة صفحة، النصف منه الدراسة، والنصف الآخر يحتوي على تراجم تسعة وأربعين شاعراً.



١٠ رجب يوم الاثنين

اليوم كان درسي للطالبات حول شرح الفرق بين منهج المحدثين ومنهج الفقهاء في دراسة الحديث واستمر ذلك ساعة.

وقضيت الصباح معظمه في البيت، وصليت الظهر في جامع التوبة، وهو جامع قديم بناه السلطان الملك الأشرف موسى الأيوبي سنة ٦٣٢هـ. ومقابلته المكتبة الآجرية، وفيها قبر المحدث الحنبلي صاحب التصانيف الشيخ محمد بن أبي بكر الآجري ٨٦٠هـ.

دار الكتب الظاهرية

دخلت صحبة الأخ محمد الشعار دمشق القديمة من باب الفراديس، وعلى يساره جامع السادات المجاهدين بني عام ٥٣٨هـ، وجدد عام ١٤١٩م، ثم مررنا بالمدرسة الناصرية والتي بناها السلطان الملك الناصر الأيوبي سنة ٦٥٣هـ، ثم زرنا دار الكتب الظاهرية، وتصفحنا فيها الكتب، ولم نر عناية بها تستحقها، وإنه لمن المأساة أن يضيع هذا الكنز، ثم أمرت لنفسي بتصوير بعض الأجزاء الحديثة، ثم خرجنا منها.

الشيخ عمر الصباغ

ثم دخلنا في المدرسة البادرية التي بناها قاضي القضاة نجم الدين البادراني سنة ٦٥٥هـ ولقينا فيها الشيخ عمر بن عبد الكريم الصباغ الحموي الحنفي الذي يدرس ويقيم فيها، فتحدث معنا عن علاقته بجماعة الدعوة والتبليغ، وإعجابه بالشيخ موسى الهندي الذي زارهم في بيروت وهو خارج في سبيل الدعوة.

وأملى الشيخ عليّ تفاصيل مقروءاته، منها على الشيخ أبي اليسر ابن عابدين بعض هداية الفقه، ومغني اللبيب، والتلويح، وعلى الشيخ صالح فرفور بعض حاشية ابن عابدين، وعلى الشيخ عبد الرزاق الحلبي، والشيخ أديب الكلاس، وقرأ على الشيخ محمود يعبون الرنكوسي كثيرًا، ولعله من أخص تلاميذه، فقرأ عليه نور الإيضاح، وصحيح البخاري كاملاً، واليوافيت والجواهر للشعراني، ولطائف المنن للشعراني والكبريت الأحمر للشعراني، والعهود المحمدية للشعراني، وشرح الفقه الأكبر للملا علي القاري، وزاد المعاد لابن القيم، وفقه السنة للسيد سابق كاملاً، وغير ذلك، وأجازة عامة، كما ناوله الشيخ محمد الحامد الحموي بعض مؤلفاته وأجازة بها. ثم أجاز الشيخ لنا إجازة عامة، وأعطانا إجازته المطبوعة الكبيرة موقعاً ومختوماً عليها، ثم استأذناه.

أخبرنا الشيخ عمر بن عبد الكريم الصباغ، أنا أبو اليسر ابن عابدين، أنا أبي محمد أبو الخير ابن عابدين، أنا أبي أحمد بن عبد الغني ابن عابدين، أنا عمي محمد أمين ابن عابدين، أنا هبة الله بن محمد البعلي، أنا أحمد بن عبد الفتاح الملوي بإسناده إلى الحافظ ابن حجر، أنا أبو إسحاق التنوخي، أنا أبو الحجاج المزي، أخبرنا أبو الفرج ابن قدامة وأبو الحسن ابن البخاري وأبو الغنائم ابن علان وأحمد بن شيبان، قالوا: أخبرنا حنبل بن عبد الله، قال: أخبرنا أبو القاسم ابن الحصين، قال: أخبرنا أبو علي ابن المذهب، قال: أخبرنا أبو بكر ابن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا يحيى، عن أبي حذرة، قال: حدثني عبد الله بن محمد، قال: سمعت عائشة تقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لا يصلي بحضرة الطعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان». قال المزي: رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل، فوافقناه فيه بعلو.

دار الحديث الأشرفية

وبعد ذلك زرنا دار الحديث الأشرفية التي درّس فيها الإمام النووي وغيره، وآخر من عرف بالتدريس بها هو الشيخ بدر الدين الحسني، وصلينا العصر في جامعها.

الشيخ محمد عربي الدُّغلي

ثم خرجنا إلى جامع عبد الرحمن بن عوف حيث التقينا بالأخ وائل الحنبلي، قصدنا نحن الثلاثة منزل الشيخ أبي الحسن الكردي لنقرأ عليه المقدمة الجزرية على غير موعد منه، فلما وصلنا إلى بيته قيل لنا: إنه خارج بيته، فأشار علينا الأخ وائل بأن نزور الشيخ محمد عربي الدُّغلي، فركبنا سيارة إلى منزله في حي المدارس في الصالحية، ونزلنا عند المدرسة الأتابكية، وبيته في الجنوب الغربي من المدرسة.

هو الشيخ العالم الزاهد محمد عربي بن محمد بن سعيد بن طالب بن عبد الكريم الدُّغلي الدمشقي الصالحي. ولد بدمشق الشام سنة ١٩٢٠م بمنطقة الصالحية. حفظ القرآن الكريم على الشيخة خديجة الكلاس في المدرسة التي سميت باسمها، ثم انتقل إلى المدرسة التجارية العلمية في سوق الحميدية التي كان يتواجد فيها الكثير من العلماء، واشتغل بعمل حذاء، ثم تزوج وعمره لما يتجاوز السابعة عشر.

ومن المشايخ الذين درس عليهم: الشيخ محمد الهاشمي، وحج معه سنة ١٩٤٢م، والشيخ راشد القوتلي قرأ عليه الفقه، والشيخ سعيد البرهاني، والشيخ المكي الكتاني، وحضر بعض دروسه، والشيخ عبد الرحمن الشاغوري، والشيخ محمد صالح الخطيب وقد أجازته إجازة عامة، والشيخ نايف العباس وقرأ عليه عدة كتب: كتفسير الخازن وتفسير ابن كثير والموطأ كاملاً، والشيخ صالح العقاد،

والشيخ تولى الإمامة في عدد من المساجد كمسجد الشركسية، ومسجد الأتابكية، ومسجد الجراح، ومسجد العدس وغيره، والشيخ علامة زاهد متواضع. أخذ عنه العدد الكثير من الطلاب سماع وإجازة.

دخلنا عليه، وسمعنا منه المسلسل بالأولية، ورواه بالجزم والرفع، وسمعنا عليه المسلسل بالدمشقيين بقراءة وائل، عن صالح الخطيب، ثم قرأ عليه الأخ الشاعر رباعبات الطبراني، ورأينا إجازة الشيخ محمد صالح الخطيب لمحمد عربي الدغلي في (موجز ثبت الدرر الغالية في رواية الأسانيد الدمشقية العالية وأثبت بعض الأحاديث والمسلسلات المتصلة بالعلماء والمحدثين الثقات) لمحمد صالح بن أحمد الخطيب القادري الحسني الدمشقي، وأجاز لنا ولأولادنا إجازة عامة، وهذا نص إجازته:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين وآل كل وصحب كل أجمعين. وبعد، فقد أجزت الأخ محمد بن عبد الله الشاعر والسيد الدكتور محمد أكرم الندوي وأولاده والسيد محمد وائل الحنبلي ومن سيولد لهم إلى الأبد بما أجازني به الشيخ محمد صالح بن أحمد الخطيب في ثبته الدرر الغالية بالأسانيد الدمشقية العالية، والعهد بيننا الناجي يأخذ بيد أخيه يوم القيامة، والحمد لله رب العالمين.

أخبرنا الشيخ محمد عربي الدغلي، أنا الشيخ محمد صالح الخطيب، أنا محمد هاشم الخطيب، أنا أبو النصر الخطيب، أنا عبد الرحمن الكزبري، أنا مصطفى الرحمتي، أنا عبد الغني النابلسي، أنا نجم الدين الغزي، أنا بدر الدين الغزي، أنا زكريا الأنصاري، أنا العز عبد الرحيم ابن الفرات الحنفي، أنا الصلاح ابن أبي عمر

المقدسي، أنا أبو الحسن ابن البخاري قال: أخبرنا أبو حفص ابن طبرزد، قال: أخبرنا القاضي أبو بكر الأنصاري، قال: أخبرنا أبو القاسم عمر بن الحسين بن إبراهيم الخفاف، قال: أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن علي بن الزيات، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن ناجية، قال: حدثنا أزهر بن مروان الرقاشي فريخ، قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: حدثنا محمد بن جحادة، عن حميد الشامي، عن سليمان المنبهي، عن ثوبان قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم أول من يدخل عليه فاطمة، وآخر عهده بإنسان فاطمة، فقدم من سفرة له أو من غزاة وقد حلت الحسن والحسين قليين من فضة وعلقت سترًا على بابها، فقدم رسول الله ﷺ فلما رأى السترجع، فنزعت فاطمة الست وفكت القليين عن الصبيين فقطعته ودفعته إليهما، فانطلقا إلى رسول الله ﷺ وهما يبكيان، فأخذه رسول الله ﷺ وقال: «يا ثوبان، انطلق بهذا إلى آل فلان» أهل بيت بالمدينة، وقال: «إن هؤلاء يكرهون أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا، يا ثوبان اشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج».

رواه أبو داود عن مسدد عن عبد الوارث نحوه، فوقع لنا عاليًا، ورواه ابن ماجه عن أزهر بن مروان فوافقناه فيه بعلو.

جامع الشيخ محيي الدين ابن العربي

ثم دخلنا جامع الشيخ محيي الدين ابن العربي، وهذه زيارتي الثانية للجامع، لما جاء الشيخ محيي الدين إلى الشام أراد أن يسكن في مكان لا يعرفه فيه أحد، فجاء إلى هذا السفح من جبل قاسيون، وسكن في هذه المحلة الغير المأهولة، فالحمد لله سبحانه وتعالى أحياه به العباد والبلاد في حياته وبعد مماته.

وقد كتب الشيخ محيي الدين في بعض مؤلفاته: إذا دخلت السين في الشين ظهر

محيي الدين. بقيت هذه العبارة مغلقة على من يقرأها، فلما دخل السلطان سليم العثماني بلاد الشام أظهر قبر الشيخ محيي الدين وعمره، وبنى فوقه مسجدًا، وبنى مقابل المسجد تكية للفقراء والمهاجرين وأبناء السبيل، وتسمى التكية السليمية، ودرّس بها كثير من المشايخ منهم عبد الغني النابلسي، وإلى فترة قريبة في دمشق منذ حوالي خمسين عامًا كان يطعم الطعام فيها دائمًا، وقد قيّض الله سبحانه وتعالى في هذا الزمان بعض المحسنين، وأعادوا هذه التكية، كل يوم الخميس يوزع الطعام فيه للفقراء من بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس بساعات.

وأول جمعة أقيمت في جامع الشيخ محيي الدين كان خطيبها أحد القضاة من بني فرفور، وذكر الأخ وائل أنه صلى في مسجد محيي الدين إمامًا مرارًا.

ضريح الشيخ عبد الغني النابلسي

ثم مررنا بجامع الحاجبية غربي جامع عبد الغني النابلسي، وهو موقع المدرسة الحاجبية التي كانت وقفًا على السادة الحنفية، ثم زرنا ضريح الشيخ عبد الغني النابلسي، ومعه جامع كان يدرس فيه، وكانت فيه غرف للطلبة، وفي جانب من الجامع قبر والده إسماعيل بن عبد الغني النابلسي.

والأستاذ العارف الشيخ عبد الغني النابلسي هو كما ترجمه الإمام الحافظ محمد عبد الحي الكتاني: بركة الشام وعارفها وعالمها، المتوفى بدمشق سنة ١١٤٣ عن نحو التسعين. يروي عن النجم الغزي وأبي الحسن علي الشبراملسي ووالده أبي الفداء إسماعيل النابلسي وأبي المواهب الحنبلي عامة ما لهم، ويروي أيضًا عن الشيخ عبد الباقي الحنبلي وكمال الدين ابن حمزة النقيب وعبد القادر الصفوري ومحمد المحاسني وإبراهيم الفتال والشمس محمد العيثاوي وغيرهم، وتدبج مع مسند الحجاز حسن بن علي العجيمي.

له فهارس وإجازات، وإزالة الخفا عن حلية المصطفى، ورحلة طرابلس، والذهب الإبريز في الرحلة إلى بعلبك والبقاع العزيز، والحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، والحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، وذخائر الموارد في الدلالة على مواضع الأحاديث وهو أطراف للكتب السبعة أعني كتب الحديث الستة والموطأ، وذيل نفحة الريحانة للمحبي الدمشقي في الرجال، وروض الأنام في بيان الإجازة في المنام، وكنز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين، ونهاية السؤل في حلية الرسول، ورسالة في قوله عليه السلام: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً»، والأنس الوافر من قال: أنا مؤمن فهو كافر، وهذه عندي، وغير ذلك. قال عن المترجم المرادي في سلك الدرر: وهو أعظم من ترجمته علماً وولاية وزهداً وشهرة ودراية. اهـ

وأعلى ما بيننا وبينه ثلاثة، وذلك عن المسند المعمر محمد بن عبد الرزاق الخطيب والمسند المعمر محضار بن علي الحبشي، كلاهما عن الشيخ أبي النصر الخطيب، عن عبد الله التلي الشامي، عن النابلسي^(١).

الشيخ عبد اللطيف الفرفور

ثم خرجنا لزيارة الشيخ عبد اللطيف فرفور، وصلينا المغرب في جامع الأقباص. «مسجد الأقباص جدده الأمير إبراهيم بن منجك سنة ٨١١هـ»، وفي داخله غرفة فيها قبور، مكتوب على جدارها: هذا مرقد سبعة من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حجر بن عدي الكندي، وشريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العتبي، ومحرز بن شهاب السعدي، وكدام بن حيان

(١) انظر: سلك الدرر (٣/ ٣٠)، وتاريخ الجبرتي (١/ ١٥٤)، وفهرس الفهارس (٢/ ٧٥٦-٧٥٨)، وتراجم أعيان دمشق لابن شاشو (ص ٦٧).

العنزي، وعبد الرحمن حسان العنزي». وفي جانب من المسجد غرفة العلامة الدكتور محمد أبو اليسر ابن عابدين.

واستفسرنا عن الشيخ عبد اللطيف فرفور، فقليل لنا: إنه مريض، فحاولنا أن نزور غيره من المشايخ وحاولنا الاتصال بهم فلم ننجح، وأخيراً قررنا أن نرجع إلى منازلنا، وخرجت أنا مع الأخ وائل ودخلنا المكتبة الآجرية في العقبة، ورأينا الشيخ محمد نجاتي يعمور يدرس فيها التفسير، فذكر لنا تاريخ المكتبة، وأن الشيخ أبا الخير الميداني هو الذي طوّر هذا المكان إلى مكتبة، ثم رجعت إلى منزلي.



١١ رجب يوم الثلاثاء

كان درسي اليوم للطالبات حول تطور الحديث في بلاد الإسلام.

رحلة إلى حمص

وخرجت من البيت حوالي الساعة الثامنة والربع، رافقني الأخ محمد وائل الحنبلي، ومحمد الشعار، وعبد العزيز بن عبد الرحمن الحجار، واتجهنا إلى حمص للقاء بعض الشيوخ، وسمعت في الطريق على الشيخ وائل «المجلس الرابع من أمالي ابن سمعون» بحق قراءته على الشيخ محمد بن عبد الرزاق الخطيب.

وقرأنا على الأخ محمد الشعار «كتاب الوجل والتوثق بالعمل» لابن أبي الدنيا، بقراءته على بسام بن عبد الكريم الحمزاوي.

وقرأ عليّ الأخ محمد الشعار مختصر القدوري، كتاب الطهارة منه.

الشيخ محمد علي الدرة

وصلنا إلى حمص في الساعة الحادية عشرة والنصف تقريباً، وصلينا ركعتين في جامع خالد بن الوليد، وسلمنا عليه وعلى ابنه عبد الرحمن، وعلى عبيد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، وأردنا أن نزور الشيخ محمد سعيد الكحيل، فقبل لنا: إنه مسافر إلى العمرة. فخرجنا لزيارة الشيخ محمد علي الدرة الشافعي اللغوي الأديب.

ولد سنة ١٩٢٦، أخذ عن الشيخ طاهر الرئيس، ووصفي المسدي، وأحمد الكعكة. وله إجازة من الأخيرين. من مؤلفاته: فتح الكبير المتعال، وإعراب المعلقات العشر الطوال، وشرح قواعد اللغة العربية.

سماع وإجازة

سمعنا عليه كتاب «مأخذ العلم» لابن فارس، بقراءة الشيخ وائل، واستجزناه فأجازنا ولأزواجنا ولأولادنا.

أخبرنا العلامة الأديب الشيخ محمد علي الدرة قراءة عليه وأنا أسمع، أنا الشيخ وصفي المسدي بإسناده إلى الحافظ ابن حجر، أنا الحافظ برهان الدين أبو الوفاء إبراهيم بن محمد بن خليل سبط ابن العجمي الحلبي، أنا المسند صلاح الدين محمد بن التقي أحمد بن إبراهيم بن أبي عمر المقدسي سنة ٧٨٥، أنا الشيخان الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المشهور بابن الكمال والقاضي سليمان بن حمزة بن أبي عمر المقدسيان بقراءة الثاني والأول يسمع في سنة ٦٨٧ بقاسيون، قالوا: أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن رواحة الحموي، قال الأول: قراءة عليه وأنا أسمع في ٧ شهر ربيع الآخر سنة ٦١٩، وقال الثاني: إجازة، أنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم السلفي الأصبهاني رحمه الله قراءة عليه وأنا أسمع في يوم السبت ٩ شهر ربيع الآخر سنة ٥٧٤ بالإسكندرية.

قال: أنا أبو الفتح سعيد بن إبراهيم بن أحمد الصفار بأصبهان في شوال سنة إحدى وتسعين وأربعمئة، أنا أبو الحسن علي بن القاسم بن إبراهيم بن المقرئ قراءة عليه في شهر رجب سنة ٤٤٦، ثنا أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، قال: حدثنا علي بن إبراهيم القطان، عن محمد بن يزيد، ثنا نصر بن علي الجهضمي، ثنا عبد الله بن داود، عن عاصم بن رجاء بن حيوة، عن داود بن جميل، عن كثير بن قيس، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العلماء هم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

اجتماع لتربية الدعاة

ثم حضرنا اجتماعاً لتربية الدعاة في ظاهر حمص في مزرعة جميلة، حيث تغدينا، وسمعنا بعض الكلمات، ولكنها كلمات لا روح فيها ولا حياة.

وهنا التقيت بالأخ محمد عيد بن محمد وفا المنصور الذي جمع بين إفادات الدكتور نور الدين عتر والشيخ سلمان الحسني، وكذلك لقيت طالباً آخر للعلم، وكان اللقاء طيباً، وسألاني عن كتاب «العقد اللجيني» و«بغية المتابع». وصلينا هنا الظهر والعصر جمعاً وقصرًا.

الشيخ وصفي المسدي

ثم خرجنا لزيارة الشيخ وصفي المسدي في حمص، دخلنا على الشيخ وهو حافل بالحياة والقوة، وعنده دعاة.

هو الشيخ الإمام العالم الصالح وصفي بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الجليل المسدي الحمصي. ولد بـحمص يوم الجمعة بعد العصر ثاني عشري شوال عام ١٣٣٥ هـ، لأب من العلماء وأم من آل الجندي العباسيين، ونشأ عند والده فتعلم عليه القراءة والكتابة ومبادئ من الحساب، وقرأ عليه القرآن، وكان والده صاحب كتاب في حمص، وإمام جامع القاسمي ومدرسه، وبعد أن تخرج المسدي من المدرسة الابتدائية انتمى إلى المدرسة الإسلامية الوقفية التابعة لمديرية الأوقاف «الثانوية الشرعية الآن»، والتي كان يديرها الشيخ زاهد بن عبد الستار الأتاسي، وطلب العلم فيها مدة ست سنوات، فدرس على الشيخ زاهد الأتاسي أصول الفقه الحنفي، وقرأ عليه كتاب نور الإيضاح ومتن القدوري وكتاب الكامل للمبرد.

ومن شيوخه: الشيخ محمد الياسين بسمار، والشيخ أنيس الكلايب، والشيخ محمد علي عيون السود، والشيخ أحمد صافي، فقرأ على الأخير تفسير البضاوي، والشيخ عبد القادر الخجا، والشيخ توفيق الأتاسي، قرأ عليه حاشية ابن عابدين، والشيخ نجم الدين الأتاسي، قرأ عليه كتاب ملتقى الأبحر، والشيخ تقي الدين الأتاسي، والشيخ أبو السعود الأتاسي، والشيخ إبراهيم الأتاسي. وأتقن الخط على الشيخ سليم صافي.

وله إجازة عامة من الشيخ المحدث العلامة المؤرخ محمد العربي التباني بن الحسين الحسني الإدريسي الواحدي (ت ١٣٩٠هـ)، والشيخ محمد يوسف البنوري (ت ١٣٩٧هـ)، والشيخ عبد المحسن الأسطواني (١٢٧٥ - ١٣٨٣هـ)، والشيخ نعيم النعيمي رحمه الله تعالى.

وبعد أن تخرج من المدرسة الشرعية لازم الشيخ طاهر الأتاسي مفتي حمص وعالمها الأكبر، فقرأ عليه كتاب جمع الجوامع، وكتاب التوضيح والتلويح، وكتاب الحكم العطائية، وصار مبيّضاً لفتاويه، وظل معه حتى وافاه الأجل.

ولما توفي والده عام ١٩٣٥م تولى عنه الإمامة والتدريس في مسجد القاسمي بحمص، وكان قد تدرب على الإمامة والدرس في حياة والده، فكان يقرأ معه على الطلاب تفسير الخازن، ثم تولى الخطابة بعد ذلك في ذلك المسجد وكالة عن الأتاسية، حتى ثبت فيها دون مقابل احتساباً، ذلك أن القانون كان يقتضي ألا يتولى الشيخ أكثر من وظيفتين في آن واحد، وظل الشيخ المسدي خطيباً في المسجد حتى عام ١٩٨٠.

واشتغل بتدريس العلم، فقرأ عليه الطلاب تفسير الخازن، وتفسير الجلالين، وكتاب مراقي الفلاح، وحاشية الطحطاوي، وكتاب شرعة الإسلام في الفقه، وكتاب

الأنوار المحمدية مختصر المواهب اللدنية، كما عهد إليه التدريس في المعهد الشرعي بعد تأسيسه بحمص عام ١٩٤٦ م.

وتولى إدارته عام ١٩٤٧ م بضع سنين، وانقطع عن التدريس فيه سنوات قليلة، ثم عاد إلى التدريس فيه حتى عام ١٩٨٢ م، وبالإضافة إلى ذلك أعطي الشيخ وصفي منصب مدرس الفتوى في حمص عام ١٩٥٢ م على عهد المفتي توفيق الأناسي، وكالة عن الشيخ شاکر المصري الذي توفي ذلك العام، ثم تأصل في الوظيفة عام ١٩٥٧، وبقي فيها حتى عام ١٩٨٠ م.

وفي عام ١٩٨٠ انتقل إلى جدة، فدرس القرآن في جامعة الملك عبدالعزيز مدة ست سنوات، وألقى دروساً في السيرة النبوية كذلك على طلاب الجامعة، وتولى الخطابة وكالة في أحد المساجد في مدينة جدة، وللشيخ أباد على ترميم مسجد سيدنا خالد بن الوليد بحمص، وتجديد المعهد التابع له، كما أنه عمل على تجديد بناء مسجد المعدس عام ١٩٧٧، والذي كان ينوي النصارى ضمه إلى كنيستهم، فعمل الشيخ وصفي على هذا الجامع القديم وبناء مسجد جديد بدلاً منه فلا يقع في يد النصارى، جزاه الله كل خير، وقد سمي الجامع بعد تجديده بمسجد محمد بن مسلمة.

وفي عام ١٩٧٨ م كان له دور أساسي في تجديد بناء مسجد القاسمي كذلك، وقد صدر ثبت للشيخ منذ فترة قريبة واسمه «العرف الوردی» أعده له صاحبنا الأخ العالم محمد بن أبي بكر باذيب، وقد توقف شيخنا أمدّه الله بالعافية عن الخطابة بسبب كبر سنه، حفظه الله لنا وبارك لنا في عمره.

الكتب النادرة التي تُفَسِّحُ لأهل المعرفة

سماع وإجازة

سمع مني المسلسل بالأولية وسمعناه منه، ثم أجاز لنا ولأزواجنا وأولادنا، وسمعنا عليه الحديث الأخير من عوالي أبي حنيفة، والحديث الأول من الأربعين المختارة من حديث أبي حنيفة.

أخبرنا الشيخ وصفي المسدي، قال: أخبرنا عبد المحسن الأسطواني، أنا الحمزاوي، أنا عبد الرحمن الكزبري، أنا مصطفى الرحمتي، أنا عبد الغني النابلسي، أنا نجم الدين محمد الغزي، أنا والدي بدر الدين محمد الغزي، أنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، أنا محمد بن مقبل الحلبي، أنا الصلاح ابن أبي عمر المقدسي، أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي، أخبرنا حنبل بن عبد الله، أنبأنا هبة الله بن محمد، أنبأنا أبو علي ابن المذهب، أخبرنا أبو بكر القطيعي، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، عن شريح بن عبيد وراشد بن سعد وغيرهما قالوا: لما بلغ عمر بن الخطاب سرغ حُذِّث أن بالشام وباءً شديداً، فقال: إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حي استخلفته، فإن سألني الله عز وجل لم استخلفته على أمة محمد قلت: إني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»، قال: فأنكر القوم ذلك وقالوا: ما بال علياء قريش يعنون بني فهر، ثم قال: وإن أدركني أجلي وقد توفي أبو عبيدة أستخلف معاذ بن جبل، فإن سألني ربي قلت: إني سمعت نبيك يقول: «إنه يحشر يوم القيامة بين يدي العلماء برتوة».

سعيد الرشد الدير عطاني

خرجنا من حمص قبل المغرب، وسألنا الأخ محمد وائل أن نمر في الطريق بدير عطية، ونأخذ عن الشيخ سعيد الرشد بن محمد الدير عطاني، فقال: لا أدري أهو حي أم

قد مات. ولكنني أظهرت رغبتني في زيارته، فدخلنا في دير عطية، ووجدنا الشيخ حيًّا يرزق متمتعًا بحواسه، وهو يروي عاليًا عن عبد القادر القصاب، وقال: ما ظهرت دير عطية إلا بفضل عبد القادر القصاب، وأنشد:

قد قال عبد القادر القصاب قولاً صحيحاً كله صواب

ورأينا شهادة الشيخ سعيد الرشد وعليها توقيعات العلماء الكبار، سنة ١٣٥٦ / ١٩٢٧، وذكر لنا أن له إجازة من عبد القادر القصاب، ومحمد راغب الطباخ، ورأينا عنده رسالة وصية الإمام أبي حنيفة رحمه الله، في حجم صغير معلق عليه بحواشي.

والشيخ سعيد بن محمد المش الرشد الديرعطاني حفظه الله ولد سنة ١٩٠٧م بدير عطية التابعة لمحافظة دمشق، توفيت أمه في العام الأول على التقريب، ثم توفي أبوه وعمره سنتين، فكفلته عمته وبنات عمته إلى سن الثالثة عشر، فذهب إلى دمشق فبقي فيها سنتين، فأخذ العلم عن الشيخ هاشم الخطيب وغيره، وعين خطيباً في مسجد المناخلية.

بعدها انتقل إلى مدينة حلب، فأكمل دراسته بالمدرسة الخسروية، وتخرج منها سنة ١٩٣٧م، بعد ذلك عين إماماً وخطيباً بإحدى مساجدها، كما عين مدرساً بالمدرسة الخسروية، ثم رجع إلى بلده فعمل فيها مدرساً، وفتح المدارس وأهل كثيراً من الطلاب للخطابة والإمامة، وفي آخر الأيام عمل خطيباً وإماماً بمسجد دير عطية، كمسجد الصحابي الجليل أبي بكر الصديق ومسجد الشيخ عبد القادر القصاب.

تزوج الشيخ مرتين:

الزوجة الأولى: اسمها خديجة عاصي، تزوجها سنة ١٩٣٨م، فرزق منها بخمسة أولاد، ثلاثة ذكور أحياء، واثنين ذكر وأنثى متوفين. توفيت السيدة خديجة رحمها الله سنة ١٩٨٢م.

الزوجة الثانية: واسمها فاطمة كلكوش فقامت بخدمته خير قيام، وما زالت في خدمته إلى الآن، ولم يرزق منها بأولاد.

والشيخ سعيد حفظه الله وأمد في عمره أجازته عدد من المشايخ وأخص بالذكر الشيخ عبد القادر القصاب رحمه الله، وهو يروي عن عدد من المشايخ ومنهم: الشيخ محمد عlish، والشيخ شمس الدين محمد الأنباري، والشيخ محمد الأشموني، والشيخ عبد الرحمن الشرييني، والشيخ أحمد الشريف العدوي المالكي، والشيخ أحمد الرفاعي المالكي، والشيخين محمد وعبد الرحمن ابنا الشيخ محمد عlish، والشيخ عبد الرحمن سبط الشيخ محمد عlish، والشيخ محمد بن محمد بن عبد الله الخاني الخالدي، والشيخ بكري بن حامد العطار القادري الشافعي، والشيخ محمد بدر الدين الحسيني، والشيخ محمد بن جعفر الكتاني، والشيخ أحمد بن حسن العطاس، وشيخ شيوخه إبراهيم السقا بعد أن سمع منه الأولية ورسالة الأوائل وغيرهم.

سماع وإجازة

سمعنا عليه حديثين من أول المجلس الثامن عشر من أمالي ابن سمعون، ثم استجزناه فأجاز لنا ولأولادنا إجازة عامة.

وخرجنا من عنده، ومررنا بمدرسة عبد القادر القصاب التي فيها ضريحه، ثم رجعنا إلى دمشق، ووصلت إلى المنزل بعد الساعة العاشرة.

أخبرنا الشيخ سعيد الرشد الدير عطاني، أنا عبد القادر القصاب بإسناده إلى الحافظ ابن حجر، قال: أخبرنا أبو هريرة ابن الذهبي، قال: أخبرنا والدي الإمام شمس الدين الذهبي، أخبرنا إسحاق الأسدي، أنبأنا يوسف الحافظ، أنبأنا أحمد بن محمد، أنبأنا أبو علي المقرئ، أنبأنا أبو نعيم، حدثنا محمد بن إسحاق بن أيوب،

حدثنا إبراهيم بن سعدان، حدثنا بكر بن بكار، حدثنا عبد الحميد بن جعفر، حدثني أبي، عن سليمان بن يسار، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: كنت واقفاً مع أبي بن كعب في ظل أطم حسان والسوق سوق الفاكهة اليوم، فقال أبي: ألا ترى الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا، قلت: بلى، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «يوشك أن يحسر الفرات عن جبل من ذهب، فإذا سمع به الناس ساروا إليه فيقول من عنده: لئن تركنا الناس يأخذون منه لا يدعون منه شيئاً، فيقتل الناس من كل مئة تسعة وتسعون». أخرجه مسلم من طريق عبد الحميد.



١٢ رجب يوم الأربعاء

ألقيت الدرس اليوم حول تاريخ المؤلفات الحديثية.

قراءة على الشيخ محمد ديب الكلاس

وزرت الشيخ محمد ديب الكلاس بعد الساعة الحادية عشرة، وقرأت عليه «تحفة الفقهاء»، من خطبة الكتاب إلى قوله: «وأما سنن الوضوء فأحد وعشرون فعلاً».

أمر الدعوة والتعليم في بريطانيا

وبعد الظهر لقيت الطلاب من إنكلترا، وتحدثنا بنحو نصف ساعة عن الوضع في إنكلترا، وكيف نقوم بنشر التعليم والدعوة فيها، وهؤلاء الشبان متصفون بالجد والاجتهاد، والاهتمام بأمر الدراسة والتعليم.

الشيخ بكري الطرايشي

وفي المساء اتصلت بالشيخ بكري الطرايشي فأذن لي بمقابلته، فوصلت إلى منزله في الساعة الخامسة والنصف تقريباً.

وهو العلامة الفقيه المقرئ الشيخ بكري بن الشيخ عبد المجيد بن بكري بن أحمد الطرايشي. ولد في دمشق سنة ١٣٣٨ هـ في بيت علم، حفظ القرآن الكريم، وجمع القراءات العشر من طريق الشاطبية والدررة على الشيخ محمود فائز الديرعطاني، كما قرأ على الشيخ محمد سليم الحلواني الذي يعتبر من رتبة المتولي عند المصريين، وبهذا يعتبر الشيخ بكري من أعلى القراء إسناداً في العالم اليوم في القراءات السبع من

طريق الشاطبية، وهو كثير التلاوة للقرآن الكريم، وقد ختم القرآن غيبًا مرة في يومين، وتعمق في الفقه الحنفي على فقيه دمشق الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت.

وفي إجازة الشيخ محمد سليم الحلواني الخطية لشيخنا بكري ما يلي: هذا وقد قرأ علينا ولدنا الشاب النجيب والفاضل الأديب الشيخ بكري أفندي ابن الفاضل العلامة التقي الفهامة الأستاذ الشيخ عبد المجيد الطرابيشي ختمة كاملة للسبعة....، فقد أجزته بأن يقرأ ويقرئ في أي مكان حل وفي أي قطر نزل بشرطه المعتبر عند علماء القراءات والأثر، وبكل ما تجوز لي روايته ودرايته.

والشيخ قد تجاوز ثمانيًا وثمانين سنة من عمره، وهو أعلى من بقي يروي القراءات السبع، أخذها عن الشيخ المسند سليم الحلواني، وقال لي الشيخ: إنه تفرد بالعلو في القراءات منذ خمس وعشرين سنة، وقد انتشر تلاميذه والآخذون عنه في كافة أنحاء العالم الإسلامي، والذين أخذوا عنه القراءات العشر قد بلغ عددهم اثنين وعشرين شخصًا، والشهادة التي يعطيها الشيخ تقبل لدى الجهات المعنية، وأجازه شيخه في القراءات سنة ١٩٤٢، ومنذ ذلك الوقت يعلم الناس القرآن الكريم.

وحدثني الشيخ حديثًا طويلًا لما أصاب العالم الإسلامي والمسلمين من الوهن الشديد، والضعف الكبير، ورأيت الشيخ أهمه أمر الإسلام والمسلمين ما لم أر عند غيره.

قراءة وإجازة

وأخيرًا سألني أن أقرأ عليه شيئًا، فقرأت عليه المقدمة الجزرية، فلما أنهيتها سألني أن أراجع شروح المقدمة الجزرية، لا سيما شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وأثنى على هذه المقدمة، وقال: هي أول ما يقرأه ويحفظه الطلبة عندهم، وقد حفظها حفيده الصغير، ثم أعطاني سي دي، وقال: فيه ترجمته وتعليمه للطلاب

عن القراءات، واستجزته فأجازني، والحمد لله على هذا العلو الذي أكرمني الله به في القراءات العشر، ثم استأذنته ورجعت إلى منزلي.

قرأ فضيلة الشيخ محمد بكري بن عبد المجيد الطرايشي - أمد الله في عمره على طاعته - القرآن كاملاً بالقراءات السبع على شيخ قراء الشام في زمنه محمد سليم الحلواني، الذي قرأ على والده شيخ قراء الشام أحمد الحلواني الكبير، الذي قرأ على شيخ قراء الحجاز أحمد المرزوقي، الذي قرأ على شيخ القراء بالديار المصرية الشيخ إبراهيم العبيدي، الذي قرأ على شيخ الجامع الأزهر محمد بن حسن السمنودي المنير، الذي قرأ على عليّ الرميلي، الذي قرأ على شيخ قراء زمانه محمد بن قاسم البقري، الذي قرأ على شيخ قراء مصر عبد الرحمن بن شحادة اليمني، الذي قرأ على عليّ بن غانم المقدسي، الذي قرأ على محمد بن إبراهيم السمديسي، الذي قرأ على الشهاب أحمد بن أسد الأميوطي، الذي قرأ على الإمام الحافظ حجة القراء محمد بن محمد بن محمد بن الجزري الشافعي مؤلف النشر والطيبة وغيرهما من المؤلفات المباركة، وهو قد قرأ على عبد الرحمن بن أحمد البغدادي، الذي قرأ على شيخ القراء بمصر محمد بن أحمد الصائغ، الذي قرأ على علي بن شجاع الكمال الضرير صهر الإمام الشاطبي، الذي قرأ على الإمام أبي القاسم الشاطبي، الذي قرأ على الإمام علي بن محمد بن هذيل البلنسي، الذي قرأ على أبي داود سليمان بن نجاح، الذي قرأ على الإمام أبي عمرو الداني، الذي قرأ برواية حفص على طاهر بن غلبون، قال: قرأت على علي بن محمد الهاشمي، قال: قرأت على أحمد بن سهل الأشناني، قال: قرأت على أبي محمد عبيد بن الصباح، قال: قرأت على حفص بن سليمان، الذي قرأ على عاصم بن أبي النجود، الذي قرأ

على أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي، الذي أخذ عن عثمان وعلي وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، وأخذ هؤلاء رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي تلقى القرآن عن جبريل عليه السلام، عن رب العزة جل شأنه.

أخبرنا الشيخ بكرى الطرايشي، أنا الشيخ محمد سليم الحلواني بإسناده إلى عائشة بنت ابن عبد الهادي، قالت: أخبرنا أبو الحجاج المزي، أنا أبو العباس أحمد بن أبي الخير، عن كتاب أبي الحسن مسعود بن أبي منصور الجمال، قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: حدثنا عبد الله بن محمد ومحمد بن إبراهيم، قالوا: حدثنا أحمد بن علي، قال: حدثنا هدية بن خالد، حدثنا همام، عن قتادة، عن أنس بن مالك أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن»، قال: الله سماني لك؟ قال: «نعم الله سماك لي»، قال: فجعل أبي يبكي.

قال المزي: رواه مسلم عن هدية، فوقع لنا موافقة له عالية.

السوق

خرجت مع أهلي وبناتي في الساعة السابعة إلى سوق دمشق القديمة، وبدأنا تجوالنا من سوق البزورية، ومررنا بسوق الذهب، ولكن لم يعجبنا الذهب هنا لأنه عامة عياره ثمانية عشر إلى واحد وعشرين قيراطاً، وأهل الهند لا يعجبهم شيء أقل من اثنين وعشرين قيراطاً، ومررنا بأسواق مختلفة، واشترينا بعض ما يهمننا، ومررنا بمسجد عبد الله بن ذكوان راوي قراءة ابن عامر ١٧٣-٢٤٢هـ، وقد جدد المسجد على

نفقة بعض المحسنين عام ١٤٢٢هـ، ومررنا بجامع السادات وفيه مقام الصحابي
معاذ بن جبل، أسس هذا الجامع عام ١٠٠١هـ، وجدد عام ١٤٢٢هـ.
ولقيت في السوق الأخ العالم عمر النشوقاتي، فقال لي: إن ما سألته من تصوير
المخطوطات جاهز، فتواعدنا باللقاء في منزله في الساعة التاسعة من الغد، ثم رجعنا
إلى المنزل الساعة العاشرة تقريباً.



١٣ رجب يوم الخميس

كان موضوع درسي اليوم للطالبات: خصائص الجامع الصحيح للإمام البخاري، وشرحت لهن ما يمتاز به من العلو والصحة والإتقان ولطائف إسنادية وفقه حديثي، ورأيتهن أعجبهن درسهن.

ثم استقبلت الساعة العاشرة طالبًا من باكستان اسمه سلمان ومعه أرشد زمان أخو صديقنا افتخار زمان، وقد جاء إلى دمشق طالبًا للغة العربية، وعجبت من همته العالية، وتحدثنا عن معطيات علماء الإسلام في مجال العلوم العقلية وما لكتاب ابن تيمية «الرد على المنطقيين» وغير ذلك من كتاباته حول مواضيع المنطق والفلسفة من قيمة علمية.

مع عمر النشوقاتي

اليوم لي موعد الأخ عمر النشوقاتي، فوصلت إليه الساعة التاسعة والنصف تقريبًا، فأراني الأشياء التي صوّرها لي، ومعظمها دراسته حول موضوع عناية النساء بالحديث النبوي الشريف، وقد أهدى إليّ عمله كله، فجزاه الله تعالى خيرًا، وسأستفيد منه إن شاء الله، وأشير إلى عمله كلما استفدت منه.

وأراني مسودة عمله عن أثبات الكذب، واطلعت على تحقیقاته وتعليقاته العلمية، ورأيت الكتاب يمتاز بفوائد علمية كثيرة، ومن تعليقاته التي أعجبتني هو تحقیقه أمر وجود ابن سنة الفلاني، وهو في ذلك آخذ رأي الحافظ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، وطعنه في إسناد المعمرين الذي افتخر به قطب الدين النهروالي ومن بعده، حتى إن الشوكاني أخذ به في إتحاف الأكابر.

ورأيت الأخ الشوقاتي يمتاز من بين الشبان المعنيين بالرواية والأثبات بتحري الصدق والضبط والتحقيق والإتقان، وهو أمر مفقود تمامًا عند أولئك الذين لا يهمهم إلا العلو، وقد ألقاهم الحرص على علو السند في المهالك، ثم أراني عنده صورة لرسالة لعبد الستار الدهلوي عن أسانيد أبي النصر الخطيب، وفيها تصريح بأن أبا النصر وإن كان قد أخذ مع والده عن عبدالله التلي الشامي، ولكنه لم يرو عنه، لأن والده لم يرو عنه. فإذا كان أبو النصر لم يرو عنه فكيف يصح للآخذين عن تلاميذه أن يرووا عن هذا المعمر بواسطة أبي النصر الخطيب، وهذه المسألة اختلفت معه فيها، وسيأتي بيان ذلك.

ثم جرى حديثنا عن بعض من بدا يدلي دلوه مع المجيزين، وليس من أهل هذا الشأن وإنما هو كالدخيل عليهم، ولعل قلبي اشتد في ذلك، فذكرني عمر أن نكون من المعتدلين وأن لا نتوارث العداء.

ثم صليت الظهر في جامع التيروزي، وبعد الصلاة استمر حديثنا عن العلم والعلماء، وأراد عمر أن يأخذ لنا موعدًا مع الشيخ بشير الباني، ولم يتيسر له، فاستأذنته ورجعت إلى المنزل.

استرحت قليلًا، ثم اتصل بي الأخ عمر الشوقاتي، وقال لي: الموعد مع فضيلة الشيخ الباني غدًا بعد صلاة الفجر، وجاءني الأخ علاء الدين فرفور قبيل المغرب، وذكرني أنني سأصلي الفجر صباحًا في مسجد الشيخ محمود الدرة لأنه عنده كل جمعة مجلس للذكر والنشيد، وهو يحرص على أن أحضره، فذكرت له موعدنا مع الشيخ الباني، فقال: إنه سيحاول أن يظفر بموعد آخر مع الشيخ الباني، وفعلاً رضي الشيخ بأن نقابله بين المغرب والعشاء من الغد. ورتّب الأخ علاء الدين معنا برنامجنا لزيارة بعض الأمكنة الأثرية في دمشق، وكذلك زيارتنا لمقام الأربعين.

وبعد الحادية عشرة من الليل زارنا الأخ حمد الكويتي مع صديق له، وبقي متأخرًا من الليل، وهو صديق غال.

١٤ رجب يوم الجمعة

مجلس الشيخ محمود الدرة

استيقظت الساعة الرابعة في الصباح، وخرجت مع الأخ علاء الدين فرفور وبناتي سمية وهالة ومريم لحضور مجلس الذكر للشيخ محمود محمد الدرة، وصلنا إلى جامعته والذكر مستمر، والشيخ رحب بنا أطيب ترحيب، ولقد وجدته شيخاً نبياً ممن لا تمل صحبته، وعلى وجهه ابتسامة لا تفارقه، وعليه صلاح وتقوى، وتواضع كبير، وهو نموذج للسلف الصالح، مكرم للضيوف والواردين، لا يتجاوز عمره أربعين سنة، وهو شيخ الطريقة الرفاعية في دمشق.

استمر المجلس إلى أكثر من ساعتين، ثم صلينا الضحى، وتناولنا الفطور مع الشيخ، وسألته عن الطريقة الرفاعية خصائصها، فشرح لي كل ذلك في تفصيل، وبطريقة لا يملها السامع، وهو حلو الحديث، لين الجانب، ياليت الدعاة تعلموا منه الهدى والسمت، ثم أهدى إليّ بعض كتب الطريقة الرفاعية، منها مجلد يحتوي على ثلاث رسائل:

- ١ - القول الفصل ليس بالهراء ولا بالهزل يعرب الماضي والمضارع ويشير للمستقبل للسيد محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي (١٢٦٦-١٣٢٨).
- ٢ - والواعظ المعرب عن حقيقة المسلم المتأدب للسيد محمد أبي الهدى الصيادي.
- ٣ - والروضة الوردية في الفيوضات الهندية للسيد محمد مهدي بهاء الدين آل

خزام الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس (١٢٢٠-١٢٨٧هـ)، وقد سمعت منه معظم هذه الرسالة الأخيرة.

وكتب الإهداء لهذه المجموعة بقوله: إهداء إلى فضيلة الأستاذ الفاضل حضرة الشيخ محمد أكرم الندوي حفظه الله ونفع به المسلمين مع الإجازة بكتب السادة الرفاعية وأورادهم، سائلًا المولى أن ينفع به المسلمين، وأطلب من فضيلته الدعاء لي بظهر الغيب، أحسن الله ختامي وختامه، إنه كريم مسؤول، وكتبه محمود محمد الدرة عفي عنه.

وكذلك أهدى إليّ كتاب «شفاء القلوب بكلام النبي المحبوب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، تأليف السيد محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي، ويشتمل على أحاديث من طريق السيد أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى، وأهدى إليّ كتاب «معراج الوصول إلى حضرات الرضا والقبول بمشيئة الحي القيوم الذي لا تأخذه منه ولا نوم ولا يحول ولا يزول» بتوجهات ساداتنا السادة أنجال المرحوم السيد تاج الدين الصيادي حفيد العلامة الوارث المحمدي السيد محمد أبي الهدى، بعناية محمود محمد الدرة، وسمعت منه بعض مخمساته التي أودعها في الكتاب.

وبقيت عند الشيخ إلى الساعة التاسعة، ثم استأذنته ورجعنا إلى المنزل، آمليْن أن تكون لنا العودة إليه.

المتحف الوطني

وخرجنا في الساعة العاشرة لزيارة المتحف الوطني بجانب التكية السلিমانيّة، وهو متحف يمثل الحضارات القديمة والتاريخ الإسلامي القديم، ولقد عجبنا من تقدم الحضارة والمدنية في بلاد الشام قبل آلاف السنين.

التكية السليمانية

ثم زرنا التكية السليمانية، والتي تقع عند مدخل مدينة دمشق الغربي في ميدان الشرف الأدنى، ويمر نهر بردى عبر شمالها، سميت نسبة إلى السلطان سليمان القانوني الذي أمر ببنائها عام ١٥٥٤ في الموضع الذي كان يقوم عليه قصر الظاهر بيبرس المعروف باسم «قصر الأبلق»، التكية من تصميم المعماري التركي المعروف سنان، وأشرف على بنائها المهندس الإيراني الأصل ملا آغا، بدأ بناؤها سنة ١٥٥٤ وانتهى سنة ١٥٥٩ في عهد الوالي خضر باشا، أما المدرسة الملحقة بها فتم بناؤها سنة ١٥٦٦ في عهد الوالي لالا مصطفى باشا.

أبرز ما يميز طراز التكية السليمانية مئذنتاها النحيلتان اللتان تشبهان بالمسلفتين أو قلمي الرصاص لشدة نحولهما، وهو طراز لم يكن مألوفاً في دمشق حتى تلك الحقبة. تضم التكية قسمين: التكية الكبرى التي تتألف من مسجد ومدرسة، والتكية الصغرى التي تتألف من حرم للصلاة وباحة واسعة تحيط بها أروقة وغرف تغطيها قباب متعددة.

كانت التكية الصغرى مأوى للغرباء وطلبة العلم، وتضم اليوم المتحف الحربي وسوق الصناعات الشعبية، شاهدنا المتحف الحربي والذي يجمع السيوف القديمة وغيرها من الأسلحة، وفيها قسم للأسلحة التي سلبها الجيش السوري من اليهود.

وصلينا الجمعة في جامع التكية، والخطبة كانت عادية، لم يكن فيها شيء ذو بال. وبعد الصلاة رجعنا إلى المنزل، وتغدينا واسترحنا قليلاً.

مقبرة باب الصغير

خرجت في الساعة الرابعة والنصف إلى دمشق القديمة لأشتري بعض الكتب، ولكن سوق الحلبوني كانت مغلقة، فاتجهت إلى مقبرة باب الصغير، ومررت ببوابة سوق الحميدية، ثم مررت بجامع الدرويشية الذي بناه والي دمشق درويش باشا سنة ٩٨٢هـ. ثم خرجت من باب الجابية ومررت بمدفن آل مردم بك، وهو مليء بقبور هذا البيت، ثم زرت قبر العارف بالله الشيخ محمد البهلول توفي في ٢٠ شعبان سنة ١٩١هـ وقرأت فاتحة الكتاب، ثم مررت على اليمين بدار القرآن الكريم الصابونية أنشأها التاجر أحمد البكري الصابوني ٨٦٨هـ.

ضريح الحافظ ابن القيم

دخلت في مقبرة باب الصغير، وسلمت على أهلها، وقبل ذلك رأيت خارج بوابتها قبر الحافظ ابن القيم مكتوب عليه: «هذا قبر الإمام الحافظ ناصر السنة صاحب التأليف المفيدة أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية ولد في دمشق عام ٦٩١هـ وتوفي فيها عام ٧٥١هـ».

وهو الإمام الحافظ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي، شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي. سمع على التقي سليمان وأبي بكر بن عبد الدائم والمطعم وابن الشيرازي وإسماعيل ابن مكتوم والطبقة، وقرأ العربية على ابن أبي الفتح والمجد التونسي.

وقرأ الفقه على المجد الحراني وابن تيمية، ودرس بالصدرية وأم بالجوزية، وكان لأبيه في الفرائض يد فأخذها عنه، وقرأ في الأصول على الصفي الهندي وابن تيمية، وكان جريء الجنان واسع العلم، عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف، وغلب

عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله بل ينتصر له في جميع ذلك، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وكان له حظ عند الأمراء المصريين، واعتقل مع ابن تيمية بالقلعة بعد أن أهيئ وطيف به على جمل مضروبًا بالدرة، فلما مات أفرج عنه. وامتحن مرة أخرى بسبب فتاوي ابن تيمية.

وكان ينال من علماء عصره وينالون منه. قال الذهبي في المعجم المختص: حبس مرة لإنكاره شد الرحل لزيارة قبر الخليل، ثم تصدر للأشغال ونشر العلم، ولكنه معجب برأيه جريء على الأمور، وكانت مدة ملازمته لابن تيمية منذ عاد من مصر سنة ٧١٢ إلى أن مات.

وقال ابن كثير: كان ملازمًا للاشتغال ليلاً نهارًا، كثير الصلاة والتلاوة، حسن الخلق كثير التودد، لا يحسد ولا يحقد. ثم قال: لا أعرف في زماننا من أهل العلم أكثر عبادة منه، وكان يطيل الصلاة جدًا، ويمد ركوعها وسجودها، إلى أن قال: كان يقصد للإفتاء بمسألة الطلاق، حتى جرت له بسببها أمور يطول بسطها مع ابن السبكي وغيره، وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار، ويقول: هذه غدوتي، لو لم أقعدها سقطت قواي. وكان يقول: بالصبر والفقر تنال الإمامة في الدين. وكان يقول: لا بد للسالك من همة تسيره وترقيه، وعلم يبصره ويهديه. وكان مغرًى بجمع الكتب، فحصل منها ما لا يحصر، حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهرًا طويلًا سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم.

وله من التصانيف: الهدى، وأعلام الموقعين، وبدائع الفوائد، وطريق السعادتين، وشرح منازل السائرين، والقضاء والقدر، وجلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، ومصائد الشيطان، ومفتاح دار السعادة، والروح، وحادي

الأرواح، ورفع اليدين، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، وتصانيف أخرى. وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف.

ومات في ثالث عشر شهر رجب، وكانت جنازته حافلة جدًا، ورثت له منامات حسنة. وكان هو ذكر قبل موته بمدة أنه رأى شيخه ابن تيمية في المنام، وأنه سألته عن منزلته، فقال: إنه أنزل منزلة فوق فلان، وسمى بعض الأكابر، قال له: وأنت كدت تلحق به، ولكن أنت في طبقة ابن خزيمة.

ضريح المحدث الأكبر

واتجهت إلى ضريح المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني، وقد بني عنده جامع كبير، وجمعية المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني للعلوم الإسلامية. زرت ضريح الشيخ مكتوب عليه: هذا ضريح العالم العلامة أمير المؤمنين في حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سلطان المحدثين الشيخ محمد بدر الدين الحسني رضي الله عنه، انتقل إلى رحمة الله تعالى في ٢٧ ربيع الأول ١٣٥٤ هـ.

وبجانبه ضريح المرحومة العارفة بالله السيدة الحاجة باهية الحسني ابنة مولانا سلطان المحدثين الشيخ محمد بدر الدين الحسني، انتقلت إلى رحمة الله يوم الجمعة ١٥ رمضان ١٣٨٧ هـ.

وبجانبها ضريح رقية بنت بدر الدين الحسني، توفيت يوم الجمعة ٥ شوال ١٣٥٥ هـ.

أضرحة أخرى

ثم عدت إلى زيارة ما تبقى من نواحي مقبرة باب الصغير، وزرت ضريح سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه توفي سنة ٢٠ هـ، وبجانبه قبر عبد الله بن جعفر الطيار،

وزرت قبر السيدة أسماء زوجة جعفر الطيار، وضريح ميمونة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، وضريح حميدة بنت مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وضريح عبد الله بن جعفر الصادق، وضريح فاطمة الصغرى بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، وهناك أضرحة أخرى لأهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ورأيت الشيعة مزدحمين عليها رجالاً ونساءً، ويا ليتهم يعلمون مدى إيدائهم للموتى وارتكابهم للمحرمات التي لم يأذن بها الله ولا رسوله ولا أحد من أئمة أهل البيت وغيرهم. اللهم عافنا في ديننا ودنيانا، ونعوذ بك أن نضل، ونعوذ بك من الحور بعد الكور.

ضريح الحافظ ابن عساكر

وزرت خارج مقبرة باب الصغير ضريح الإمام المحدث مؤرخ دمشق علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، وهو الإمام الحافظ الكبير محدث الشام فخر الأئمة ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الشافعي، صاحب التصانيف والتاريخ الكبير.

ولد في أول سنة تسع وتسعين وأربعمئة، وسمع في سنة خمس وخمسمئة باعثناء أبيه وأخيه الإمام ضياء الدين هبة الله، فسمع أبا القاسم النسيب وقوام ابن زيد وسبيع ابن قيراط وأبا طاهر الحنائي وأبا الحسن ابن الموازيني وطبقتهم بدمشق، ورحل في سنة عشرين فسمع أبا القاسم ابن الحصين وأبا الحسن الدينوري وأبا العز ابن كادش وأبا غالب ابن البناء وأبا عبد الله البارع وقاضي المرستان وطبقتهم ببغداد، وعبد الله بن محمد الغزال بمكة، وعمر بن إبراهيم الزيدي بالكوفة، وأبا عبد الله الفراوي وهبة الله بن السبيدي وعبد المنعم بن القشيري وطبقتهم بنيسابور، وسعيد بن أبي الرجاء والحسين بن عبد الملك الخلال وطبقتهما بأصبهان،

ويوسف بن أيوب الهمذاني الزاهد بمرو، وتميم بن أبي سعيد الجرجاني وطبقته
بهره، وعمل الأربعين البلدانية.

وعدد شيوخه ألف وثلاثمئة شيخ ونيف، وثمانون امرأة. سمع منه معمر بن
الفاخر وأبو العلاء الهمذاني وأبو سعد السمعاني والكبار، وحدث عنه ولده القاسم
وأبو جعفر القرطبي وزين الأمانة أبو البركات ابن عساكر وأخوه الشيخ فخر الدين
وابن أخيه عز الدين النسابة والحافظ عبد القادر الرهاوي وأبو القاسم ابن صصرى
ويونس بن محمد الفارقي الخطيب وأبو نصر الشيرازي ومحمد ابن أخي أبي البيان
وأبو إسحاق إبراهيم ابن الخشوعي وعبد العزيز أخوه ويونس بن منصور السقباني
ومحمد بن رومي الجرداني ومحمد بن غسان الحمصي والمسلم بن أحمد المازني
وذاكر الله الشيعري وعبد الرحمن بن راشد البيت سوائي وعمر بن عبد الوهاب ابن
البراذعي وعتيق السلماني والشيخ بهاء الدين علي ابن الجميزي ورشيد الدين بن
مسلمة وسديد الدين مكى بن علان وخلق كثير. وقد روى عنه أبو سعد السمعاني
ومات قبل ابن علان بسبعين سنة.

عمل تاريخ دمشق في ثمانين مجلدًا، والموافقات في ست مجلدات، والأطراف
الأربعة أربع مجلدات، وعوالي مالك في خمسين جزءًا، وغرائب مالك عشرة أجزاء،
والمعجم مجلد، ومناقب الشبان خمسة عشر جزءًا، وفضل أصحاب الحديث
مجلد، والسبايعات سبعة أجزاء، وتبيين كذب المفتري مجلد، وفضل الجمعة أربعة
أجزاء، والأربعين الطوال ثلاثة أجزاء، وعوالي شعبة مجلد، والزهادة في الشهادة
مجلد، وعوالي الثوري مجلد، وأربعي الجهاد، وأربعي البلدان، وأربعي المساواة،
ومسند أهل داريا مجلد، ومن وافقت كنيته كنية زوجته مجيليد، وشيوخ النبل مجلد،
وحديث أهل صنعاء الشام مجيليد، وحديث أهل البلاط كذلك، وفضل عاشوراء

ثلاثة أجزاء، وكتاب الزلازل ثلاثة أجزاء، والمصاب بالولد جزءان، وقبض العلم، وفضل مكة، وفضل المدينة، وفضل القدس، وفضل عسقلان، وتاريخ المزة، وفضل الربوة، وفضل مقام إبراهيم، وجزء الحميريين، وجزء كفر سوسة، وجزء كفر بطنا، وجزء المنيحة، وعدة أجزاء القرى هكذا، وجزء حديث الهبوط، والجواهر في الأبدال ثلاثة أجزاء.

وأملى في أبواب العلم أربعمئة مجلس وثمانية، وخرج لجماعة منهم رفيقه أبو سعد السمعاني، خرج له أربعين المصافحات، وللفراوي أربعين مساواة، وعمل بعض كتاب الأبدال لنفسه، ولو تم لجاء في عشرين مجلدًا.

قال السمعاني: أبو القاسم حافظ ثقة متقن دين خير حسن السميت، جمع بين معرفة المتن والإسناد، وكان كثير العلم غزير الفضل، صحيح القراءة متبثًا، رحل وتعب وبالع في الطلب، وجمع ما لم يجمعه غيره، وأربى على الأقران، دخل نيسابور قبلي بشهر. سمعت معجمه والمجالسة للدينوري، كان قد شرع في التاريخ الكبير لدمشق.

قال ابن الحاجب: حدثني زين الأمانة، قال: حدثني ابن القزويني، عن والده مدرس النظامية أبي الخير، قال: حكى لنا الفراوي قال: قدم ابن عساكر فقرأ علي ثلاثة أيام فأكثر، وأضجرني، وآليت على نفسي أن أغلق بابي، فلما أصبحنا قدم علي شخص فقال: أنا رسول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليك، قلت: مرحبًا بك، فقال: قال لي في النوم: امض إلى الفراوي وقل له: قدم بلدكم رجل شامي أسمر اللون يطلب حديثي فلا تمل منه، قال القزويني: فوالله ما كان الفراوي يقوم حتى يقوم الحافظ.

وقال المحدث بهاء الدين القاسم: كان أبي رحمه الله مواظبًا على الجماعة والتلاوة، يختم كل جمعة، ويختم في رمضان كل يوم، ويعتكف في المنارة الشرقية،

وكان كثير النوافل والأذكار، ويحيي ليلة النصف والعيدين بالصلاة والذكر، وكان يحاسب نفسه على لحظة تذهب. قال لي: لما حملت بي أمي قيل لها في منامها: تلدين غلامًا يكون له شأن. وحدثني أن أباه رأى رؤيا: يولد لك ابنٌ يحيي الله به السنة. وحدثني أنه كان يقرأ على الشيخ، فقال: قدم علينا أبو علي ابن الوزير، فقلنا: ما رأينا مثله، ثم قدم علينا ابن السمعاني، فقلنا: ما رأينا مثله، حتى قدم علينا هذا، فلم نر مثله. قال سعد الخير: ما رأيت في سن ابن عساكر مثله. قال القاسم ابن عساكر: سمعت التاج المسعودي يقول: سمعت أبا العلاء الهمداني يقول لرجل استأذنه في الرحلة، قال: إن عرفت أحدًا أفضل مني فحينئذ آذن لك أن تسافر إليه إلا أن تسافر إلى ابن عساكر، فإنه حافظ كما يجب.

وحدثني أبو المواهب ابن صصرى قال: لما دخلت همدان قال لي الحافظ أبو العلاء: أنا أعلم أنه لا يساجل الحافظ أبا القاسم في شأنه أحد، فلو خالق الناس ومازجهم كما أصنع إذا لاجتمع عليه الموافق والمخالف. وقال لي يومًا: أي شيء فتح له؟ وكيف الناس له؟ قلت: هو بعيد من هذا كله، لم يشتغل منذ أربعين سنة إلا بالجمع والتسميع، حتى في نزهته وخلواته، قال: الحمد لله، هذا ثمرة العلم، إلا أنا حصل لنا هذا المسجد والدار والكتب، هذا يدل على قلة حظ أهل العلم في بلادكم، ثم قال لي: ما كان يسمى أبو القاسم إلا شعلة نار ببغداد من ذكائه وتوقده وحسن إدراكه.

قال أبو المواهب: كنت أذاكر أبا القاسم الحافظ عن الحفاظ الذين لقيهم فقال: أما بغداد فأبو عامر العبدري، وأما أصبهان فأبو نصر اليونارقي لكن إسماعيل بن محمد الحافظ كان أشهر، فقلت: فعلى هذا ما كان رأى سيدنا مثل نفسه، قال: لا تقل هذا، قال الله: ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ﴾، قلت: فقد قال الله تعالى:

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، فقال: لو قال قائل: إن عيني لم تر مثلي لصدق. ثم قال أبو المواهب: وأنا أقول: لم أر مثله، ولا من اجتمع فيه ما اجتمع فيه، من لزوم طريقة واحدة مدة أربعين سنة، من لزوم الصلوات في الصف الأول إلا من عذر، والاعتكاف في شهر رمضان وعشر ذي الحجة، وعدم التطلع إلى تحصيل الأملاك وبناء الدور، قد أسقط ذلك عن نفسه، وأعرض عن طلب المناصب من الإمامة والخطابة، وأبأها بعد أن عرضت عليه، وأخذ نفسه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم. قال لي: لما عزمت على التحديث والله المطلع أنى ما حملني على ذلك حب الرياسة والتقدم، بل قلت: متى أروي كل ما سمعت، وأي فائدة في كوني أخلفه صحائف، فاستخرت الله واستأذنت أعيان شيوخى ورؤساء البلد، وطففت عليهم، فكلهم قالوا: مَنْ أَحَقُّ بهذا منك؟، فشرعت في ذلك منذ ثلاث وثلاثين وخمسمئة.

قال القاسم: حدثني أبي، قال: قال لي جدي القاضي أبو المفضل يحيى بن علي القرشي: اجلس إلى سارية حتى يجلس إليك، فلما عزمت على ذلك مرض وعجز عن المجيء.

سمعت أبا الحسين علي بن محمد الحافظ، سمعت الحافظ أبا محمد المنذري يقول: سألت شيخنا أبا الحسن علي بن المفضل الحافظ عن أربعة تعاصروا، أيهم أحفظ؟ فقال: من؟ قلت: الحافظ ابن ناصر وابن عساكر؟ فقال: ابن عساكر، فقلت: الحافظ أبو موسى المديني وابن عساكر؟ قال: ابن عساكر، فقلت: الحافظ أبو طاهر السلفي وابن عساكر؟ فقال: السلفي شيخنا، قلت: يعني أنه ما أحب أن يصرح بتفضيل ابن عساكر، بل لَوْح بتفضيل شيخه بأنه شيخه، ثم أبو موسى أحفظ من السلفي، مع أن السلفي من بحور الحديث وعلمائه، وكان شيخنا أبو الحجاج المزري يميل إلى أن ابن عساكر ما رأى حافظاً مثل نفسه.

قال الحافظ عبد القادر: ما رأيت أحفظ من ابن عساكر. وقال ابن النجار: أبو القاسم إمام المحدثين في وقته، انتهت إليه الرياسة في الحفظ والإتقان والثقة والمعرفة التامة، وبه ختم هذا الشأن. فقرأت بخط الحافظ معمر بن الفاخر في معجمه: أنا أبو القاسم الدمشقي الحافظ بمنى وكان أحفظ من رأيت من طلبة الحديث والشبان، وكان شيخنا إسماعيل بن محمد الإمام يفضلته على جميع من لقيناهم قدم أصبهان، ونزل في داري، وما رأيت شاباً أروع ولا أحفظ ولا أتقن منه، وكان مع ذلك فقيهاً أديباً سنياً، جزاه الله خيراً وكثّر في الإسلام مثله، وإني كثيراً سألته عن تأخره عن المجيء إلى أصبهان، فقال: لم تأذن لي أُمي.

قال القاسم: توفي أبي في حادي عشر رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمئة، ورثي له منامات حسنة، ورثي بقصائد، وقبره يزار بباب الصغير.

قال الذهبي: قرأت على أحمد بن هبة الله بن تاج الأمان، أخبركم الفقيه أبو محمد عبد الجبار بن عبد الغني بن محمد الحرستاني سنة ثلاث وعشرين وستمئة، أنا أبو القاسم الحافظ، أنا زاهر بن طاهر، أنا أبو بكر أحمد بن الحسين، أنا أبو الحسين ابن بشران، أنا إسماعيل الصفار، ثنا عبد الله بن محمد بن شاكر، ثنا عفان، أنا شعبة، ثنا أبو إسحاق قال: اتقوا الله واعملوا خيراً، فإني سمعت عبد الله بن معقل يقول: سمعت عدي بن حاتم يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشق تمرة». متفق عليه من حديث شعبة وزهير بن معاوية.

جامع بدر

ثم خرجت مع الأخ محمد الشعار إلى جامع بدر، حيث التقينا مع الأخ عمر الشوقاتي لنزور الشيخ المعمر العالم المسند بشير الباني، فإنه يصلي عامة في جامع بدر، ولما وصلنا إلى الجامع أخبرنا أن الشيخ يدرس اليوم بعد المغرب في جامع

الشيخ محيي الدين ابن العربي، فصلينا المغرب في جامع بدر وخرجنا إلى جامع السيد محيي الدين ابن العربي، وذكر لنا الأخ عمر النشوفاتي أنه لم يدخل في جامع محيي الدين ابن العربي قط.

تحقيق الرواية عن عبد الله التلي

وفي الطريق جرى ذكر رواية أبي النصر الخطيب عن عبد الله التلي الشامي، وعمر النشوفاتي لا يرضى الاتصال بهذا السند، وحجته أن أبا النصر نفسه لم يرو عنه، فقد ذكر الشيخ عبد الستار الدهلوي في ترجمة أبي النصر الخطيب: ومن مشايخه أيضًا: الشيخ سعيد بن حسن^(١) التلي المعمر، وقد زاره مع والده في بلدة تل، بينها وبين الشام ثلاث ساعات، في ١٢٦٣ هـ، ورأوه ملقى على الأرض، وأخبر أنه تواجه مع سيدي عبد الغني النابلسي قبل وفاته بثلاث سنوات، وأجازه، قال: وقد أجزتكما، فسألناه عن عمره، فقال: إنه يبلغ الآن ١٥٠ سنة^(٢)، ثم توفي بعد ذلك بمدة يسيرة، ولم أرو عنه، لأن والدي ما روى عنه مطلقاً^(٣).

فناقشه الأخ محمد الشعار قائلاً: إذا كانت لأبي النصر إجازة من عبد الله التلي، وأبو النصر أجاز إجازة عامة للآخدين عنه جاز لهم أن يرووا عن عبد الله من طريق أبي

(١) هكذا سماه الشيخ عبد الستار الدهلوي، وقد سماه غيره عبد الله، والله أعلم بالصواب، وقد جعلهما أبو بكر بن أحمد بن حسين الحبشي اثنين، فترجم في شيوخ أبي النصر للشيخ عبد الله بن محمد التلي الشامي، ونقل ترجمته عن الحافظ عبد الحي الكتاني، ثم ترجم للشيخ سعيد بن حسن التلي الشامي، ونقله عن عبد الله بن محمد الغازي، ثم قال: وليحرر هل التلي الذي ذكره شيخنا الغازي غير التلي الذي ذكره شيخنا الكتاني، أم هو شخص واحد. الدليل المشير (ص ٤١٥-٤١٦).

(٢) قلت: توفي سيدي عبد الغني النابلسي سنة ١١٤٣، فيكون عمر التلي آنذاك نحو ثلاثين سنة، وتشعر عبارات بعض المترجمين أنه كان صغيراً لما أجازه النابلسي، فلعله لما لقيه أبو النصر وأبوه كان ابن ثلاثين ومائة سنة أو نحو ذلك، وأخطأ في تعمييره.

(٣) مخطوطة «ترجمة أبي النصر الخطيب» لعبد الستار الدهلوي، ورقة ٤/ب.

نصر، وإن كان أبو نصر نفسه لم يرض لنفسه الرواية عنه، وأنا أرى أن الحق مع الأخ محمد الشعار، ورواية أبي النصر عن التلي إن لم تكن إجازة فهي إعلام، والإعلام من أوجه التحمل الجائزة، فما دام قد ثبت أن التلي أعلم أبا النصر بروايته عن النابلسي، فهذا كافٍ لتحملها عنه.

وقد روى غير واحد من العلماء المحققين عن التلي من طريق أبي النصر، وعلى رأسهم شيخ كثير من شيوخنا الحافظ عبد الحي الكتاني، فيقول في ذكر أسانيده إلى ابن حجر الهيتمي: وأخبرنا نصر الله الخطيب عن عبد الله التلي عن النابلسي عن النجم الغزي عن الفتح محمود البيلوني عنه، وهذا أعلى^(١).

ويقول في ترجمة نجم الدين الغزي: ويروي الخطيب عن عبد الله التلي المعمر عن النابلسي عنه، وهو عن أبيه عن زكرياء والسيوطي والقسطلاني، فبيننا وبين زكرياء والسيوطي من طريقه خمسة، وهذا أعلى ما يكون^(٢).

ويقول في ترجمة الأستاذ عبد الغني النابلسي: وأروي عنه عاليًا عن أبي النصر الخطيب عن عبد الله التلي عنه^(٣).

ويقول في ترجمة النجم الغيطي: أروي مشيخته عن نصر الله الخطيب عن عبد الله التلي المعمر عن العارف النابلسي عن النجم الغزي عن الشيخ محمود بن محمد البيلوني عنه مكاتبه من مصر لحلب، وهذا أعلى ما يوجد الآن^(٤).

ولم نجد أحدًا ذكر التلي غير أبي النصر، فالتلي شيخ غريب تفرد به أبو النصر وأبوه، فلعل الرواية عنه تكون في درجة الحسن.

(١) فهرس الفهارس (١/ ٣٤٠).

(٢) فهرس الفهارس (٢/ ٦٧١).

(٣) فهرس الفهارس (٢/ ٧٥٨).

(٤) فهرس الفهارس (٢/ ٨٩٠).

الشيخ بشير الباني

وصلنا إلى جامع الشيخ محيي الدين قبل العشاء، ورأينا الشيخ بشير الباني يلقي درسًا في الحديث النبوي الشريف، ورغم أنه قد تجاوز خمسًا وتسعين سنة من عمره لكن صوته واضح وقوي. ولد الشيخ سنة ١٣٢٩ هـ، وله إجازة من الشيخ بدر الدين الحسني كتبت في حياته، وسمعت منه في هذا الدرس الأحاديث التالية:

١ - حديث صام رسول الله ﷺ التطوع حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم.

٢ - وحديث مجيبة الباهلية: صم شهر الصبر يعني رمضان، وصم يومًا من كل شهر، الحديث.

٣ - ومروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا، الحديث.

٤ - وإذا كانت ليلة النصف من شعبان فصوموا نهاره وقوموا ليله.

٥ - وحديث عائشة: فقدت النبي ﷺ ذات ليلة، فخرجت أطلبه، الحديث.

٦ - وإن الله ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، الحديث.

٧ - ومن صام رمضان وأتبعه ستًا من شوال، الحديث.

٨ - وما من أيام العمل الصالح أحب فيها إلى الله.

وأحاديث أخرى. وبعد نهاية الدرس سلّمنا على الشيخ.

صلى الشيخ بالناس العشاء في قراءة محكمة ثم جلسنا إليه، وأملى علينا شيئًا من ترجمة حياته: قرأ على الشيخ عيد السفر جلاني، درس في مدرسته في دمشق، ودخل في مدرسة الجقمقية، وحضر دروس الشيخ بدر الدين الحسني، وهو ابن خالة والده

الشيخ توفيق، حضر دروسه في الأموي بين الظهر والعشاء، وحضر عند الشيخ توفيق البابا وقرأ عليه بعض القرآن الكريم، ثم دخل مجال الحقوق، وانتسب إلى حلقات الشيخ أمين كفتارو، وصار له نشاط في مسجد الدواليبي، وقرأ على الشيخ أمين كفتارو معظم بداية المجتهد لابن رشد.

وكان الشيخ يحيى المكتبي يزوره كثيرًا لصلته بالشيخ بدر الدين، وسافر البلاد الإسلامية والأوربية والإفريقية، وأنابه الشيخ أحمد كفتارو في غيابه في دروس الجمعة، وعين قاضيًا بدمشق، ثم رفع إلى قضاء الدين، ثم رأس محكمة الجنايات، ثم محكمة النقض مستشارًا، وكان عضوًا في الهيئة العامة في القضاء، ولما تقاعد أشرف على بناء جامع بدر وإكمال جامع أبي النور. وقد تولى خطبة الجمعة في الأموي، والتدريس في جامع الشيخ محيي الدين وجامع بدر ومجمع أبي النور. وقد درس مادة الفقه وأصوله في جامعة دمشق وغيرها، وهو عضو في رابطة العالم الإسلامي منذ تأسيسها. وودعنا الشيخ، وسنزوره مرة أخرى حتى نستجيزه.

ولكن لم أتمكن من زيارته، فسألته الأخ عمر النشوقاتي أن يستجيزه لنا، فلا أدري أنجح في ذلك أم لا، ولكن أخبرني أخيرًا صديقنا الفاضل محمد بن عبد الله آل الرشيد أنه زار الشيخ بشير الباني وذكر له زيارتي له، فأجاز لي، والله الحمد.

ثم ذهبنا إلى منزل الأخ عمر النشوقاتي، وتعشنا معه، وتحدثنا عن الشيوخ الذين ينبغي أن نزورهم ونستجيزهم في دمشق، وعددهم ثلاثون شيخًا، وقلت: نستجيز المعمّرين والكبار من العلماء. وأما غيرهم فيستجيزهم الأخ عمر النشوقاتي في استدعائه، ثم رجعت إلى المنزل حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف.

١٥ رجب يوم السبت

الشيخ سامر النص

استيقظت صباحاً، واغتسلت وصليت الفجر وخرجت في الساعة الخامسة مع الأخ علاء الدين لحضور درس الشيخ سامر النص في حاشية ابن عابدين، فلما وصلنا رأينا بعض الحضور والشيخ لم يصل بعد، حضر الشيخ وهو دون الخمسين من العمر، وله إجازة من أبي اليسر ابن عابدين، وبدأ الدرس، يقرأ أحد الطلبة، ثم تجري المناقشة في هدوء، وكان الدرس اليوم عن شروط التيمم.

والدرس مفيد، واستمر لنحو ساعتين، ثم أفطرنّا مع الحضور، وبعد الفطور بدأ درس تفسير القرطبي، وهو عن حد السرقه، ولكنّا استأذنا الشيخ وخرجنا. ووصلت إلى المنزل الساعة التاسعة، وقد وزّع في هذا المجلس تبييض الصحيفة للسيوطي، فسررت بهذه الهدية القيمة.

إجازة الشيخ عبد الرزاق الحلبي

خرجت بعد الساعة العاشرة إلى الجامع الأموي، ووصلت إلى الجامع في الساعة الحادية عشرة إلا الربع، وقرأ الأخ محمد الشعار عليّ مختصر القدوري من كتاب صفة الصلاة إلى باب صلاة المريض والمسافر. حتى وصل الأخ عمر النشوقاتي، فأشار علينا أن ندخل على الشيخ عبد الرزاق الحلبي مع الاستدعاء عسى أن يجيز، فدخلنا عليه وسلّمنا عليه، والطلبة يحفظون عليه القرآن الكريم، فلما انتهوا تقدمت إليه وعرّفت نفسي، وقلت: هذا استدعاء يشتمل على أسماء عدد من طلبة العلم يرغبون في أن يتصلوا بإسنادكم، فلو تفضلتم بالإجازة، فأجاز، والحمد لله،

واستبشرنا بذلك خيرًا. وفرح الأخ عمر النشوقاتي كثيرًا بإجازة الشيخ على الاستدعاء. وهو الشيخ المقرئ عبد الرزاق بن حسن الحلبي الدمشقي الحنفي المولود سنة ١٣٤٤هـ.

يروي عن محمد صالح فرفور والعربي العزوزي وأبي اليسر عابدين ومحمد صالح الخطيب ومحمد القاسم وملا رمضان البوطي وغيرهم. أخبرنا الشيخ الصالح عبد الرزاق الحلبي، أنا أبو اليسر ابن عابدين بإسناده إلى عائشة بنت ابن عبد الهادي، أنا الإمام شمس الدين الذهبي، قال: أخبرنا إسحاق بن طارق، أخبرنا يوسف بن خليل، أخبرنا اللبان، أخبرنا الحداد، أخبرنا أبو نعيم، حدثنا جعفر بن محمد بن عمرو، أخبرنا أبو حصين أخبرنا يحيى بن عبد الحميد، أخبرنا حماد بن زيد، عن المعلى بن زياد، عن العلاء بن بشير، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد قال: أتى علينا رسول الله ﷺ ونحن أناس من ضعفة المسلمين، ما أظن رسول الله يعرف أحدًا منهم، وإن بعضهم ليتوارى من بعض من العري، فقال رسول الله بيده فأدارها شبه الحلقة، قال: فاستدارت له الحلقة، فقال: «بما كنتم تراجعون؟»، قالوا: هذا رجل يقرأ لنا القرآن ويدعو لنا، قال: «فعودوا لما كنتم فيه»، ثم قال: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم»، ثم قال: «ليبشر فقراء المؤمنين بالفوز يوم القيامة قبل الأغنياء بمقدار خمسمئة عام، هؤلاء في الجنة يتنعمون وهؤلاء يحاسبون».

قال الذهبي: تابعه جعفر بن سليمان عن المعلى، أخرجه أبو داود وحده.

الشيخ نور الدين خزنه كاتبي

ثم زرنا الشيخ نور الدين خزنه كاتبي في منزله، وقد عمل محاسبًا في معهد الفتح الإسلامي، وهو من قدماء أصحاب الشيخ صالح فرفور، وله منه إجازة. ولد سنة

١٣٤٧ هـ. قرأ على الشيخ صالح فرفور مختلف العلوم وتخرج عليه، كما قرأ على الشيخ محمد ديب الكلاس، والشيخ عبد الرزاق الحلبي، وقد حج عشرين حجة. أجازنا إجازة عامة.

أخبرنا الشيخ نور الدين خزنة كاتبه، أنا الشيخ محمد صالح فرفور، أنا الشيخ بدر الدين الحسني بإسناده إلى أبي الحسن ابن البخاري، أخبرنا عمر بن طبرزد، أخبرنا هبة الله بن محمد، أخبرنا بن محمد بن غيلان، أخبرنا أبو بكر الشافعي، حدثنا إبراهيم بن الهيثم، حدثنا علي بن عياش، حدثنا شعيب بن أبي حمزة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: كان الآخر من رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما مست النار.

مكتب عنبر

خرجنا من عنده وزرنا مكتب عنبر، وهو مكتب إعدادية ملكية، وهي مدرسة كبيرة واسعة فخمة، لها مبان واسعة جداً، يبدو كأنها من بناء العثمانيين، لم يلحقها شيء من القدم والبلى. وقد تخرج منها العلماء الكبار من أمثال أبي الخير الميداني، وعلي الطنطاوي.

ثم زرنا سوق الحلبوني، واشترينا بعض الكتب من مكتبة، من أهمها الموطأ رواية أبي مصعب الزهري في جزأين، وثبت ابن عابدين، وثبت صالح فرفور، وأشياء أخرى.

ثم رجعت إلى المنزل وتغديت واسترحت قليلاً، ولكن لم أتمكن من النوم. ثم خرجت مع الأهل والبنات في الساعة الثالثة والنصف إلى حي المدارس لأشتري بعض الحاجيات. وأريتهن بعض المدارس القديمة وجامع الشيخ محيي الدين ابن العربي، واشترينا أشياء. ثم رجعت إلى المنزل الساعة الخامسة والنصف.

اتصل بي الأخ محمد وائل لنقرأ عليه قصيدة «غرامي صحيح»، ولكن اعتذرت
من أجل التعب الكبير الذي قد أصابني، ثم اتصل بي الطلبة البريطانيون، فوعدهم
باللقاء غدًا.



١٦ رجب يوم الأحد

ألقيت صباح اليوم الدرس للطالبات حول خصائص كتب الحديث النبوي الشريف، وشروط أصحابها وشروط العلماء لصحة الحديث، وأن التصحيح والتضعيف أمران اجتهداين، وبعد ذلك أفطرت واسترحت قليلاً، وفي الساعة التاسعة دعاني الأخ علاء الدين فرفور، وجرى ذكر مغارة الدم ومقام الأربعين، وقررنا أن نزوره يوم الأربعاء صباحاً إن شاء الله تعالى.

سماع على الشيخ محمد مطيع الحافظ

واليوم لي موعد مع الدكتور محمد مطيع الحافظ لنقرأ عليه «الأنوار النبوية في أربعين حديثاً في شمائل خير البرية» وهي سند الأربعين كتاباً من كتب السنة النبوية، تأليفه، صليت الظهر في جامع التوبة، وسمعت عليه الكتاب بكامله بقراءة الأخ محمد الشعار، وذكر لنا خلال القراءة قصصاً عن شيوخه.

وقال تعليقاً على حديث: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول» (ص ٧٦): كان الشيخ أبو الخير الميداني يقول: الأذان اثنتا عشرة كلمة، ورد في هذا الحديث الأمر بأن نقول مثل ما يقول المؤذن، وقد جاء في أحاديث أخرى: «إذا قال المؤذن حيّ على الصلاة فقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله»، فجمع الحنفية بين الأمرين، ونقول: حيّ على الصلاة وحيّ على الفلاح ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولما جاء حديث المحبة (ص ٧٨) قرأه علينا وأخذ بأيدينا، ليحصل لنا التسلسل، فسألناه عن يروي المسلسل بالمحبة، فقال: عن الشيخ أبي الخير الميداني، وسعيد البرهاني، وعمه الشيخ عبد الوهاب دليس وزيت، ولكن من دون أخذ باليد.

وجرى ذكر الشيخ بكري الطرايشي، وأنه أعلى الناس إسنادًا في القراءة، وقال:
قرأ الشيخ بكري حاشية ابن عابدين كلها على عبد الوهاب ديس وزيت.

فلما قرأنا الكتاب الثامن والثلاثون «تاريخ دمشق حماها الله» قال الشيخ مطيع:
كلمة «حماها الله» ليست مني، وإنما هي من الحافظ ابن عساكر نفسه، وذكر من الرواة
عن ابن عساكر: الشيخ محيي الدين ابن العربي، وقال: كان لابن عساكر رحلتان
طويلتان استغرقت اثني عشر عامًا، عانى فيهما مشاق كثيرة، ورجع بمخطوطات
كثيرة، استفاد منها في تأليف كتابه تاريخ دمشق، والأصول وضعها في دار الحديث
النورية، ثم جاء بعده الضياء المقدسي، وكانت له رحلة طويلة جدًا، ووضع أصوله
الكثيرة في المدرسة الضيائية، وهي خلف الجامع المظفري.

وبعد هذه الفترة جاء التتر، واكتسحوا العالم الإسلامي، وأصبحت نيسابور
وهراة وكثير من مراكز العلم كلها خرابًا، وتلاشت الكتب. وذكر ياقوت الحموي في
مادة نيسابور: عندما تركناها كانت مليئة بالكتب، ثم رجعت إليها ولم أجد شيئًا.

ومن فضل الله على دمشق أنها لم تنهب ولم تحرق، وبقيت هذه المخطوطات
وتكوّنت منها دار الكتب الظاهرية، وكان آخر الحكام السلجوقيين في دمشق إذ جاء
الصلبيون ليستولوا على دمشق، والحمد لله وبفضل الله لم تسقط دمشق، وجاء نور
الدين من الموصل وأخذ دمشق وأصبح سلطانها، ومن دمشق انطلقت الجيوش بقيادة
نور الدين ثم صلاح الدين حتى افتتحت بيت المقدس.

ومن إفاداته في الدرس أنه سمع الشيخ أبا الخير الميداني يقول: (ح) الذي يأتي
التحويل في السند تقرأ بدون الهمزة. وفي آخر الدرس كتب الشيخ السماع على النسخة
التي عندي وعند الأخ الشعار، والحمد لله رب العالمين.

الشيخ أحمد رمضان

وخرجنا من جامع التوبة ودخلنا على الشيخ أحمد رمضان في منزله في حي العقبية بجانب جامع التوبة، ورحب بنا في منزله.

وهو الشيخ أحمد بن محمد بن رمضان الحنفي الشاذلي. ولد سنة ١٩٢٨م، وقرأ على الشيخ محمد صالح فرفور عمدة القاري، والكامل للمبرد، والرسالة القشيرية وإحياء علوم الدين وأكثر الحاشية لابن عابدين، وقرأ بعضها على الشيخ أبي اليسر ابن عابدين، وله منهما إجازة. ومن شيوخه الذين ليس له منهم إجازة: الشيخ عبد الرزاق الحلبي، والشيخ محمد ديب الكلاس، والشيخ إبراهيم يعقوبي.

ومن المشايخ الذين لقيهم: الشيخ حسن حبنكة، والحافظ عبد الوهاب دبس وزيت، والشيخ محمد سعيد البرهاني، والشيخ سعيد بن محمد بن سليم الحلواني، قرأ عليه القرآن وتعلم منه الأداء، وكان الشيخ سعيد معاصراً للقارئ الشهير الشيخ الحصري، وكان يثني عليه ويقول: إنه يهز السواكن، أي: يعطي الهزة للحروف الساكنة.

وأخذ الشيخ أحمد رمضان الطريقة الشاذلية عن الشيخ صالح فرفور، ويدرس الآن في معهد الفتح الإسلامي الفقه الحنفي والأخلاق والتصوف. والحديث والأحوال الشخصية. وأجازنا الشيخ إجازة عامة.

أخبرنا الشيخ أحمد رمضان، أنا محمد صالح فرفور، أنا بدر الدين الحسني بإسناده إلى الحافظ ابن حجر، أنا أبو هريرة ابن الذهبي، أنا والدي، أنا عبد الحافظ بن بدران ويوسف بن أحمد، قالوا: أخبرنا موسى بن عبد القادر، أخبرنا سعيد بن البناء، أخبرنا علي بن البصري، أخبرنا أبو طاهر المخلص، حدثنا عبد الله بن

محمد، حدثنا عثمان بي أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن إدريس وجريز، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى فيها خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة». أخرجه مسلم عن عثمان عن جريز وحده.

الزاوية الصمادية

رجعت إلى المنزل واسترحت قليلاً، خرجت بعد السادسة مع الأخ علاء الدين لزيارة الشيخ اللحفي.

وهو الشيخ المقرئ الفقيه الأديب الخطاط الشاعر الزاهد شكري بن أحمد بن علي بن أحمد لحفي الحنفي حفظه الله تعالى. ولد في حي القنوات بدمشق سنة ١٣٣٨ هـ الموافق لـ ١٩٢٠ م، فنشأ في كنف والديه، وكان والده يعمل حذّاء ويتكلم بالحكمة، وكان متسامحاً لأبعد حد، وكانت والدته من آل الجزائري من الشام وكانت من الصالحات، وأصل أسرته من كلّس بطرف حلب.

نال الابتدائية والإعدادية سنة ١٩٤٤ م حرة وبينهما سنة واحدة، ثم نال الثانوية بعد أربع سنوات. بدأ حفظ القرآن الكريم وهو في سن التاسعة، كما انتسب إلى الكلية الشرعية التي أسسها الشيخ تاج الدين الحسني لمدة ثلاث سنوات.

عمل مدرساً في المدارس الابتدائية في حلب ودرعا ودمشق وفي مدارس شتى، ثم أصبح مدير مدرسة في أشرفية الوادي بالجديدة لمدة سنتين، ثم انتقل إلى مديرية التربية على عدد من المديریات.

والشيخ يتقن الفارسية ويدرسها، ونظم دورات في الحفظ لعدد كبير من المعلمين والمعلمات، واستفادوا من خبرته وإجاداته للخط العربي، لأنه أتقن ذلك،

ودرسها على ثلاثة من الخطاطين، وهم: الأستاذ ممدوح الشريف، والأستاذ بدوي الديрани، والأستاذ حباب.

تزوج من آل الحسني، وأعقب أربعة أولاد. وحج مرة واحدة. ومن شيوخه: الشيخ المقرئ يوسف أبو ديل رحمه الله: قرأ عليه القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة وأجازه بذلك، والشيخ المقرئ كريم بن سعيد راحج حفظه الله: أجازه بالقراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة، والشيخ عز الدين العرقسوسي رحمه الله: حفظ عليه القرآن الكريم وأجازه برواية حفص عن عاصم، والشيخ أبو الخير الميداني رحمه الله: قرأ عليه الأربعين النووية وأجازه إجازة عامة، والشيخ لطفي الفيومي رحمه الله: أجازه إجازة عامة، والشيخ محمود بعيون الرنكوسي رحمه الله: قرأ عليه الفقه واللغة العربية، والشيخ عبد الرحمن الشاغوري رحمه الله: قرأ عليه التوحيد، والشيخ عبد الحميد كيوان رحمه الله: قرأ عليه الفقه الحنفي، وغيرهم.

لما وصلنا إلى بيته أخبرنا أنه غير موجود، فخرجنا لزيارة الزاوية الصمادية، ومررنا بمسجد أبي ذر الغفاري في حي الشاغور، مكتوب عليه: هذا مقام الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري والشيخ محمد زعرور رضي الله عنهم، جدّد سنة ١٢٤٢ هـ.

ثم اتجهنا إلى الزاوية الصمادية، ومفتاحها عند حلاق يعرف الشيخ الندوي، وفي جانب من الزاوية أربعة أضرحة، أكبرها للشيخ إبراهيم بن الشيخ مسلم الصمادي (ترجمته في الكواكب السائرة) والثلاثة لأولاده، وكانا على مذاهب مختلفة من الفقه. صلينا المغرب في الزاوية. ثم مررنا بجامع الباشورة، وهو جامع قديم ودخلنا فيه. ثم رجعنا إلى منزل الشيخ اللحفي، ولكنه لم يرجع بعد.

الشيخ نعيم عرقسوسي

قال لي الأخ علاء الدين: اليوم درس للشيخ نعيم عرقسوسي في جامع الإيمان بين المغرب والعشاء في صحيح البخاري، فوصلنا إليه وكان الجامع حافلاً بالمستمعين، وسمعت الشيخ يقول: اليوم لا أتكلم على الرجال والإسناد، فلم ندر لماذا لم يتكلم عن أسانيد الكتاب.

وكان الدرس في صحيح البخاري باب الإبراد بالظهر في السفر، قال البخاري: حدثنا آدم بن أبي إياس، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثنا مهاجر أبو الحسن مولى لبني تميم الله، قال: سمعت زيد بن وهب، عن أبي ذر الغفاري قال: كنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر فأراد المؤذن أن يؤذن للظهر فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أبرد»، ثم أراد أن يؤذن فقال له: «أبرد»، حتى رأينا فيء التلؤلؤل فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن شدة الحر من فيح جهنم، فإذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة»، وقال ابن عباس: ﴿يَتَفَيَّأُ﴾: يتميل.

وقال الشيخ: مقصود البخاري أن الإبراد بالظهر مشروع في السفر، كما أنه مشروع في الحضر، مع أن الناس في السفر مجتمعون، وكأنه ردّ على الإمام الشافعي. وقال: حد الإبراد: أن يظهر الفيء. ومعنى الفيء: الظل العائد. فاء معناه: عاد ورجع، وهو: الظل العائد بعد الشمس، ما كان قبل زوال الشمس يسمى ظلًا، وما كان بعد الزوال يسمى فيئًا.

ومن فوائد هذا الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أذن لبلال حين أراد الصلاة، وكثير من العلماء يرون أن الأذان حين إرادة الصلاة، ثم درس «باب وقت الظهر عند الزوال».

الشيخ عدنان المجد

لما انتهى الدرس اتجهنا إلى منزل الشيخ عدنان المجد، وسألني أولاده أن أسمعهم الحديث المسلسل بالأولية، ففعلت، ثم جرى الحديث عن فضائل الشام، كما تحدثنا عن أمور البدع والمحدثات في الدين، وسنقرأ عليه غدًا إن شاء الله تعالى «الأربعين العحلونية».

ووصل اليوم شيخنا نذر الحفيظ الندوي والأستاذ اجتباء الندوي راجعين من القاهرة، لعلني سأقابلهما غدًا إن شاء الله تعالى.



١٧ رجب يوم الاثنين

اليوم كان درسي للطالبات حول موضوع تطور المذاهب الفقهية وأسباب اختلاف الفقهاء، واستمر الدرس حسب العادة من الساعة السابعة إلى الثامنة، وقلت للطالبات: إن هذا آخر درس، لأنني خلال هذه الأيام المتبقية مشغول جدًا.

الشيخ نذر الحفيظ الندوي

وخرجت حوالي الساعة العاشرة والنصف لزيارة شيخنا نذر الحفيظ الندوي والدكتور محمد اجتباء الندوي في الشعلان - شارع الحمراء، وكان اللقاء سارًا، تحدث الشيخ اجتباء الندوي عن قصصه خلال إقامته بدمشق، وتحدثنا عن قبول كتاب شيخنا نذر الحفيظ الندوي عن الإعلام، وأنه كتاب ليس له نظير، وذكر لنا أنه كتب إليه بعض الناس من باكستان: هذا كتاب لا يمكن أن يصدر إلا من ندوي، ورجعت من عندهما حوالي الساعة الثانية عشرة.

الشيخ سلمان الحسيني

ومما سرّني أن شيخنا العلامة المحدث الشريف سلمان الحسيني الندوي اتصل بي هاتفياً صباح اليوم، وسألني عن قضاء وقتي هنا، ثم أمرني أن أتحدث مع المسؤولين هنا عن بعثه مدرس ومدرسة إلى جامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد. وقبول بعض الطلاب منها.

سماع الأربعين العجلونية

«عقد الجوهر الثمين» المعروف بالأربعين العجلونية للشيخ إسماعيل العجلوني جمعها من أربعين كتابًا من كتب الحديث بأسانيدها، وقد اعتاد علماء

الرواية رواية هذه الأربعين عن شيوخهم، وأخذ الإجازة برواية الكتب التي جمعت هذه الأربعين منها، وقد طبع بتحقيق شيخنا محمد مطيع الحافظ، وقد شرحها الشيخ جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ)، وسماه «الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين»، فغني بإيضاح ما يحتاج إليه من بيان أو ترجمة لصاحب الكتاب أو علم وضبط لأسماء الرواة، وتعريف بالكتب، وتصحيح أو هام وقعت للمصنفين، مع فوائد ولطائف مجموعة، مطبوع بتحقيق الأستاذ الجليل عاصم بهجة البيطار.

خرجت اليوم مع أهلي وبناتي لصلاة الظهر في جامع الشيخ أرسلان، حيث كان الموعد مع الدكتور محمد مطيع الحافظ والشيخ عدنان المجد، صلينا الظهر في الجامع، وبدأت الجلسة بإسماع الحديث المسلسل بالأولية من الشيخين، ثم سماع «الأربعين العجلونية» عليهما، معظمها بقراءة صاحبنا محمد بن عبد الله الشعار، وبعضها بقراءة الشيخين المسمعين، وقراءة سعيد ابن المسمع الثاني، وحصل للمستمعين التسلسل بحديث المشابكة من المسمع الأول.

ثم كتب الدكتور محمد مطيع الحافظ السماع بخطه على نسختي من العجلونية وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، سمع علينا كل من المشايخ والشيخات: الشيخ محمد أكرم الندوي، والشيخ محمد الشعار، وفرحانة خاتون زوجة الشيخ محمد أكرم الندوي، وحسنى وسمية وهالة ومريم وفاطمة وعائشة (حضرت) بنات الشيخ محمد أكرم الندوي، والآنسة رشا بنت عبد القادر قبلان.

سمع الجميع هذه الأربعين العجلونية، وقد أجزنا المذكورين والمذكورات بهذه الأربعين، كما أجزنا للجميع إجازة عامة مطلقة بشرطه المعتبر عند أهله، وسمع

من الحديث السادس والعشرين إلى آخرها الشيخ محمد سعيد بن فضيلة الشيخ محمد عدنان المجد، وأجزناه بها مع الإجازة العامة المطلقة. وكتب محمد مطيع بن محمد واصل بن الشيخ عبد الرحيم الحافظ غفر الله له ولوالديه ولأشياخه. وكتب محمد عدنان بن سعيد المجد الحسني غفر الله له ولوالديه ولأشياخه والمسلمين. دمشق جامع الشيخ أرسلان الدمشقي رحمه الله تعالى ١٨ رجب ١٤٢٦ هـ.

وأعطانا الشيخ عدنان المجد إجازته المطبوعة بسماع الأربعين العجلونية مع الأسانيد، أثبت فيها إجازته لي وكتب: وأجزت معه زوجته الفاضلة فرحانة خاتون، وحسني، وسمية، وهالة، وفاطمة، وعائشة بنات الشيخ محمد أكرم الندوي، والآنسة رشا بنت الشيخ عبد القادر قبلان، سمع الجميع الأربعين العجلونية وحديث الأولية حديث الرحمة في مجلس واحد بجامع الشيخ أرسلان الدمشقي، وكل ذلك إجازة عامة مطلقة، نسأل الله القبول والإخلاص. وكتبه محمد عدنان سعيد المجد الحسني.

وبعد ذلك زرنا المكان الذي أقام فيه خالد بن الوليد الصلاة مع المسلمين لما دخل دمشق من باب توما، فإن مسجد الشيخ أرسلان قريب من باب توما، وزرنا ضريح الشيخ أرسلان الدمشقي، وضريح الشيخ صالح فرفور، وضريح الشيخ العجلوني. حيث قرأ كل واحد منا الحديث الأخير من «الأربعين العجلونية»، ودعونا عند قبره الشريف.

رجعنا من جامع الشيخ أرسلان حوالي الساعة الثالثة. وتغدينا قليلاً ثم خرجنا إلى السوق لنشتري بعض الهدايا لأصدقائنا في أوكسفورد، وبقينا بها نحو ساعتين، ثم عدنا إلى المنزل قبيل المغرب.

مأدبة علاء الدين الفرفور

وقد نظّم الأخ علاء الدين فرفور اليوم مأدبة عشاء دعا فيها بعض العلماء وأصدقاءه ليلتقوا بي، حضرت بعد المغرب منزل الأخ علاء الدين فرفور، وحضره من العلماء: الشيخ مجير الخطيب، والشيخ أبو محمود إمام جامع الحيّ وغيرهما، وتحدثت معهم عن وضع الإسلام والمسلمين في بريطانيا، فألقيت الضوء على كل ذلك بتفصيل، ثم حدثتهم عن الإسلام والمسلمين في الهند، وسألوني عن الفرق بين وضع المدارس الإسلامية في بلاد الشام وفي الهند، وكيف أنتجت الهند عالمًا مفكرًا مثل الشيخ أبي الحسن علي الندوي.

ومن أعجب ما سررت به في هذا المجلس أن تعرفت على الشيخ مجير الخطيب، وله إجازة من شيخنا أبي الحسن علي الندوي، وناولته ثبته «نفحات الهند واليمن» تخريجي، ودعاني أن أزوره في الصباح وأفطر عنده.



١٨ رجب يوم الثلاثاء

الشيخ محمد مجير الخطيب

زرت الشيخ مجير الخطيب الساعة التاسعة في الصباح، وأراني نسخة «نفحات الهند واليمن» التي ناوله الشيخ أبو الحسن علي الندوي مقرونة بإجازته العامة، ثم سألته عن ترجمته فأملى عليّ:

هو الشيخ محمد مجير بن محمد أبي الفرج بن عبد القادر بن أبي الفرج -أخي المسند أبي النصر- بن عبد القادر الخطيب الحسني. ولد سنة ١٣٩٠ هـ في دمشق، قرأ على أبيه «موعظة المؤمنين مختصر إحياء علوم الدين» للشيخ جمال الدين القاسمي، ونيل الأوطار، والتاج الجامع للأصول لمنصور ناصف، توفي أبوه أبو الفرج سنة ١٤٠٧ هـ رحمه الله تعالى، فقرأ على الشيخ محمد سكر القرآن الكريم، وحضر دروسه في الفقه الشافعي، وجالس الشيخ محمد أحمد دهمان وهو مؤرخ كبير طبع كثيرًا من الكتب، وكان في آخر عمره يحب من يجالسه، وكان لوالده صلة طيبة به، فكان يرسله إليه ليجالسه ويرتب له مكتبته.

ثم سافر إلى المدينة المنورة سنة ١٤١٠ هـ، وسجل في كلية الحديث في الجامعة الإسلامية، وتعرف على العلماء الشاميين الموجودين بها، وقرأ «كفاية الأخيار» للحصني في الفقه الشافعي على الشيخ محمد الحجار، وقرأ على الشيخ محمد عوامة علم مصطلح الحديث، وكانت له صلة قوية به، وقرأ على الشيخ محمد عبد الله آدو «الموطأ» للإمام مالك رواية يحيى كله، وقرأ على الشيخ حبيب الله قربان «المسلسلات» للشاه ولي الله الدهلوي، وأكرمه الله بقاء الشيخ عبد الفتاح أبو غدة،

وقرأ عليه خاتمة «صحيح مسلم» وأجازه، وكان يترقب قدوم شيخنا أبي الحسن علي الندوي، فقرأ عليه «الأوائل» وأجازه، ثم ناوله ثبته «نفحات الهند واليمن»، ووقع عليه مقررًا بالإجازة، والتقى بالشيخ محمد يونس الجونفوري، والشيخ عبد الله التليدي، واستجازهما، وقرأ القرآن الكريم على أسامة الحجازي رحمه الله تعالى في المدينة المنورة، وعاد إلى دمشق بعد ذلك.

وسجل في جامعة أم درمان فرع دمشق، وسجل رسالة الماجستير، بإشراف الدكتور نور الدين عتر، وناقشها في العام الماضي، ويدرس الآن في معهد التهذيب والتعليم، ومعهد الشيخ بدر الدين الحسني.

ومن مؤلفاته: تحقيق «الإعلام بسن الهجرة للشام» للبقاعي، وتحقيق «مسائل محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن شيوخه»، وألف «نصر الجهادين بقهر العدو»، و«نجاة الأعفاء من أسر عادة الاستملاء»، وأكمل كتاب والده «دار السنة دار الحديث النورية». وسمع المسلسل بالأولية من الفاداني سنة ١٤٠٩ هـ وأجازه إجازة عامة.

ثم سمعت منه المسلسل بسماعه من الفاداني، ويروي مسلسلاً بآل الخطيب عن محمد بن كمال الخطيب عن عمه الشيخ محمد صالح الخطيب عن الشيخ هاشم الخطيب عن الشيخ أبي النصر الخطيب عن والده بأسانيد. وله إعراض عن محمد بن عبد الرزاق الخطيب وأمثاله.

إجازة

أجازني وأولادي إجازة عامة، وأهدى إلي بعض مؤلفاته، واطلعت على رسالته للماجستير «مدار الحديث» في مجلدين، فوجدت فيه ابتكارًا وعلماً عظيماً.

الشيخ كُرَيْم راجح

ثم زرت الشيخ كريم راجح مع الأخ علاء الدين فرفور.

ولد سنة ١٩٢٦ م، وحفظ القرآن الكريم على الشيخ حسين خطاب، ثم قرأ عليه الفرائض والفقه والنحو والصرف والعروض وغير ذلك من العلوم، وقرأ على الشيخ محمد خير ياسين علم النحو، واستفاد منه في مجالس عدة، وقرأ على الشيخ نعيم شقير شيئاً من علم الأصول وشيئاً من علم الصرف، وشيخه الذي تخرج عليه هو الشيخ محمد حسن حبنكة، فكان يعلم الجميع، ويقرئ الأول الثاني، وأخذ الشاطبية عن الشيخ محمد سليم الحلواني حفظاً، وأخذ القراءات عن الشيخ عبد القادر قويدر من عربين، والتحق بجامعة دمشق، ومن خير من تأثر به في الجامعة الدكتور محمد أمين المصري، توفي في مكة المكرمة.

والشيخ لا يرضى بالدراسات الرسمية في القراءات، وقال: الدراسة الرسمية في القراءات أساءت إلى القراءة، والدراسة الرسمية أضاعت العلوم. والشيخ لا يعطي أي قيمة للقب «الدكتور».

وهو معرض عن الإجازات، وذكر أن شيخه محمد حسن حبنكة لم يكن لديه أي اهتمام بالإجازات. وذكر أنه اجتمع بالشيخ الندوي أكثر من مرة في دمشق، وما رأى أكثر منه خشية الله، وكان صديقاً حميماً للشيخ حسن حبنكة، ومرض الشيخ حسن حبنكة فصنع له قصيدة فيها أكثر من بيت، وذكر فيها الشيخ أبا الحسن علي الندوي وأنشدنا بعض أبياتها. والقصيدة موجودة في كتاب عبد الرحمن حبنكة عن والده.

وذكر عن الزمخشري الفرق بين ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وبين «إنما يخشى العلماء الله»، وذكر قراءة شاذة فيها «إنما يخشى الله» برفع اسم الجلالة، رويت عن أبي حنيفة رحمه الله، ومعناها: إنما يجلّ الله العلماء.

إجازة

ثم سألته الإجازة، فقال: مثلك يجاز، وأجيزك بما شئت، ثم قال: زار شيخنا حسن حبنكة الشيخ عبد القادر القصاب، فسأله إعراب ضارب زيد الطويل عمرو القصير» فقال: زيد مرفوع على الفاعلية، والطويل منصوب صفة لزيد في محله، وعمرواً منصوب على المفعولية، والقصير مرفوع صفة لعمرو على محله. لأن كلاً من زيد وعمرو فاعل ومفعول، فقال: مثلك يجاز.

ثم قال: لا بد للرجل من الشيخ، وأنكر التطاول على العلماء. وقال: الذي لم يمت عييه لم يفت، وقال: معاذ الله أن أعلم شيئاً ثم أدافع عنه، وكان الشافعي يقول: أريد أن يظهر الحق ولو على يد غيري. وقال: كان الشيخ الندوي يلتف حوله الشباب من الإخوان المسلمين بصفة خاصة.

ثم كتب لي الإجازة بقوله: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد، فقد شرفني بزيارته الدكتور الأستاذ محمد أكرم الندوي، فاستمتعت بالجلوس معه، وكان يصحبه ابن أخينا الحبيب الأستاذ علاء الدين فرفور بن الشيخ الدكتور حسام الدين فرفور، وقد جرت في الجلسة أحاديث علمية واجتماعية رأيت فيها الشيخ على قدم راسخة، وأنا أسأل الله له التوفيق فيما يعلم ويكتب ويعظ ويرشد.

وقد أحسن بي الظن، جزاه الله خيراً، وطلب إليّ أن أجيزه بمعلوماتي، فاعتذرت لقلّة بضاعتي، ولمعرفتي بنفسي، فحرص على ذلك، ولمّا رأيت أهلاً في علمه وصلاحه، وحسن سمته، رأيت أن أجيب طلبه. ولذلك فأنا أجيزه بمعلوماتي كلها وأرجو له ولي الخير، علماً بأنني أنا المحتاج إلى أن آخذ الإجازة منه.

اللهم اهدنا للعلم الصحيح، ووفقنا لنعمل به وننشره، إنك على كل شيء قدير.
كريم راحج في ١٩ رجب الفرد ١٤٢٦ هـ.

الشيخ عبد الكريم الهندي

خرجت مع أهلي وبناتي بعد الساعة الواحدة إلى السوق في شارع الحمراء،
حيث تناولنا الغداء وقضينا عدة ساعات في التسوق.

ثم خرجت في الساعة الرابعة إلى شارع بغداد، حيث اجتمعت بالأخ محمد وائل
الحنبلي والأخ محمد الشعار، واستأجرنا سيارة إلى قرية بيت سحم، زرنا فيها الشيخ
عبد الكريم بن محمود بن سعيد الهندي السحمانى نسبة إلى بيت سحم في الساعة
الخامسة.

ولد سنة ١٩٣٤ م، وتوفي والده سنة ١٩٨٣ م، وتخرج من كلية الشريعة ثم من
كلية التربية، وأخذ عن الشيخ أحمد التلمساني، وعن مكّي الكتاني، قرأ عليه رسالة روح
القدس في محاسبة النفس، وأجازته الشيخ مكّي الكتاني إجازة شفهية، وأجازته والده
الشيخ محمود إجازة عامة.

ولوالده إجازة عامة من الشيخ مكّي الكتاني، وقرأ والده على الشيخ مكّي الكتاني
الكتب الستة وإيقاظ الهمم وشرح الحكم، وأخذ الشيخ عبد الكريم الطريقة عن
والده، وعمه الشيخ أحمد وعن السيد مكّي الكتاني.

سماع وإجازة

سمعنا على الشيخ عبد الكريم الهندي «رسالة روح القدس في محاسبة النفس»
لابن العربي بقراءة وائل من أوله إلى قوله: العفو والعافية في ذلك لنا وللمسلمين.

وسمعنا عليه كتاب «مشكاة الأنوار فيما روي عن الله سبحانه من الأخبار» لابن
العربي بقراءة وائل من أوله إلى نهاية الحديث الثالث، وأجاز لنا ولأزواجنا وأولادنا
إجازة عامة.

ثم عدت إلى منزلي، وقد وعد الشيخ يعقوبي أن يقرأ لي ولبناتي «الموطأ»
برواية أبي مصعب الزهري ويختمه في ثلاثة أيام، وانتظرناه طويلاً فلم يصل، فنمنا
مبكرين.



١٩ رجب يوم الأربعاء

مغارة الدم

خرجنا اليوم الساعة الخامسة صباحًا في جماعة من الشبان من آل فرفور في قيادة الأخ علاء الدين فرفور، ومعنا الأخ وائل الحنبلي كذلك، لزيارة مغارة الدم ومقام الأربعين في قمة جبل قاسيون، كان الصعود طويلًا وشاقًا أحيانًا، فلما وصلنا إلى المقام وجدناه مقفلًا، فرأينا أن ننتظر قليلًا حتى يأتي الخادم. واغتمنا الفرصة وسألنا الأخ محمد وائل أن يقرأ لنا ما جمع من المعلومات عن مغارة الدم منذ عشر سنوات، وكان ملخص ذلك أن الأحاديث الواردة في فضل المقام كلها إما موضوعة أو منكرة نكارة شديدة، ثم استورد نصوصًا من كتب التراجم والتاريخ أن العلماء والصالحين ما زالوا يقصدونه للاعتكاف فيه أو العزلة أو التبرك به. ومن الصالحين الكبار الذين قصدوه الحافظ أبو عمر المقدسي.

وبعد انتظارنا ساعة تقريبًا، جاء الخادم ففتح المقام، وشرح لنا قصة مغارة الدم ومقام الأربعين، ورأينا تلك الصخرة التي عليها أثر الدم، ولا ندري حقيقته.

وقد ذكره ياقوت الحموي في مادة دمشق من معجمه: وقال أهل الثقة من أهل السير أن آدم عليه السلام كان ينزل في موضع يعرف الآن ببيت أنات وحواء في بيت لهما وهابيل في مُقَرَى وكان صاحب غنم وقابيل في قُنيّة وكان صاحب زرع، وهذه المواضع حول دمشق، وكان في الموضع الذي يعرف الآن بباب الساعات عند الجامع صخرة عظيمة يوضع عليها القربان فما يقبل منه تنزل نار تحرقه وما لا يقبل بقي على حاله، فكان هابيل قد جاء بكبش سمين من غنمه فوضعه على الصخرة،

فنزلت النار فأحرقته، وجاء قابيل بحنطة من غلته فوضعها على الصخرة فبقيت على حالها، فحسد قابيل أخاه وتبعه إلى الجبل المعروف بقاسيون المشرف على بقعة دمشق، وأراد قتله فلم يدر كيف يصنع، فأتاه إبليس فأخذ حجراً وجعل يضرب به رأسه، فلما رآه أخذ حجراً فضرب به رأس أخيه فقتله على جبل قاسيون، وأنا رأيت هناك حجراً عليه شيء كالدّم يزعم أهل الشام أنه الحجر الذي قتله به، وأن ذلك الاحمرار الذي عليه أثر دم هابيل، وبين يديه مغارة تُزار حسنة يقال لها مغارة الدّم لذلك، رأيتها في لحف الجبل الذي يعرف بجبل قاسيون.

وبقينا قليلاً، ثم رجعت أنا وأهلي إلى المنزل قبل الساعة الثامنة والنصف، فإن لبناتي دروساً في الصباح.

مكتب الطيران

وخرجت بعد الظهر إلى مكتب الطيران السوري قريباً من محطة الحجاز، وأكدت حجز التذاكر، ثم مررت بباعة الكتب على أرصفة الشوارع، واشترت نسخة من طبعة محققة للشمائل المحمدية للإمام الترمذي.

قراءة الموطأ

ووصل الشيخ اليعقوبي اليوم مع زوجته الثانية مريم في الساعة السابعة، وقرأ لنا «الموطأ» برواية أبي مصعب الزهري، سمعته أنا وزوجتي وبناتي وزوجة الشيخ اليعقوبي، وقرأ إلى نهاية باب «في القنوت» أي قبل كتاب الجمعة «باب ماجاء في غسل يوم الجمعة».

وخلال القراءة جاء الأخ محمد مجير الخطيب لزيارتي ومعه نسخة من كتابه «دار الحديث النورية»، وقررنا أن نزور دار الحديث النورية صباح يوم الجمعة.

٢٠ رجب يوم الخميس

مع الأخ عمر النشوقاتي

اتصل بي صباح اليوم الأستاذ ماجد الدرويش وأخبرني أنه قادم الآن من طرابلس لبنان إلى دمشق للقائي، فقلت للشيخ: إن لي موعدًا مع الأخ عمر النشوقاتي في الساعة الحادية عشرة وبعد ذلك سأزوره، فقال الشيخ: إنه ينتظرنني في مكتبة الغوثاني في الحلبوني، خرجت في الساعة العاشرة والنصف إلى الأخ عمر النشوقاتي، وأخذت منه صور الأوراق التي أحتاج إليها، وفيها رسالة في ترجمة أبي النصر الخطيب من تأليف عبد الستار الدهلوي، وهي رسالة قيمة، ثم سألت الأخ عمر أن يصور لي كذلك إجازات الشيخ يعقوبي، فلعلي أستفيد منها خلال إعدادي لثبته.

وخرجت من عنده وتواعدنا أن نلتقي في مكتبة الغوثاني، ثم نتغدى معًا، استأجرت سيارة إلى الحلبوني، وبحثت عن دار عبادة حيث أمان لي الأخ النشوقاتي نسخة من السماعات الدمشقية، فاشترت النسخة وهي في مجلدين، ودفعت الثمن ألفين ومئتين وخمسين ليرة سورية.

الشيخ ماجد الدرويش

وصلت إلى مكتبة الغوثاني قبل الساعة الثانية عشرة، واستقبلني الشيخ ماجد الدرويش استقبالًا حارًا.

وهو الشيخ ماجد بن أحمد نيازي بن الشيخ محمود بن ديب الدرويش الحسيني الحنفي الطرابلسي. ولد في طرابلس سنة ١٣٨١ هـ، ومن شيوخه: الشيخ محمود عبود هر موش الشافعي الطرابلسي الأصولي، والشيخ محمد معتصم بالله

البغدادي الطرابلسي، والشيخ حسين بن أحمد عسيران، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة، والشيخ عبد الرحمن الشاغوري، والشيخ محمد بن علوي المالكي، والشيخ المعمر عبد الله بن أحمد الناهبي، والشيخ زين العابدين الجذبة، والسيد محمد الفاتح الكتاني، والشيخ محمد ديب الكلاس، والشيخ أحمد نصيب المحاميد، والشيخ وصفي المسدي، والشيخ محمد عوامة، والشيخ نور الدين عتر، والشيخ محمد تيسير المخزومي.

وله: الفوائد المستمدة من تحقیقات العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في علوم مصطلح الحديث، والخلاف العلمي بين المسلمين، وقفات تربوية مع الإمام الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، والإمام الشهيد حسن البنا رجل قل أن وجود الزمان بمثله، وكشف الغطاء عن حكم الموسيقى والغناء.

وقدّم إليّ نسخة من كتابه المطبوع حديثاً عن إفادات شيخنا عبد الفتاح أبي غدة رحمه الله في مجال أصول الحديث، ثم سألتني عن الشيوخ الذين لقيتهم، فلما ذكرت الشيخ وصفي المسدي أثنى عليه خيراً، وقال: الشيخ وصفي يروي عن عبد القادر الخوجة، وعن خالد الأتاسي، وقال: درّس عبد القادر الخوجة حاشية ابن عابدين اثنتي عشرة مرة في جامع حمص الكبير.

ثم جرى ذكر شيخنا عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله، فذكر بعض كلماته الجامعة: «مجد التاجر في كيسه، ومجد العالم في كراريسه»، و«دارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم». وأنشد للشيخ رحمه الله تعالى:

عليك بأرباب الصدور فمن غدا	مضافاً لأرباب الصدور تصدردا
وإياك أن ترضى بصجبة ناقص	فتنحط قدراً من علاك وتحقرا
فرفع (أبو من) ثم خفض (مزمّل)	يبينّ قولي مغرياً ومحدّراً

يريد أن «من» له صدر الكلام، فلما أضيف إليه «أبو» تصدر كذلك، بينما «مزمل» جرّ لجوار المجرور في البيت التالي:

كأن ثيّرًا في عرائن وبله كبير أناس في بجاد مزمل
ثم أنشد الشيخ ماجد الدرويش للشيخ بشير الغزي من حلب:
رأيت الطين في الحمام يومًا بكف الحب أثر ثم نسّم
فقلت له أمسك أم عبير لقد صيرتني بالحب مغرم
أجباب الطين أني كنت تربًا صحبت الورد صيرني مكرم
ألفت أكابرًا وازددت علمًا كذا من يصحب العلماء يكرم

الشيخ يحيى الغوثاني

ثم وصل الدكتور يحيى بن عبد الرزاق الغوثاني صاحب مكتبة الغوثاني، وقيم في جدة ودمشق، وقد حصل على إجازات عالية، وله عناية بالقراءات وعلوم القرآن الكريم. أخذنا إلى مطعم جنب جامعة دمشق، مررنا من خلال المكاتب الإدارية للجامعة، وجلسنا في كافيتريا المعلمين حيث تناولنا شراب الليمون، وأملى عليّ ترجمة حياته، إنه تخرج في معهد الفرقان للعلوم الشرعية في دمشق عام ١٩٨٠م. وتخرج في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية الشريعة عام ١٩٨٥م، وحصل على الماجستير في الدعوة والدراسات الإسلامية من مكة المكرمة ١٩٨٨م. وحصل على الدكتوراه سنة ١٩٩٧م قسم التفسير وعلوم القرآن من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بأم درمان، وتخصصه الدقيق: علم القراءات.

حفظ القرآن الكريم، وجمع القراءات العشر. ومن مؤلفاته:

١- كيف تحفظ القرآن الكريم، قواعد أساسية وطرق عملية.

٢- فن الإشراف على الحلقات والمؤسسات القرآنية، دراسة تأصيلية ميدانية.

٣- علم التجويد أحكام نظرية وملاحظات عملية تطبيقية للمدرسين. وغير ذلك.

سماع وإجازة

سمعت منه المسلسل بالأولية، وقد سمعه من سبعين شيخاً أو أكثر، أعلاهم: الشيخ الفاداني، والشيخ عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، وعبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري، والشيخ إبراهيم بن داود الفطاني. ومما قرأ على الفاداني: صحيح البخاري، وسنن أبي داود، والأوائل السنبلية، والمناهل السلسلة لعبد الباقي اللكنوي، ومسلسلات عمر حمدان المحرسي، ومن شيوخه المجيزين شيخنا عبد الفتاح أبو غدة، وعبد الفتاح راوه، وعبد القادر السقاف، ومحمد بن سليمان الأهدل إلى نحو ١٧٠ شيخاً.

تسوق وغداء

رجعت مع الشيخ ماجد الدرويش والشيخ الغوثاني إلى مكتبته، حيث أهدى إليّ مؤلفاته، ثم وصل الأخ عمر النشوقاتي، وحرصت على أن يتناول الشيخ ماجد الدرويش الغداء هنا، ولكنه اعتذر وغادر إلى لبنان في الساعة الثانية والنصف، ثم خرجت مع الأخ عمر النشوقاتي، واشترت عطور المسك، والعسل، وصوّرنا إجازات الشيخ اليعقوبي، ثم تغدينا في مطعم في شارع خالد بن الوليد قرب جامع زيد بن ثابت، وكان الغداء البيّزا.

قراءة الموطأ

ورجعت إلى المنزل قبل الساعة الخامسة، وانتظرنا الشيخ اليعقوبي فلم يصل إلا بعد الساعة الثامنة، فسمعت منه بعض نصوص «الموافقات» عن الإفشاء، وبدأ قراءة «الموطأ» بعد الساعة التاسعة، وقرأ إلى نهاية باب السبحة قبل صلاة العيدين.

٢١ رجب يوم الجمعة

دار الحديث النورية

اليوم لي موعد مع الشيخ مجير الخطيب لزيارة دار الحديث النورية، فنزلت إلى الشارع في الساعة الخامسة إلا الربع، وفي الطريق شرح لي الأخ مجير تاريخ كثير من الآثار، فلما مررنا بقبر أبي الدرداء رضي الله عنه قريبا من الجامع الأموي، قال: ذكر ابن حبان أنه زار قبره في مقبرة باب الصغير. وذكره ابن كثير كذلك. لما دخلنا الجامع الأموي سألته عن مقام رأس الحسين، فقال: اخترعه الفاطميون خلال حكمهم، والشيعية ما زالوا يخترعون أضرحة لآل البيت، وأخيرا ابتدعوا في بلاد الشام آثارا يزورها ويتبركون بها.

صلينا الفجر في الجامع الأموي خلف الشيخ نزار الخطيب، وبعد الصلاة ذكر لي الأخ مجير أن نصف المسجد كان مسجدا منذ الفتح، وصلى فيه أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والنصف الثاني أخذه الوليد بن عبد الملك من النصارى بعد سبعين أو ثمانين سنة من الفتح، وجاء أنس بن مالك إلى الشام فدخل جامع دمشق، وقال: لم يبق شيء من عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا هذه الصلاة، وقال: وهذه الصلاة قد ضيعت. لما خرجنا من الجامع الأموي أشار الأخ مجير إلى جدار في المباني المواجهة عن يمين الخارج وقال: هذا موضع المدرسة الصادرية، وهي أول مدرسة بنيت في دمشق في القرن الخامس الهجري، وكانت لاصقة بالجامع، ولم يبق منها الآن إلا جدار. ثم أخبرني بالمئذنة التي كان الإمام الغزالي يعتكف فيها.

ثم دخلنا دار الحديث النورية، أنشأها السلطان نور الدين الشهيد سنة ٥٥٩هـ، وأول من درّس الحديث فيها الحافظ ابن عساكر، واستمر التحديث فيها إلى مدة طويلة، وأخيراً آل الامر إلى آل الخطيب، والأخ مجير هو الذي يملك مفتاحها الآن. ويواجه المضايقات أحياناً بسبب هذه الدار، وسألني الأخ مجير: هل تجد أهل الشام أقرب إلى البريلوية، فقلت: إن أهل الشام في أمر وسط بيننا وبين البريلوية، إني وإن كنت أعارض الأمور المحدثّة في الدين، ولكنني أكره إثارة الخلافات بين المسلمين وشق صفوفهم، وهنالك قضايا أهم بالنسبة إلى المسلمين، فلا ينبغي أن نتجادل في هذه الأمور أمام عامة الناس فنولي عن قلوبهم مهابة الدين.

رحلة إلى بصرى

خرجنا من دمشق في الساعة السابعة والنصف لزيارة بصرى ونوى، وقررنا أن نزور بصرى أولاً، ثم نخرج على نوى في طريق عودتنا، أخذنا طريق درعا والأردن، ومررنا خارج دمشق بمكان يسمى القدم، ويقال: إن آدم عليه السلام نزل فيها، ومررنا بمدينة الكسوة، ودير علي وجبال حوران، ودخلنا في حدود درعا في الساعة الثامنة، ثم مررنا بمقام حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، واقتربنا من حدود الأردن، الأردن من هنا على بعد خمسة عشر كيلو متراً، وتركنا درعا وراءنا متجهين إلى بصرى الشام، والمزارع هنا خضراء، فيها بساتين الزيتون والعنب، ومررنا بمدينة صيدا، ومررنا بقرية السهوة، ودخلنا في بصرى الساعة التاسعة.

بصرى

تقع بصرى في سهل حوران بمحافظة درعا، وتبعد عن مدينة دمشق ١٤٠ كيلو متراً وعن مدينة درعا ٤٠ كيلومتراً. وهي مدينة قديمة أتى على ذكرها ألواح

تحتل تحتل الثالث وأخاتون في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. كانت أول مدن الأنباط في القرن الثاني قبل الميلاد، وكانت عاصمة ولاية الجزيرة العربية عام ١٠٦ م، وقد عرفت المدينة آنذاك ازدهاراً عمرانياً كبيراً إذ كانت مركز التقاء طرق القوافل ومحل إقامة الحاكم الإمبراطوري، وبعد انتهاء الحكم الروماني ظلت بصرى تلعب دوراً هاماً في العهد الأول للمسيحية، كما ارتبطت أيضاً بتاريخ فجر الإسلام.

بصرى القديمة كلها آثار، ومبانيها حجرية قديمة تدل على ما كان لها من أهمية من أجل موقعها الإستراتيجي، فإنها كانت نقطة هامة للتجارة الدولية، ومن ثم تطورت تطوراً كبيراً جداً.

الجامع العمري

الجامع العمري، ويسمى جامع العروس، منسوب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، زرنه من الخارج، فإنه كان مقفلاً، وهو مبنى حجري قديم، يرجع مبناه الحالي إلى ٥٠٦ هـ.

جامع مبرك الناقة

وزرنا جامع مبرك الناقة، وبنائه الحالي يرجع إلى ١٣٦٦ م، يقع في الزاوية الشمالية الشرقية من سور المدينة، فيه بركت الناقة التي حملت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ويروى أنه بني فوق الأرض التي أقام عليها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما حضر إلى بصرى.

وكان الجامع مركزاً دينياً وثقافياً للتدريس وتحصيل العلوم. يتألف الجامع من ثلاثة أقسام، لكل منها محرابه، أما البقعة التي ركعت عليها الناقة فقد وضعت أمام المحراب في الشمال الغربي الذي تعلوه قبة بنيت زمن الأمير أبي منصور الأتابكي

سنة ٥٣٠هـ، والحائط الشمالي للجامع يحمل تقليد الفن الروماني ببنائه ونقوشه، أما القسم الشرقي فقد جدد خلال العهود المتلاحقة، وتحيط بالجامع مقبرة قديمة تعود إلى فترات زمنية مختلفة.

مدرسة أبي الفداء

وزرنا مدرسة أبي الفداء «الدباغة» والبركة، والتي بنيت سنة ١٢٢٥م.

دير بحيرا الراهب

وزرنا دير بحيرا الراهب الذي بني في القرن الرابع الميلادي.

الكاتدرائية

وزرنا الكاتدرائية «الكنيسة الكبرى» البيزنطية، التي بنيت سنة ٥١٣م.

قلعة بصرى ومسرحها

ومن أهم المعالم التاريخية في مدينة بصرى قلعتها التي تتوسط المدينة بجلال ووقار ترحب بالقادمين من كافة أصقاع العالم لمشاهدتها، تلك القلعة التي تحيط بالمسرح النصف دائري، وهي عبارة عن تحصينات أيوبية وأبراج عند الزوايا الشمالية الشرقية والشمالية الغربية، وتضم الأسوار العلوية حاليًا متحفًا، والبرج الشمالي الشرقي، والبرج الجنوبي الغربي ومجموعة فنون شعبية ومقهى ومجموعة من المنحوتات الرومانية والمخطوطات الرومانية والعربية.

ويقع ضمن القلعة المسرح الروماني الشهير الذي يعود للقرن الثاني الميلادي، ويعتبر أكمل وأجمل المسارح الرومانية، حيث تتسع مدرجاته لخمسة عشر ألف متفرج، وقد أعيد إنشاء جزء كبير من المسرح في العصر الأيوبي.

وأول شيء زرناه في بصرى هي القلعة الأيوبية ومسرحها، ولعل إنشاء المسرح الروماني فيها مرده إلى ثراء المدينة ورفاهيتها، إذ كانت مركزاً للتجارة الدولية وملتقى هاماً للقوافل العالمية.

ومن أهم آثار بصرى

ومن أهم آثار بصرى الباب الغربي أو ما يعرف بباب الهوى، والحمامات الرومانية «من القرن الثاني الميلادي»، ومعبد حوريات الماء، والسوق الرئيسية «خان الدبس»، والحمام الإسلامي «من القرن السابع الميلادي»، وقصر الإمبراطور تراجان «من القرن الثاني الميلادي»، وقوس النصر الروماني «من القرن الثالث الميلادي»، والسوق الأرضية أو السوق تحت الأرض، وسرير بنت الملك «الكلبية»، وجامع فاطمة، والباب النبطي «من القرن الأول الميلادي».

شلالات تل شهاب

خرجنا من بصرى تجاه درعا، راغبين في أن نشاهد الشلالات الشهيرة في تل شهاب على الحدود السورية الفلسطينية الأردنية، ومررنا من داخل مدينة درعا، التي تبعد عن دمشق مئة كيلو متر، ومن آثارها المدرج الروماني، والمسجد العمري، والكهوف والسوق القديمة والحمامات الرومانية، وتعتبر محافظة درعا مدينة هامة سياحياً وغنية بالمناطق السياحية الجميلة، وتعتبر المحافظة المتنفس أو الرئة لمدينة دمشق، وتعتبر من أنشط المحافظات في السياحة الداخلية.

وخرجنا من درعا حتى اقتربنا من مرتفعات الجولان، ووصلنا إلى تل شهاب، وهي على بعد خمسة عشر كيلو متراً إلى الغرب من مدينة درعا، وقيل لنا: إن تل شهاب تتميز بمناظرها الطبيعية الخلابة، ومن أهم الآثار فيها سورها وطواحينها المائية الرومانية، وعلى جانب هذه الشلالات تقع القرية القديمة.

زرنا موقع شلالات شهاب، ولكنها تتوقف في الصيف، وإنما تعمل في الشتاء.
وتنحدر مياهها في وادي اليرمرك، وقيل لنا: هذا هو موقع المعركة الحاسمة بين
المسلمين والروم قريباً من نهر اليرمرك.

بحيرة المزيريب

زرنا بحيرة المزيريب الغنية بمياهها العذبة، وتقع على بعد اثني عشر كيلو متراً
إلى الغرب من مدينة درعا، وتشتهر بمناظرها الخلابة وبحيرتها الواسعة وطواحينها
المائية القديمة، وفيها ماء كثير يروي حوالي خمسين بالمئة من سكان محافظة
السويداء، تزدهم البحيرة بالسائحين، حيث يسبحون ويركبون السفن، ويستمتعون
بمنتزهاتها، ويمتطون الأفراس في ساحتها، وقفنا هنا لوقت قصير، لدنو وقت صلاة
الجمعة، وأسرعنا متجهين إلى نوى.

قرية الشيخ سعد

ثم دخلنا قرية الشيخ سعد، وهنا زرنا قبر النبي أيوب عليه السلام في حجرة،
وبجانبه قبر أحد أولاده، ثم زرنا النبع الذي قال عنه القرآن الكريم: ﴿هَذَا مَوْسَىٰ بَارِدٌ
وَشَكَبٌ﴾.

نوى

دخلنا قبيل الساعة الواحدة في نوى، وهي قرية من قرى حوران، تقع غرب خط
دمشق - درعا، فيها آثار عديدة، أهمها قبر الإمام النووي صاحب كتاب «رياض
الصالحين»، صلينا الجمعة في جامع نوى، وكانت الخطبة طويلة على عادة الخطباء في
البلدان العربية.

وبعد الصلاة زرنا مقام الإمام النووي رحمه الله، وهو الإمام الحافظ شيخ

الإسلام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مُرِّي بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام، النووي ثم الدمشقي الشافعي، شيخ المذاهب وكبير الفقهاء في زمانه.

ولد في المحرم ٦٣١هـ في قرية نوى من أبوين صالحين، ولما بلغ العاشرة من عمره بدأ في حفظ القرآن وقراءة الفقه على بعض أهل العلم هناك، وفي سنة ٦٤٩هـ قَدِمَ مع أبيه إلى دمشق لاستكمال تحصيله العلمي في مدرسة دار الحديث، وسكن المدرسة الرواحية، وهي ملاصقة للمسجد الأموي من جهة الشرق. وفي عام ٦٥١هـ حجَّ مع أبيه، ثم رجع إلى دمشق.

أجمع أصحابُ كتب التراجم أن النووي كان رأساً في الزهد، وقدوة في الورع، وعديم النظير في مناصحة الحكام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبدأ التأليف عام ٦٦٠هـ وكان قد بلغ الثلاثين من عمره، وقد بارك الله له في وقته وأعانه، فأذاب عُصارة فكره في كتب ومؤلفات عظيمة ومدهشة، تلمسُ فيها سهولة العبارة، وسطوع الدليل، ووضوح الأفكار، والإنصاف في عرض آراء الفقهاء، وما زالت مؤلفاته حتى الآن تحظى باهتمام كل مسلم، والانتفاع بها في سائر البلاد.

ومن أهمها «شرح صحيح مسلم»، و«المجموع شرح المذهب»، و«رياض الصالحين»، و«تهذيب الأسماء واللغات»، و«روضة الطالبين وعمدة المفتين»، و«المنهاج في الفقه»، و«الأربعين النووية» و«التيان في آداب حَمَلَةِ القرآن»، و«حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار»، و«الإيضاح في المناسك».

وفي سنة ٦٧٦ هـ رجع إلى نوى بعد أن ردّ الكتب المستعارة من الأوقاف، وزار مقبرة شيوخه، فدعا لهم وبكى، وزار أصحابه الأحياء وودّعهم، وبعد أن زار والده زار بيت المقدس والخليل، وعاد إلى نوى فمرض بها، وتوفي في ٢٤ رجب، ولما بلغ نعيه إلى دمشق ارتجت هي وما حولها بالبكاء، وتأسف عليه المسلمون أسفاً شديداً، وتوجّه قاضي القضاة عزّ الدين محمد بن الصائغ وجماعة من أصحابه إلى نوى للصلاة عليه في قبره، ورثاه جماعة، منهم محمد بن أحمد بن عمر الحنفي الإربلي:

عزّ العزاء وعمّ الحادث الجلل	وخاب بالموت في تعميرك الأمل
واستوحشت بعدما كنت الأنيس لها	وساءها فقدك الأسحار والأصل
وكنت للدين نوراً يُستضاء به مسدّد	منك فيه القول والعمل
زهدت في هذه الدنيا وزخرفها	عزماً وحزماً ومضروب بك المثل
أعرضت عنها احتقاراً غير محتفل	وأنت بالسعي في أخراك محتفل

وقفت عند ضريحه، وتمليت عظمة ذلك الإمام الذي عرف بتبحره في الحديث وعلومه والفقه الشافعي، وورعه وتقواه. وكان شيخنا شهاب الإصلاحي يفضل شرح الإمام النووي لصحيح مسلم على شرح الحافظ ابن حجر للبخاري فيما يرجع إلى المعاني الحديثية. وإن كان الحافظ يفوقه في شرح ما يتعلق بالأسانيد والرجال^(١).

وأذكر هنا إسنادي للأربعين النووية، أخبرنا الحافظ أبو زاهد الحلبي وجماعة عن الحافظ محمد عبد الحي الكتاني، عن والده السيد عبد الكبير بن محمد الكتاني الحسني الفاسي المغربي، عن المحدث العلامة الشيخ عبد الغني الدهلوي المدني، عن والده المحدث العلامة أبي سعيد الشيخ أحمد الدهلوي والمحدث الشيخ

(١) انظر: طبقات السبكي (٨/ ٣٩٥ - ٤٠٠)، وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٧٠ - ١٤٧٤)، والبداية والنهاية

محمد إسحاق بن مولانا أفضل الدهلوي، كلاهما عن المحدث الشيخ عبد العزيز الدهلوي، عن والده المحدث العلامة ولي الله الشيخ أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، عن المحدث العلامة الشيخ عبد الرحمن النخلي المكي، عن والده الثبت المسند الشيخ أحمد بن محمد النخلي المكي، عن المحدث العلامة الشيخ عبد الله بن محمد الديري، عن المحدث العلامة الشيخ نور الدين علي المصري الأزهري السنهوري، عن الشهاب أحمد بن محمد بن حمزة الرملي الكبير، عن الشمس محمد بن عبد الرحمن السخاوي المصري ثم المدني، عن أبي هريرة عبد الرحمن بن محمد القبايبي، عن الراوية المحدث العلامة محمد بن إسماعيل الشهير بابن الخباز، عن المؤلف الحافظ محيي الدين أبي زكرياء الإمام يحيى بن شرف النووي رضي الله عنه، بما في الأربعين النووية، وبما في سائر مصنفاته.

وبسند أعلى بدرجتين عن سيدي الشيخ المعمر أحمد نصيب المحاميد رحمه الله تعالى وجماعة، عن المحدث الأكبر محمد بدر الدين الحسيني الدمشقي، عن إبراهيم السقا، عن الشيخ ثعلب، عن الشهاب الملووي، عن عبد الله بن سالم البصري، عن البابلي، عن السنهوري، عن الغيطي، عن زكريا، عن ابن حجر، عن أبي إسحاق التنوخي، عن علي بن إبراهيم بن داود العطار، عن الإمام النووي.

وبسند أعلى بثلاث درجات، من طريق روايتنا عن الشيخ محمد بن عبد الرزاق الخطيب الدمشقي الصالحي، عن أبي النصر بن عبد القادر الخطيب، عن عبد الله التلي، عن عبد الغني النابلسي، عن النجم محمد بن البدر محمد بن رضي الدين الغزي، عن والده البدر، عن الزين زكريا، عن ابن حجر، عن أبي إسحاق التنوخي، عن علي بن إبراهيم بن داود العطار، عن الإمام النووي.

وتغدينا في مطعم قريب من مقام الإمام النووي رحمه الله تعالى.

الماء المعدني

وخرجنا من نوى حوالي الساعة الثانية والنصف، ووصلنا إلى مكان قريب من قرية جباب، حيث تم اكتشاف مياه معدنية كبريتية، وهو على بعد أربعين كيلو متراً من دمشق، وماؤها صالحة وشفاء، وقد طوّروا المكان تطويراً، وجعلوا فيه حمامات للرجال وحمامات للنساء وحمامات للعائلات، ويدّر على أصحابها بأموال غزيرة، شاهدنا هذه الحمامات، ولكن لم يكن عندنا وقت كاف لاستعمالها.

معرض دمشق الدولي للكتاب

وصلنا إلى دمشق في الساعة الرابعة والربع، واسترحنا قليلاً، وبعد المغرب زرنا معرض الكتاب الحادي والعشرين في مكتبة الأسد، ولم يكن عندنا وقت كثير، فرجعنا قبيل العشاء، والمعرض كأنه مهرجان كبير حافل بالزوار، يحتل معرض دمشق الدولي للكتاب مكانة بارزة بين المعارض العربية، ففي كل دورة جديدة ثمة تطور في جهة التنظيم وفي جهة المشاركة، بلغ عدد دور النشر التي شاركت في المعرض أكثر من ٤٢٠ داراً جاءت من تسع عشرة دولة عربية وأجنبية، لتعرض أكثر من ٤٠ ألف عنوان في شتى حقول الفكر والفنون والآداب.

قراءة الموطأ

وصلينا العشاء مع الشيخ اليعقوبي في جامع الخياط، وبعد الصلاة سمعنا عليه «الموطأ» برواية أبي مصعب، معظمه بقراءته، وقرأ إلى نهاية كتاب الزكاة. وهذا آخر يوم لقراءة «الموطأ». والحمد لله على أنه حصل سماع لجميع بناتي وحضور لعائشة، وأجازهن جميعاً.

٢٢ رجب يوم السبت

درس سنن الترمذي

حضرت في الساعة الخامسة والنصف صباحًا في بيت الأخ الشيخ مجير الخطيب، فإن عنده اليوم درسًا في «سنن الترمذي»، يقرؤونه سرّداً مع ضبط للمتن، وكان عنده ثلاثة طلاب من داغستان، وطالب من دمشق، وسمعت بقراءته تفسير سورة البقرة بكامله من كتاب التفسير من جامع الترمذي، وقابلت هنا أخاه أحمد معاذ الخطيب، وكان خطيباً بالجامع الأموي ثم عزل، وهو رجل ذكي عالم، وقد زار بريطانيا عدة مرات، وهو رئيس مجلس الإدارة لجمعية التمدن الإسلامي.

مع الشيخ محمد مطيع الحافظ

واليوم لي موعد مع الدكتور محمد مطيع الحافظ، وصلت إلى منزله في الساعة الثانية عشرة، وهو كذلك يقضي فترة إجازة هنا، وسيعود بعد عشرة أيام إلى دبي، أهدى إليّ بعض مؤلفاته وكتاباته، وقال لي: سيرسل إليّ صور إجازاته وأوراقه الأخرى من دبي، وذكر لي أنه يعمل الآن كتاباً في أنساب الدمشقيين.

مع الشيخ عدنان المجد

ثم ذهبت إلى جامع الشيخ أرسلان، حيث صليت الظهر خلف الشيخ عدنان المجد، وجلست معه قليلاً، وأخذت من عنده نسختي من «تاريخ علماء دمشق»، وقد وضعها عنده الأخ محمد بن عبد الله الرشيد، واستجازني لنفسه ولأولاده، فأجزتهم، ووعدت بأنّي سأرسل الإجازة الخطية من إنكلترا، وحاولنا من عنده الاتصال بالأخ محمد بن عبد الله الرشيد فلم أنجح، ثم رجعت في الساعة الثانية إلى المنزل.

مع الشيخ يعقوبي

خرجت مع أهلي وبناتي في الساعة الثالثة إلى منزل الشيخ يعقوبي، وأعطاني أوراقًا وكتيبات من الإجازات، ورأيت عنده ترجمة ذاتية لوالده السيد إبراهيم يعقوبي، ذكر فيها سماع الشيخ محمد يعقوبي من مكّي الكتاني المسلسل بالأولية، وحضور دروسه الخاصة والعامة والإجازة.

سماع عليه

ثم سمعنا عليه «فضائل الشام ودمشق» لأبي الحسن علي بن محمد الربعي المالكي المتوفي سنة ٤٤٤ هـ كاملاً، وكتب:

الحمد لله، وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وآله وسلم. سمع جميع هذا الجزء المسمى بفضائل الشام ودمشق للإمام علي بن محمد الربعي المالكي بقراءة كاتبه: الأخ الفاضل المذهب الكامل المحدث المسند الفقيه المحقق النفاة النبيه الشيخ محمد أكرم الندوي، وذلك في مجلس واحد بعد العصر في يوم السبت ١٩ رجب الفرد ١٤٢٦ هـ، وسمع معه الشيخ الفاضل جمعة الأشرم الحسيني الديري، وذلك في دارنا بظاهر دمشق، وأجزتهما بروايته نفعهما الله به، وأجرى الخير على أيديهما. وكتب محمد يعقوبي.

وأفاد الشيخ أن مقبرة الدحداح جزء من مقبرة باب الفراديس، ومعظمها لم يبق لها أثر، ومقبرة باب الفراديس دفنت فيها مريم عليها السلام. وورد في هذا الجزء أن ببرزة ظاهر دمشق مسجد إبراهيم عليه السلام^(١)، وذكر الشيخ يعقوبي أن أوس بن أوس الثقفي الصحابي دفن في دمشق.

(١) وقال ياقوت الحموي في مادة دمشق من معجمه: وفي الأخبار أن إبراهيم عليه السلام وُلد في غوطة دمشق في قرية يقال لها: برزة في جبل قاسيون.

بعض المخطوطات

واطلعت عند الشيخ على مخطوطة لكتاب «المجالسة وجواهر العلم» لقاضي مصر أحمد بن مروان الدينوري (ت ٣٣٣هـ) ترجع النسخة إلى حوالي ٤٠٠هـ تقريباً، عليها سماع في عدة مواضع على أبي القاسم عبد العزيز بن الحسن بن إسماعيل الضراب، رواه عن أبيه المتوفى سنة ٣٩٢هـ عن مؤلفه. وعليها سماع بخط خليل بن محمد الأقفهسي (ت ٨٢٠هـ) على عبد الله بن عمر الحلوي (ت ٨٠٧هـ) أحد شيوخ الحافظ ابن حجر، وهي أقدم مخطوطة يملكها الشيخ.

واطلعت عنده كذلك على مخطوطة «الغيم المنسجم شرح لامية العجم» لخليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، ومعه «الفصل المنيف في المولد الشريف» للصفدي، وهي بخط المؤلف وعليها بعض السماعات.

الشيخ أيمن سويد المقرئ

ورجعت إلى المنزل حوالي الساعة العاشرة والنصف، فاتصل بي الأخ علاء الدين وأخبرني أن الشيخ محمود الدرة الآن مع الشيخ أيمن المقرئ في مزرعته، وأنه دعانا لشاركه في مجلس إنشاد، فخرجنا في الساعة الحادية عشرة ليلاً، لما وصلنا إلى المزرعة بسطوا لنا مائدة الطعام، وكنت قد تعشيت من قبل، فتناولت شيئاً خفيفاً، وخلال الطعام جرى ذكر كتابي عن النساء، وذكر أسانيد الهند، عني به الشيخ أيمن عناية كبيرة واحتفى بأمرى احتفاءً بالغاً.

وبعد العشاء استمر المجلس، واستفسرت الشيخ عن ترجمته فأملى عليّ: هو الشيخ أيمن بن رشدي بن محمد أمين سويد الدمشقي. ولد سنة ١٩٥٥ في دمشق، وقرأ صحيح البخاري كاملاً على مولانا حبيب الرحمن الأعظمي، وقرأ على ولده

مولانا رشيد أحمد الأعظمي صحيح مسلم وسنن الترمذي ومشكاة المصابيح كاملة، وعلى الشيخ محمد ياسين الفاداني صحيح البخاري وسنن أبي داود وثلاثة أجزاء من سنن النسائي، وعلى الشيخ عبد العزيز عيون السود أمين الإفتاء وشيخ القراء في مدينة حمص كتاب المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة لمحمد عبد الباقي الأيوبي الأنصاري كاملاً بأعماله، وأجازه الأخوان عبدالله وعبد العزيز ابنا محمد بن الصديق الغماريان، وشيخنا أبو الحسن علي الندوي، وشيخنا العلامة عبد الفتاح أبو غدة وغيرهم.

سماع وإجازة

وسمعت من الشيخ أيمن المسلسل بالأولية وأجازني إجازة عامة. وبعد ذلك بدئ حفل الإنشاد، والشيخ محمود الدرة صاحبه. له صوت جميل وقلب من قلوب أولياء الله الصالحين، ولقد أنست بالرجل أنساً كبيراً.



الكتاب المذكور انتهى تجميعه لأول مرة

٢٣ رجب يوم الأحد

خرجت اليوم الساعة التاسعة مع الأخ علاء الدين فرفور لمقابلة الشيخ ماهر أبو ذهب في مكتبه من معهد دمشق اللغوي، وحديثي عن النشاطات في المعهد، والمعهد منذ افتتاحه عام ١٩٧٥ يولي عناية خاصة بدورات لغوية أجنبية مهنية تخصصية تشمل دورات للأطباء والمهندسين والدبلوماسيين، والصناعيين، والفنيين، والصيادلة، والفندين، ومبرمجي الحاسب الإلكتروني، والضباط، والعاملين في حقل الطيران التجاري، والمراسلات التجارية، والمعاملات المصرفية.

زيارات

وخرجنا حوالي الساعة العاشرة والنصف لزيارة ضريح سيدنا دحية الكلبي رضي الله عنه في المزة، ومررنا بمقام وضريح الشريفين محمد بن الحسن بن الإمام علي، وولده القاسم بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ثم مررنا بمقام ابن الإمام الرحبي صاحب الرحبية في الفرائض، وضريحه داخل في بيت تسكنه والدته الشيخ محمد الحبش المقرئ والمجود المعروف، وهو الآن عضو في مجلس الشعب.

ضريح دحية الكلبي

ثم دخلنا في المقبرة التي فيها ضريح سيدنا دحية الكلبي رضي الله عنه، وهي في حجرة خاصة وفيها وسائل للناس حتى يجلسوا عليها ويذكروا الله، وعلى الجدار صورة كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، حملها إليه دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه.

وهو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي القضاعي صاحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورسوله بكتابه إلى عظيم بصرى ليوصله إلى هرقل. روى أحاديث، حدث عنه منصور بن سعيد الكلبي ومحمد بن كعب القرظي وعبدالله بن شداد بن الهاد وعامر الشعبي وخالد بن يزيد بن معاوية.

وقد شهد اليرموك وكان على كردوس، وسكن المزة. قال ابن سعد: أسلم دحية قبل بدر ولم يشهدها، وكان يشبه بجبريل، بقي إلى زمن معاوية.

وعن سلمة بن كهيل عن عبد الله بن شداد عن دحية قال: بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معي بكتاب إلى قيصر، فقممت بالباب، فقلت: أنا رسول رسول الله، ففزعوا لذلك، فدخل عليه الآذن، فأدخلت وأعطيته الكتاب: «من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم»، فإذا ابن أخ له أحمر أزرق قد نخر، ثم قال: لِمَ لَمْ يكتب ويبدأ بك، لا تقرأ كتابه اليوم، فقال لهم: اخرجوا، فدعا الأسقف وكانوا يصدرون عن رأيهم، فلما قرى عليه الكتاب قال: هو والله رسول الله الذي بشرنا به عيسى وموسى، قال: فأى شيء ترى؟ قال: أرى أن نتبعه، قال قيصر: وأنا أعلم ما تقول ولكن لا أستطيع أن أتبعه، يذهب ملكي ويقتلني الروم. رواه اثنان عن يحيى بن سلمة عن أبيه عبد الله بن أبي يحيى.

عن مجاهد قال: بعث رسول الله ﷺ دحية سرية وحده.

معتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي عثمان النهدي قالت أم سلمة: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحدث رجلاً، فلما قام قال: يا أم سلمة من هذا؟ فقلت: دحية الكلبي، فلم أعلم أنه جبريل حتى سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحدث أصحابه ما كان بيننا. فقلت لأبي عثمان: من حدثك بهذا؟ قال: أسامة.

عفير بن معدان عن قتادة عن أنس: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «يأتيني جبريل في صورة دحية»، وكان دحية جميلاً. روى نحوه يحيى بن يعمر عن ابن عمر. قال عبد الله بن صالح العجلي: قال رجل لعوانة بن الحكم: أجمل الناس جرير بن عبد الله البجلي، فقال: بل أجمل الناس من نزل جبريل على صورته، يعني: دحية.

الليث عن يزيد عن أبي الخير عن منصور الكلبي: أن دحية خرج من المزة إلى قدر قرية عقبة من الفسطاط، وذلك ثلاثة أميال في رمضان، ثم أفطر وأفطر معه ناس، وكره الفطر آخرون، فلما رجع إلى قريته قال: والله لقد رأيت اليوم أمراً ما كنت أظن أني أراه، إن قومًا رغبوا عن هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، يقول ذلك للذين صاموا، ثم قال عند ذلك: اللهم اقبضني إليك. أخرجه أبو داود^(١).

جوبر

ثم خرجنا إلى جوبر لزيارة إحدى معالم بناقي، وبقينا في جوبر حوالي ساعة.

ضريح صلاح الدين الأيوبي

ثم خرجنا لزيارة ضريح المجاهد الكبير السلطان صلاح الدين الأيوبي بطل الحروب الصليبية ومحرر المسجد الأقصى رحمه الله، وهو بجوار الجامع الأموي، وكان الضريح جزءاً من المدرسة العزيزية التي بناها ابنه العزيز عثمان، وقد مررنا به أكثر من مرة، وصلنا إلى الضريح الساعة الواحدة، وقرأنا الفاتحة، ونظرنا إليه بعين الإجلال والتقدير، فما أحوحنا اليوم إلى من ينقذ فلسطين وسائر أراضي المسلمين من سيطرة الكفار والمشركين.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٥٠-٥٥٦).

ثم دخلنا الجامع الأموي، وألقينا عليه النظرة الأخيرة، ثم دخلنا سوق البزورية واشترينا بعض الأشياء.

الشيخ أحمد الحبال

ومررنا بمحل الشيخ الصالح المعمر أحمد الحبال الرفاعي، وقلت لعلنا سنحظى بدعاء من هذا العبد الصالح، فاستأذنا عليه، فانبسط لنا، ودخلنا عليه وهو يقرأ القرآن الكريم، فسألته أن يدعو لبنتي حسنى وسمية بالصحة والعافية، فدعا لهما. ثم دعا لنا جميعاً بالصحة والعافية دعاءً أرجو الله أن يجيبه، وهو السميع العليم. ثم استجزته في الحديث النبوي الشريف فأجازني إجازة شخصية.

غداء ورجوع إلى المنزل

ثم تغدينا في مطعم عند سوق الحميدية، وأخذنا السيارة إلى مقبرة الدحداح، حيث لقيت الأخ محمد وائل على موعد، ومعه نسخ من كتاب «بستان المحدثين»، و«العقد اللجيني»، فأهديت له نسخة من كلا الكتابين. ورأيت الأخ عمر النشوقاتي متجهاً إلينا، فسررت كثيراً، وأهديت إليه نسخة من كلا الكتابين.

رجعنا إلى المنزل واسترحنا قليلاً، ثم خرجنا إلى حي المدارس في الساعة السادسة والنصف. واشترينا حوائج، وصليت المغرب في جامع الشيخ محيي الدين ابن العربي، وزرت ضريحه مع أهلي وبناتي، ورجعنا إلى المنزل بعد الساعة التاسعة والنصف. وزراني طلبة ندوة العلماء وجلسوا إلى الساعة الحادية عشرة.

اتصال من الشيخ نور الدين عتر

وبعده بقليل اتصل بي الشيخ نور الدين عتر، ففرحت جداً، ودعالي كثيراً، ووعدني بإرسال تراجم البنات التي حفظن عنده الكتب الحديثية.

٢٤ رجب يوم الإثنين

الآن نحن نجهز أغراضنا للسفر، لعلنا سنخرج من المنزل الساعة الواحدة والنصف أو الساعة الثانية.

وزارتنا طالبات ليستشرنني في دراساتهم، فتحدثت إليهن قليلاً، وأعجبني اشتغالهن بالحديث النبوي الشريف، وإقبالهن على العلم والعمل، وأعطيتهن إجازتي في الحديث النبوي الشريف، وأدعو الله عز وجل أن يبارك فيهن وفينا وأن يزيدنا في العلم والعمل.

وزارني الأخ وائل في الصباح، وبقي معي إلى أن رافقني إلى المطار، وقد أنست به كثيراً، وساعدني في تجهيز أغراضي.

رجع الشيخ حسام الدين فرفور الليلة من البرازيل، وهو يستريح الآن في بيت زوجته الثانية، وكان متعباً، فلم أر أن أزعبه، وساءني أن أغادر دمشق ولا أزوره، واستشرت الأخ وائلاً، فأشار علي أن نزوره، فخرجت مع وائل إليه بعد الساعة العاشرة، ومع أنه كان متعباً، ولكن على عادته في الكرم شرفنا باللقاء، وأهدى إلي بعض مؤلفاته ومؤلفات والده، وأكبر ما أهدى إلي أجزاء حاشية ابن عابدين الصادرة بتحقيقه، وكتب على واجهة الجزء الأول منه:

بسم الله الرحمن الرحيم، هدية المحقق، إلى أخينا في الله تعالى فضيلة العالم العامل الأستاذ الدكتور الشيخ محمد أكرم الندوي، حفظه الله تعالى وأدام نفعه للمسلمين، رمز محبة وتقدير وأخوة على صراط الله المستقيم، مع رجاء إفادتنا

بالملاحظات، مشفوعة بدعوة صالحة من وراء سجاج الغيب. دمشق في ٢٥ رجب
الفرد ١٤٢٦ هـ.

رجعت من عنده بعد قليل، فلما وصلت إلى المنزل رأيت صديقنا العلامة
الشيخ أبا الهدى يعقوبي في انتظارنا، وقد جاءنا بهدايا، فرحت بلقائه، وودعنا،
وخرجنا من المنزل حوالي الساعة الثانية، ونزلت في معهد الفتح قليلاً حيث قابلت
الأخ عمر النشوقاتي، فودعني، وخرجنا إلى المطار، وعدنا إلى أوكسفورد سالمين
غانمين.

وفي اليوم التالي اتصل بي الأخ محمد وائل أن المسند المعمر الشيخ محمد بن
عبد الرزاق الخطيب لبي نداء ربه أمس الساعة الثانية عشرة تقريباً حينما نتحدث في
دمشق، فرحم الله الشيخ وأنزله عنده في جنة الفردوس، فإن لقاءنا معه حدث تاريخي
بالنسبة لنا وفضل من الله عظيم، وقد علّا إسنادنا بدرجة.

أخبرنا محمد بن عبد الرزاق الخطيب، أنا أبو النصر الخطيب بإسناده إلى
الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني رحمه الله تعالى، أخبرنا الشيخ
الصالح أبو الخطاب نصر بن أحمد بن عبد الله بن البطر قرأت عليه ببغداد في شوال
سنة ثلاث وتسعين وأربعمئة، قلت له: أخبركم أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان
البزاز العكبري بعكبرا، أخبرنا أبو جعفر محمد بن يحيى بن عمر بن علي الطائي
الموصللي في شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة، حدثنا عمر بن حرب، ثنا
أبو نعيم، عن سفيان، عن عبد الله بن عيسى، عن ابن أبي الجعد، عن ثوبان قال: قال
رسول الله ﷺ: «لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن
الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه».

وأخبرنا محمد بن عبد الرزاق الخطيب بإسناده إلى أبي سعد السمعاني، قال:
سمعت القاضي أبا القاسم عبد العزيز بن بدر بن إبراهيم الولا شجردي في داره بقصر
كنكور يقول: لما عزم المتوكل على الخروج إلى دمشق دخل عليه أبو عبادة
البحري، وأنشد قصيدته التي أولها:

قل للامام الذي عمت فواضله	شرقاً وغرباً فما نحصي له عددا
أما دمشق فقد أبدت محاسنها	وقد وفي لك مطربها بما وعدا
إذا أردت ملأت العين من بلد	مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمشي السحاب على أجبالها فرقاً	ويصبح النبت في صحرائها بددا
فلمست تبصر إلا واكفاً خضلاً	أو يانعاً خضراً أو طائراً غردا
كأنما القيظ ولى بعد جيئته	أو الربيع دنا من بعد ما بعدا

وأخبرنا محمد بن عبد الرزاق الخطيب بإسناده إلى أبي سعد السمعاني، قال:
أنشدنا مؤدبي أبو المعالي يوسف بن محمد الفقيهي من لفظه بمرور للبحري من
قصيدة أولها:

إن رق لي قلبك مما ألاق	من فرط تعذبي وطول اشتياق
وجدت بالوصل على مغرم	فزوديني منك قبل انطلاق
إن أنت ودعت بتقييلة	كانت يدًا مشكورة للفراق
أحاذر البين من أجل النوى	طورًا وأهواه لأجل العناق
إن دمشقاً أصبحت جنة	مخضرة الروض غداة البراق
هواؤها الفضفاض غمر الندى	وماؤها السلسال عذاب المذاق

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على خير خلقه
محمد النبي وآله وصحبه أجمعين.

وثائق وإجازات



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى
 من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين
 وبعد فقد أجزت الأخ الصالح والعالم النابه الشيخ محمد أكرم به تفضل حسين
 النوري ، بما نصح لي وفي روايته عنه شيخه في رحمة الله تعالى ، اجتفاء (عزارة) لي
 وترحمه علي ، وأسأل الله تعالى له التوفيق ورفع العار والظلم ، وصلى الله على سيدنا
 محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين

د. لبتة العياض
 في ١٤٠٢/٥/١٥
 صالحي محمد ابغدة

الإجازة الأولى من الشيخ عبد الفتاح أبو غدة للمؤلف

وأجز الأخ الكريم المذكور الشيخ محمد أكرم مرة ثانية إجازة خاصة وعامة ، شاملة لكل ما تصحني
 وفي روايته ، وقد استحبه اللهاء تكرار الإجازة لتأكيد ما لشكركم عليه وأؤثافكم للجزر ،
 وقد صاحني في السفر ونفث بصحبته ، ورافقتي وسعدت برفقته ، في زيارتي إلى مدينة دمشق
 وسمعت وجماري ، بمناسبة مؤتمر الامة البخاري رضي الله عنه
 فكان خير صاحب دواع في السفر ، في عنايته ورعايته ، ولطفه وأدبه ، ومحبته وقوته ، زاد الله خيرا
 على خير ، وجعله للناس إماما في دينه وعلمه وصلاته وأخلاقه ، ونفع به حيثما حل وأشرق شمس
 وأرجو عنه أنه لا يناني من صلاح دعواته ، والله يحفظه ويرعاه وييسره ويتولاه عنه ذكره ، والحمد لله
 رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وكتبه

المباغدة إلى بيتنا

في مدينة طشقند ١٤١٤/٥/١٠

١٩٩٣/١٠/٢٥

الإجازة الثانية من الشيخ عبد الفتاح أبو غدة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 — يقول العبد الضعيف عبد الفتاح به محمد أبو غدة : أُهدي هذا البت
 النفيس إلى الشيخ الفاضل الشيخ محمد أكرم الندوي مع إجازة له وإجازة
 عامة شاملة بما أجازني به شوقي الصدور البدر رحمهم الله تعالى ، وفي طيبتهم
 شيخنا الإمام الكوثري صاحب هذا البت ، و بروايي و مؤلفاتي بشرط البت
 في التحمل والإتقان في الأداء ، راجيا منه أن يذكرني مع شوقي بصلاح رعايته ،
 والله يتولاه ويرعاه وينفع به ويسعدني به نياه وأخراه .

وكتبه

عليه أبو غدة

الرياض ١٤١٦/٢/٨

خزنة معبر أكرم الندوي

التحقيق في المصنفات

الإجازة الثالثة من الشيخ عبد الفتاح أبو غدة للمؤلف

هدية إلى الدكتور محمد
أكرم الندوي إمام
دعوة صالحة مقرونة
بالإجازة العامة عامه
محمد سنة ١٤٠٦ هـ

٢٣ صاوة الزهرة
١٤٠٦ هـ

الدُّرُّ الثَّانِي

في
نَسَبِ السَّادَةِ الطَّاهِرِينَ

توقيع الشيخ محمد مرشد عابدين على إهداء أمر بكتبه للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد
سيد المرسلين وآله أجمعين وحامل الأئمة والبركات
والسلامة وصحبه كل أجمعين (وبعد فقد أجزت أرفع محمد عبد الله
السمار والسيد الدكتور محمد أكرم الندوي وأورده السيد محمد
وائل الحسيني ومه سيولدهم إلى أيدى ما أجاز في ٩ شعبان
سنة ١٤٠٦ هـ في ثبته الدرر العاليه بأيدى السيد المشقة العاليه
والعبد يتساكتها بأحد سيد أرفع يوم القيامة والحمد لله رب العالمين
المجيز الفقير لله
محمد عبد الله الدغلي الصافي
يوم الأربعاء ١٦ شعبان ١٤٠٦ هـ

إجازة الشيخ محمد عربي الدغلي للمؤلف وصحبه بخطه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لعدة تقديم إلى الكرم الدكتور الشيخ
محمد أكرم الندوي المحترم لمناسبة زيارته حلتا المشيخة
مع الاجازة له بما يجوز عملي وكما روايته وفقنا الله وإيا
لما يحبه ويرضاه .

نواله

حلت المشيخة
الأضحية
١٤٠٦ / ١ / ٥

إعلام الأنام
شرح بلوغ المرام من أحاديث الأحكام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الحمد لله ، وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
 وبعد فقد سمع عليّ :
 الشيخ محمد أكرم الندوي ، والشيخ محمد عبدالله السمار والشيخ
 صبيحة الانشراح ، والشيخ محمد حافظ الملا الذي هذه الذريعة
 الذند النبوية بجام التربة بدعته في ١٧ رجب ١٤٠٥ هـ
 وأجزتهم بها وأجزتهم أيضاً إجازة عامة مطلقة بشرطه
 وسمع عليّ الحديث الخامس المشين إلى أخوها الشيخ
 ياسر المدينة ، والشيخ محمد الفا ، وأجزتها بها كما أجزتهم
 إجازة عامة مطلقة بشرطه
 كتب محمد طبع الحافظ بن محمد اصل بن الشيخ عبد الرحمن
 ففقر الله له ولوالديه
 ١٧ رجب ١٤٠٦
الأنوار النبوية
 وإثريه بن خديجة في شاطئ خير البرية

طباق سماع الأنوار المحمدية على مؤلفه الشيخ محمد طبع الحافظ وبخطه

إجازة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خَصَّ هذه الأمة بشرف الإسناد، وجعله لرواة السنة أقوى عماد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله وحبيبه الذي أثار قلوبنا بمستفيض أنواره وأقواله وأفعاله وشماثله وأفاده؛ وعلى آله وصحبه أفضل العباد والزهاد، وعلى أتباعهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم التناد.

وبعد: فلما كان الإسناد من الدين، والتحقيق فيه من شيم الأئمة المهديين، وكانت الإجازة نوعاً من أنواع التحمل عند العلماء المرضيين، والسعي في طلبها من علامات التوفيق والتأييد.

روفقاً

الندوي صنفه

فقد سمي... الشيخ العلامة الدكتور أكرم بن
الحديث... باندرسية الحقيقة وهذه النسخة المجلدية بدقته في سنة
وأجرة إجازة عامة تامة بجميع مروياتي ومقروءاتي ومسموعاتي ومؤلفاتي
وإجازاتي من كتب الحديث والأثبات والمعاجم والمسلسلات وغير ذلك من
كتب العلوم، وبجميع ما أجزت به، وذلك بالشرط المعتمد عند أهل الحديث
والأثر.

وأوصي المجاز بتقوى الله تعالى، وأن لا ينساني وشيخي وأولادي وإخواني
وأهلي والمسلمين من دعائه بظهر الغيب. والله يتولاني وإياه بعين عنايته.

وأوصيه بالإكثار من تلاوة القرآن العظيم، وذكر الله والاستغفار،
والصلاة والسلام على النبي ﷺ، ففي ذلك جلاء القلوب ونوال المطلوب.

وَأَنْ لَا يَتَعَصَّبَ لِعَالِمٍ عَلَى عَالِمٍ إِلَّا فِي الْحَقِّ الْوَاضِحِ، فَإِنْ التَّعَصَّبَ يَعْصِي وَيَصْمُ، وَإِنَّ نَوْرَ الْعِلْمِ وَبِرْكَتَهُ فِي التَّأْدَبِ بِالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

وصلّى الله وسلّم على خير خلقه سيّدنا محمد المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى
آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدّين.

وكتب... محمد صالح بن محمد... الى حفظ آداب وديت... فخر الله واولاده
ولله تبارك وتعالى... دلائل الامم خير

طباق سماع الأربعين العجلونية على الشيخ محمد مطيع الحافظ ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إجازة زهير الشاويش

الحمد لله الذي شرح صدور أهل الإسلام للسنة المطهرة، فانقادت لاتباعها، وجابت المهابة والقفار في الرحلة لسماعها، إذ لا قوائم للإسلام إلا باستعمالها، وإقامة أحكامها، ولا ثبات للإيمان إلا باتحاليها، والتحلي بفضائلها.

وله الحمد حيث أمات نفوس أهل الضلال المتلبسين بالبدعة، بعد أن عمادت في نزاعها، واستطالت بطغيانها، وتغالت في ابتداعها.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أزاح حجاب ظلمات الجهل المذلّمة، فإذا همت أفواه أهل الباطل بإطفاء نوره أبى الله إلا أن يُنيرته.

رَضِيَ اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى مُحَمَّدٍ، صَلَوةً وَسَلَاماً يُعْطِيهِمَا أَمْنُهُ، وَيَرْفَعُ بِهِمَا فِي الْآخِرَةِ دَرَجَتَهُ، وَيُثَلِّسُ بِهِمَا فِي مَقْعَدِ صَدَقِ شَفَاعَتِهِ، وَعَلَى إِخْوَانِهِ الرِّسَالَيْنِ وَالنَّبِيِّينَ، وَجَمِيعِ آلِهِ الْمُهْتَدِينَ، وَكُلِّ أَصْحَابِهِ الرَّاغِبِينَ الرَّاغِبِينَ، وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانِ أَجْمَعِينَ، الَّذِينَ حَافَظُوا عَلَى عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ مِنْ أَيِّ تَحْرِيفٍ أَوْ تَعْطِيلٍ، وَعَلَى سُنَّةِ وَأَحَادِيثِ خَيْرِ الرِّسَالَيْنِ سِرَّاً مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ وَدَخِيلٍ.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الاِشْتَغَالَ بِالْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، الْمُتَلَقَّاةِ عَنْ خَيْرِ الرِّبِّيَّةِ، أَوْلَى مَا صُرِّفَتْ إِلَيْهِ فَوَاضِلُ الْأَوْقَاتِ، وَتُبَيَّنَتْ فِي سَبِيلِهِ نَفَائِسُ الْأُمُورِ وَالْمَقْتَنِيَّاتِ، وَلَا يَرْتَابُ عَاقِلٌ فِي أَنَّ مَنَازِلَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ الْمُقْتَنَى، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإني لم ألن جهداً - مذ حُبَانِي اللَّهُ تَعَالَى - بِالْعَنَابَةِ بِكَتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَخِدْمَةِ حَدِيثِ نَبِيِّهِ الْعَظِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَعْرِيفِهِ صَحِيحِهِ مِنْ مَعْلُولِهِ، وَمَنْقَطَعِهِ مِنْ مَوْصُولِهِ، وَلَمْ أَلِرْ عَيْنَانِي عَنِ الْجُرْيِ فِي مَيْدَانِ نَقْلِيهِ، وَفَرْسَانِ حَلَّتِيهِ، وَالْبَحْثِ عَنْ أَحْوَالِ حَمَلَتِيهِ، وَالسَّمْعِ الْحَثِيثِ فِي تَحْقِيقِهِ وَنَشْرِهِ وَتَسْهِيلِهِ، وَتَحْصِيلِ أَصُولِهِ الْمُتَعَمِّدَةِ لِلرُّتُقَةِ، وَتَقْدِيمِ كُلِّ مَا أَمَكَّنِي مِنْ وَسَائِلِ إِيصَالِهِ إِلَى أَهْلِهِ مُحَقَّقاً وَمُفَهَّرَماً. لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الرِّقَاةُ إِلَى مَعْرِفَةِ ضَعْفِيٍّ مِنْ صَحِيحِهِ، وَتَبْيِينِ رَاجِحِهِ مِنْ مَرْجُوحِهِ، عَلَى أَوْسَعِ نَطاقِ عَرَفَتِهِ الْمُتَّبَعِ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٍ، وَلِكُلِّ مَجَالٍ رَجَالٍ، حَفَظْنَا اللَّهَ مِنْ إِدْبَارِ الْأَحْوَالِ، وَضِيَاعِ الْأَمَالِ.

وَلَمَّا كَانَ مِنْ دَوَاعِي النُّقْلِ فِي الْأَخْبَارِ وَالرُّوَايَاتِ، الْعَنَاءُ الْبَالِغَةُ بِطَلَبِ الْإِسْنَادِ؛ سَوَاءً عَنْ طَرِيقِ الْقِرَاءَةِ، أَوْ السَّمَاعِ، أَوْ الْمَنَاقِلَةِ، أَوْ الْإِجَازَةِ إِلَى آخِرِ أَنْوَاعِ التَّحْمِيلِ الْمَعْرُوفَاتِ، وَكَيْفَ يَمُنُّ شَرَفُهُمُ اللَّهُ - جَلُّ وَعَلَا - بِالْمُتَلِّهِ وَالْإِتِّصَالِ بَعْدَ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْجِهَادِ، وَالذُّعُورَةِ وَالْإِرْشَادِ، وَتَقْضَلُ عَلَيَّ أَكْثَرُهُمْ بِإِجَازَاتٍ عِلْمِيَّةٍ، بَعْضُهَا مُشَافَهَةٌ مُتَعَادَةٌ، وَبَعْضُهَا مَدَارَسَةٌ مُتَقَنَّةٌ، وَبَعْضُهُمْ جَعَلَهَا مَكَاتِبَةً خَطِيَّةً.

وَلَمَّا رَأَيْتُ طَائِفَةً مِنْ إِخْوَانِي طُلَبَةِ الْعِلْمِ النَّابِهِينَ، وَالْعُلَمَاءِ الْأَفْضَالِ النَّاهِضِينَ، مُشْغُوفِينَ بِتَحْصِيلِ تِلْكَ السَّمَاعَاتِ، وَتَطْلُبِ هَاتِيكَ الْإِجَازَاتِ، وَمَا مِثْلَهَا وَشَابِهَا مِنَ الْأَثْبَاتِ وَالْمَدُونَاتِ، وَكُنْ فِي عَصْرِ ضَعْفَتْ فِيهِ الْهَيْمَةُ وَتَوَانَتْ الْعَزَمَاتُ، وَانْقَطَعَتْ الرِّحْلَةُ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ، وَازْدَادَتْ الْمَعْرُوفَاتُ، وَكَانَ عَدَدٌ غَيْرُ قَلِيلٍ مِنْ أَوْلَئِكَ الدُّعَاةِ الْأَفْضَالِ، وَالطُّلَابِ الْأَمَائِلِ، قَدْ اسْتَجَازَنِي، بِنَاءً عَلَى حَسَنِ ظَنُّهُمْ بِي - شَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مَسَاعِيَهُمْ وَأَحْسَنَ ثَوْبَتَهُمْ وَمَثَرَهُمْ - فَاعْتَرَضْتُ أَوَّلًا مُتَعَلِّلاً بِأَنِّي لَسْتُ أَهْلًا لِذَلِكَ، وَثَانِيًا بِحَالِ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْإِجَازَاتُ عَنْ بَعْضِهِمْ فِيمَا هُنَاكَ وَثَالِثًا بِأَنِّي لَمْ أَتَطْلُبِ الْإِجَازَاتِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ أَدْرَكْتُهُمْ وَعَاصَرْتُهُمْ، وَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ صِدَاقَةٌ وَصَلَاتٌ، وَكَثِيرًا مَا وَقَعَتْ لِي الْإِجَازَةُ مِنْ أَمْثَالِهِمْ مَشْمُولَةً عَنْ حَضَرٍ مِنَ الرَّائِغِينَ الطَّالِبِينَ... إِلَى غَيْرِ مَا هُنَاكَ مِنَ التَّعْلَلَاتِ!!

وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ لَمْ يَتَحَوَّلُوا عَنْ مَطْلَبِهِمْ، وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا عَنْ مَرْغِبِهِمْ، مُلَوِّحِينَ إِلَيَّ بِقَوْلِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً".

وَالْمَحْ أَحْلُمُهُمْ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"أَعْمَارُ أَتَمِّي بَيْنَ السِّتِينَ وَالسَّبْعِينَ".

فَتَحَقَّقْتُ حَيْثُ صَحَّةُ قَوْلِ الْحَافِظِ السُّلَمِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

(وَالْإِجَازَةُ ضَرُورِيَّةٌ، لِأَنَّهُ قَدْ يَمُوتُ الرُّوَاةُ وَيَقْدُرُ الْخَفَاطُ الدُّعَاةُ، فَيُحْتَاجُ إِلَى إِهْلَاءِ

الْإِسْنَادِ، وَلَا طَرِيقَ إِلَّا بِالْإِجَازَةِ، فَالْإِجَازَةُ فِيهَا نَفْعٌ عَظِيمٌ، وَمِنْ فَدَى جَسِيمٍ، إِذِ

الْمَقْصُودُ إِحْكَامُ السُّنَنِ الرَّوِّيَّةِ، فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يَدْرُسُ

عَلَى مَرَجَلَةٍ وَسُفَرٍ، فَالْكِتَابَةُ حِينَئِذٍ أَمْرٌ قَرِيبٌ، وَفِي حَقِّهِ أَزْفَقُ ١٠ هـ

وَأَدْرَكْتُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ السَّرُورَةِ وَالْأَدَبِ، رَدُّ مِثْلِ هَذَا الْمَرْغُوبِ بِالطَّلَبِ، مَعَ أَنِّي أَقْرَأُ بِعَجْزِي

وَنَقْصُورِي، فَقُلْتُ - وَعَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ الْاعْتِمَادُ -:

أحضرني أخي في الله تعالى ومحبي الشيخ محمد أكرم بن تاج
 حسين النردى تلميذ الشيخ أبي الحسن النردى وفقه
 الله تعالى وهو يفتي في الدين

بجميع ما يصح لي وعني روايته من مقروء ومسموع، وأصول وفروع، مما أجازني به مشايخي الجليل الفضلاء
 رحمهم الله تعالى أجمعين - وما لي من مؤلفات، وتحقيقات، ومقالات، ومقالات، وتعليقات. وهذا عاني
 وأذكر في هذه المقالة من مشايخي من المذكور نوع خصوصية، راجياً من الله تعالى العون على التوسع في
 تراجمهم، والتوسيع بفضل البقية منهم، وقد زاد عددهم لغة، في مختلف أنواع الرواية، والمذكرون هم:

- ١- العلامة الجليل المجاهد الشيخ صلاح الدين بن رضا الزعيم (الدمشقي).
- ٢- العلامة الأديب البناحية الشيخ سعد بن أسعد ياسين الصباغ (الدمشقي ثم البيروتي).
- ٣- السيد الحبيب حسين أحمد المدني (مراجع أساتيد أهل الهند).
- ٤- العلامة المحدث عبد الرحمن بن يحيى المعلمي النجفي (اليميني ثم المكي).
- ٥- العلامة للمؤرخ الشيخ محمد راغب الطباخ (الجلبي).
- ٦- العالم الداعية الشيخ محمد بن محمود الحامد (الحموي).
- ٧- العلامة السياسي الشيخ محمد سعيد العزبي (القرائي).
- ٨- العلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع (القصيبي ثم القطري).
- ٩- العلامة الرحالة الدكتور تقي الدين الحلالي (المغربي).
- ١٠- العلامة المجاهد الشيخ محمد البشر الإبراهيمي (الجزائري).
- ١١- المحدث المحقق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي (الهندي).
- ١٢- العالم المربي الشيخ إبراهيم الراوي - شيخ الرفاعية - (العراقي).
- ١٣- العالم الشاعر الشيخ محمد سالم البيهاني (العدي).
- ١٤- العالم الشيخ سيف بن محمد بن مدفع (الشارقي).
- ١٥- العالم الجليل الشيخ عبد الله القليلي (مفتي فلسطين والأردن).
- ١٦- المفتي الحنبلي الشيخ محمد جميل الشطي (الدمشقي).
- ١٧- شيخ أحناف الشام الشيخ عبد الوهاب الحافظ - ديس وزيت - (الدمشقي).
- ١٨- العلامة الشيخ محمد بن عبد الله آل عبد القادر (الأحماسي).
- ١٩- العلامة اللغوي المحدث الشيخ أحمد محمد شاکر (المصري).
- ٢٠- العالم المربي الشيخ نافع الشامي (الإدلي).

أقول: أجزت الأخ بالشرط للغير عند علماء الأثر، وهو التحري فيما يقوله وفيما يُقْتَضَى،
والثبوت فيما يرويه، وأن يقول فيما لا يُثَرِّيه: لأدري.
ولاحاجة بي إلى الإطالة بأنه وفقه الله تعالى استسمن ذا ررم، ونفع في غير ضرم، ولكن إن لم يُصْبِها وإبل
فطل، ومكرة أخاك لا بطل.

هذا، وأوصي الأخ الجاز أن يذلل مجهرده في تباع آثار علم رسول الله وسنته، وطلبها من
مطائنها، وحملها عن أهلها، والتفقه بها، والنظر في أحكامها، والعمل بمقتضاها، والبحث عن
معانيها، والتأديب بأدبها، والتحلي بأوصافها، ويصديف عما يقل وتبعث فائدته من طلب الشراذ
والمنكرات، وتتبع الأباطيل والموضعات، ويتميز بما يقتضيه حاله، ويعود عليه زينة وجماله من أدب
الخلق وبشاشة الوجه، وكرم اليد، وسماحة التعامل، والتزود عن سفاسيف هذه السدار، وبذل الجاه في
حوائج الخلق، ومنه بذل العلم لأهله، وتسهيل أدائه ونقله، مع المستطاع من الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر، والتزام الدعاء بالأوراد المأثورة، وفي الدعرة والعمل بالصحيح من الآثار، والصلاة
والسلام على النبي المختار، وأن لا يتسائي ومن سيقنا من أهل العلم والدعرة والجهاد في سبيل الله
من صالح دعواته، في فضيل أوقاته.

وصلّى الله تعالى وسلّم، على سيّدنا محمدٍ حمير من قدّ آذب وعلم، وعلى آله وصحبه أجمعين،
والحمد لله رب العالمين.

حازمية: بمروت
الانتهى الثالث من رجب الحرام ١٤٢٦ - رجب
الله تعالى

محمد بن زهير

أبو بكر محمد زهير بن مصطفى الشاويش

الهاشمي الحميمي - الدمشقي المبدائي - البيروني ثم الحجازي

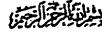
عقير الله له

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعلاء وأسودم على سيد المرسلين محمد النبي الأسبق وعلى آله وصحبه أجمعين
وقد تشرفت خلال لزيارتي لمدينة بيروت لحضرة الناشر الكبير فضيلة الأستاذ محمد زهير الشاويش
والاستغفرت إلى أفاضيله الشاملة على كبريائه مع شيوخ الحديث والرواية من القرن المصموم ووجهته
تسليماً لطيفاً بحق العلم والعلماء وكانت زيارتي هذه في صيغة الشيخ العالم محمد دانيال الحنبلي، والعالم
الشاب محمد بن عبد الله الشعار، فطلبنا منه التفضل بمناجاة جازته - فنفضل بها مكتوباً ١٠١ وجزاه الله تعالى
خيراً عن الأسودم والمكتوبين. ووفقنا الله فيما لا يحصى. آمين

وكتبه :
محمد الخراساني المندوب عن أبي بصير
بمكة المكرمة من شهر رجب سنة ١٤٤٥ هـ

مكتوب المؤلف على دفتر زيارات الشيخ زهير الشاويش



Oxford Centre for Islamic Studies

George Street, Oxford OX1 2AR

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلوة وأتم التسليم على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فقد أجازني والدي الشيخ محمد رمضان البوطي رحمه الله
تدريس علوم الشريعة الإسلامية والكتابة فيها ، كما قد أجازته شيوخه
بذلك ! إجازة موصولة إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ولما تعرضت على إذخ الفاضل الشيخ محمد أكرم الندوي ،
وعلمت مدى الصداقة والحديث النبوي الشريف وإجازته له ولعمري
على الشيوخ الأصلاء المشهود لهم بالعلم والديانة ، فقد أجازته
، وأنا العبد الفقير محمد سعيد رمضان البوطي ، بما أجازني به والدي
وإجازته في خدمة الحديث الشريف وتدريسه ، إجازة تضاف
إلى منحه وديارته ، وأيد برزقه وبرزقا الإلهيا من لوجه
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

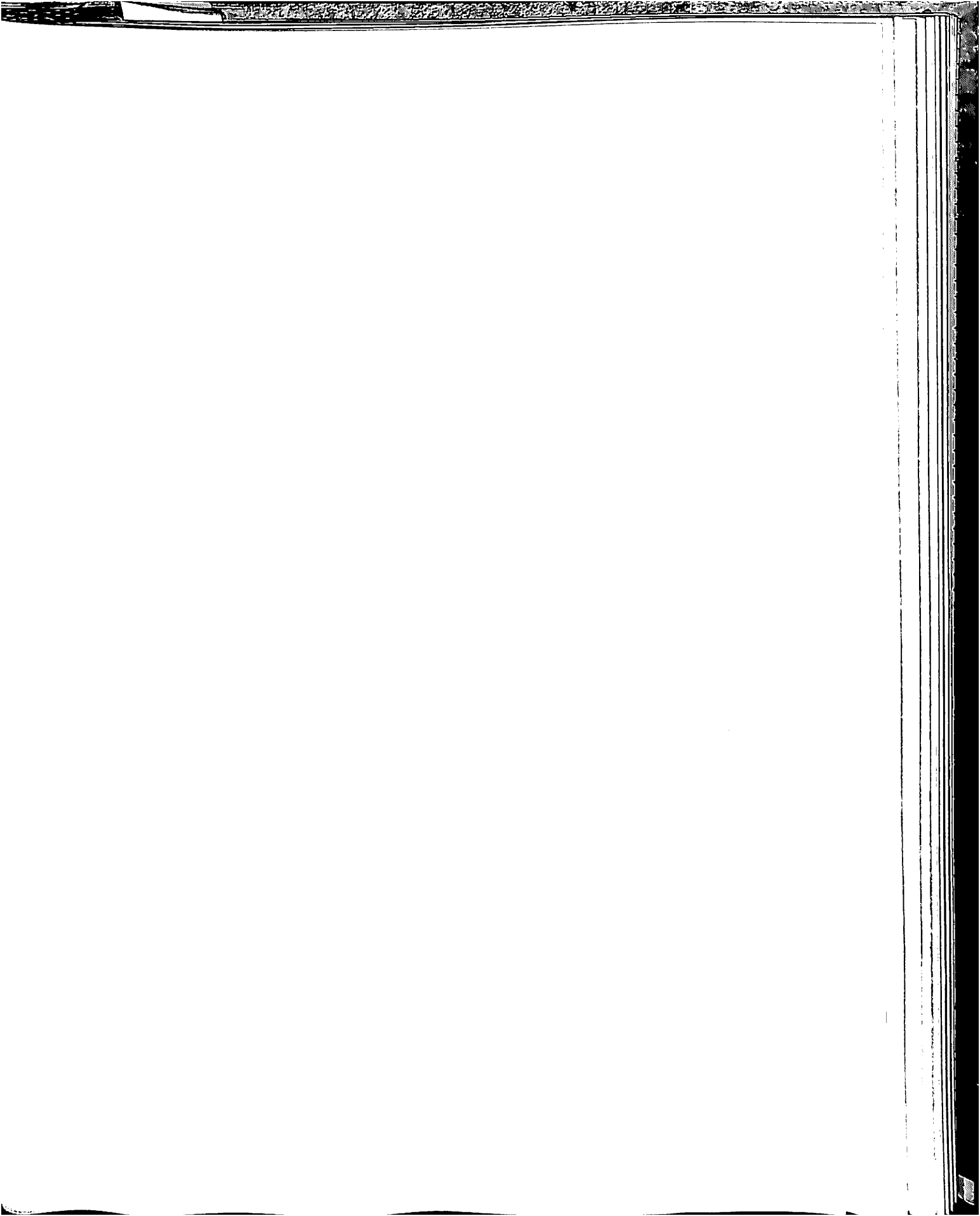
محمد سعيد رمضان البوطي

ألفرد ١٩١٨
١٩٩٨
١٧ طوبة الخلف

A centre for the study of the Islamic world

Chairman: S. A. A. Nadwi Vice-Chairman: Dr. A. O. Nasseef Director: Dr. F. A. Nizami
Telephone: (01865) 278730 Fax: (01865) 248942

إجازة الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي للمؤلف



فهرس الموضوعات

٧.....	معلقة الشام
٢٢.....	يوم السفر ٢٢ جمادى الآخرة يوم الخميس
٢٣.....	دمشق
٢٨.....	٢٣ - جمادى الآخرة يوم الجمعة
٢٨.....	ضريح أبي الدرداء رضي الله عنه
٢٩.....	الجامع الأموي
٣١.....	خطبة الجمعة
٣٢.....	الأخ وائل الحنبلي
٣٥.....	في منزل الشيخ حسام الدين الفرفور
٣٦.....	مقروءات الشيخ حسام الدين الفرفور
٣٧.....	لقاء مع طلبة الهند
٣٩.....	الأخت زينب
٤٠.....	٢٤ جمادى الآخرة يوم السبت
٤٠.....	سوق الحلبوني
٤٢.....	سوق الحميدية
٤٤.....	رجوع إلى المنزل
٤٤.....	سوق الحمراء

- ٢٥ جمادى الآخرة يوم الأحد ٤٥
- صلاة الفجر في الجامع الأموي ٤٥
- درس الشيخ فواز ٤٥
- درس الشيخ عبد الرزاق الحلبي ٤٥
- مدفن رأس يحيى عليه السلام ٤٦
- مدفن رأس الحسين ٤٦
- الرجوع إلى المنزل ٤٦
- الشيخ مرشد ابن عابدين ٤٦
- الشيخ نزار الخطيب ٤٨
- إجازة ٤٩
- الشيخ محمد ديب الكلاس ٥٠
- سماع ثلاثيات الطبراني عليه ٥٠
- سماع المواضع التي يكون الوقف عليها كقرآن عليه ٥٦
- إجازة الشيخ ٥٩
- مدرسة جامع الخياط ٦١
- درس الشيخ عبد الرزاق ٦١
- مع طلبة الهند ٦٣
- ٢٦ جمادى الآخرة يوم الاثنين ٦٤
- شهود جنازة ٦٤
- مجلس مع الشيخ يعقوبي ٦٩

- وفاة خادم الحرمين الشريفين ٦٩
- ذكر الشيوخ ٦٩
- رجوع إلى المنزل ٧٠
- إلى السوق ٧٠
- الأخ عبد الماجد الغوري ٧١
- ٢٧ جمادى الآخرة يوم الثلاثاء ٧٤
- معهد الفتح الإسلامي ٧٤
- الأخ عمر النشوقاتي ٧٥
- كتاب الشيخ محمد صالح الفرفوري ٧٥
- الأستاذ شهاب الدين فرفور ٧٨
- في منزل الأخ عمر النشوقاتي ٨٠
- كلمات من القلب إلى روح خالي أبي هشام عبد الرحمن الأحمر ٨١
- إلى منزل الشيخ يعقوبي ٨٤
- مع الشيخ يعقوبي في منزله ٨٤
- ترجمة الشيخ ٨٥
- بعض المخطوطات النادرة ٨٦
- تدبجي مع ابن الشيخ ٨٩
- حديث عن المهدي ٩١
- وهم لعبد الحي الكتاني ٩١
- مساواته الكتاني في إسناد ٩٢

٩٣.....	علو مكي الكتاني
٩٥.....	٢٨ جمادى الآخرة يوم الأربعاء
٩٥.....	مقابر الصوفية
٩٥.....	ضريح الإمام ابن تيمية
٩٦.....	ضريح المزي
٩٨.....	ضريح ابن كثير
٩٨.....	ضريح العز ابن عبد السلام
٩٨.....	ضريح ابن الصلاح
٩٩.....	ضريح ابن خلدون
٩٩.....	المدرسة الخاتونية البرانية
١٠٠.....	داخل سور دمشق
١٠٢.....	زقاق النقيب
١٠٣.....	المدرسة البادرائية
١٠٣.....	منزل عبد الله السكري
١٠٣.....	منزل أبي النصر الخطيب
١٠٥.....	مقام الرأس
١٠٥.....	السبع الطوالع
١٠٦.....	زقاق ابن عبد الهادي
١٠٦.....	منزل الإمام عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى
١٠٦.....	الخانقاه السميّاطية

- مدرسة العلوم الشرعية ١٠٧
- مؤشر مواقيت الصلاة ١٠٨
- المدرسة الكلاسية ١٠٨
- المدرسة الصادرية ١٠٩
- المعبد الآرامي ١٠٩
- مآذن الجامع الأموي ١١٠
- البسيط ١١١
- قبة الساعات ١١١
- الفسيفساء ١١١
- قبة النسر ١١١
- المئذنة الشرقية ١١٢
- حريق المسجد ١١٣
- قبة المدخل ١١٣
- رأس يحيى عليه السلام ١١٣
- سكن معهد الفتح ١١٤
- مجلس عزاء ١١٤
- ٢٩ جمادى الآخرة يوم الخميس ١١٦
- الشيخ محمد مطيع الحافظ ١١٦
- سماعه للأربعين العجلونية ١١٦
- روايته للمسلسل بالأولية ١٢٠

- أهل الشيخ وبناته ١٢٠
- قراءته على عمه ١٢١
- اتصاله بالشيخ أبي الخير الميداني ١٢٢
- زيارة الشيخ إبراهيم الختني لدمشق ١٢٣
- الشيخ سعيد البرهاني ١٢٤
- شيوخ له آخرون ١٢٤
- أخذه عن الأسطواني ١٢٥
- دراسته الجامعية ١٢٥
- عمله في التأليف والتحقيق ١٢٦
- إجازة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ١٢٧
- قراءتي على الشيخ ١٢٧
- مقبرة باب الفراديس ١٣٠
- الشيخ رياض المالح ١٣١
- الشيخ محمد سعيد الحلواني ١٣١
- الشيخ سليم المسوقي ١٣١
- الشيخ عبد الوهاب دبس زيت ١٣٢
- أبو الخير الميداني ١٣٣
- سعيد البرهاني ١٣٣
- سيدي محمد الهاشمي ١٣٣
- أحمد نصيب المحاميد ١٣٣

- والدة الشيخ ١٣٥
- والد الشيخ ١٣٦
- دار الشيخ أبي الخير الميداني ١٣٦
- دار الثقافة والتراث ١٣٧
- إخراج حاشية ابن عابدين ١٣٧
- الجماعة العاملون في المشروع ١٤٠
- كتاب درة الغواص ١٤٠
- ترجمة إسبانية لرياض الصالحين ١٤٢
- مرض سمية ١٤٢
- مقام الشيخ خالد الكردي ١٤٣
- عشاء وزيارات ١٤٥
- ٣٠ جمادى الآخرة يوم الجمعة ١٤٦
- رحلة إلى حلب ١٤٦
- ظاهر دمشق ١٤٦
- يبرود ١٤٦
- دير عطية ١٤٧
- معلولا ١٤٧
- حمص ١٤٧
- جامع بلال ١٤٨
- جامع خالد بن الوليد ١٤٨

- ١٥٣ مرور من خلال حمص
- ١٥٣ بحيرة الرستن
- ١٥٤ استمتاع بالمزارع
- ١٥٥ حلب
- ١٥٨ سيف الدولة الحمداني
- ١٥٩ مرورنا من خلال المدينة
- ١٥٩ ذكرى الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله
- ١٦٥ جامع العادلية
- ١٦٥ صلاة الجمعة
- ١٦٧ منزلنا
- ١٦٧ الشيخ محمد زين العابدين الجذبة
- ١٦٩ سماع المسلسل بالأولية منه
- ١٦٩ إجازة الشيخ
- ١٦٩ مختارات من خطبه
- ١٧٠ وفاته
- ١٧٠ الشيخ محمد بن درويش الخطيب
- ١٧١ المسلسل بالأولية
- ١٧١ الإجازة العامة
- ١٧٢ معجزة القرآن الكريم
- ١٧٣ مجلس معه

١٧٤	الدكتور عصام قصبجي
١٧٥	بيت المتنبي
١٧٦	ضريح الظاهر الأيوبي
١٧٧	مدرسة الخسروية
١٧٧	شهاب الدين السهروردي المقتول
١٧٩	زيارات أخرى
١٧٩	الشيخ نور الدين عتر
١٨٢	الوفاء بأسماء النساء
١٨٢	حافظات
١٨٣	استفادتي من كتب الشيخ
١٨٤	إجازة الشيخ
١٨٤	إعلام الأعلام
١٨٨	رجوع إلى المنزل
١٨٩	غرة رجب يوم السبت
١٨٩	قلعة حلب
١٩١	أسواق حلب
١٩٢	الجامع الأموي
١٩٣	جوامع أخرى
١٩٣	في منزل الأستاذ قصبجي
١٩٣	حديث حول البلاغة والنقد

أصول النقد العربي القديم.....	١٩٤
الدكتور إبراهيم السلقيني.....	١٩٨
إجازته	١٩٨
المرأة في الشريعة الإسلامية	١٩٨
مغادرة حلب	٢٠١
الشيخ عبد الله سراج الدين الحلبي	٢٠١
مدينة إدلب	٢٠٣
مدينة إيبلا	٢٠٧
معرة النعمان	٢١١
مدينة أبي العلاء	٢١١
الإمام عمر بن عبد العزيز	٢١٨
مدينة حماة	٢٢١
عودة من طريق حمص إلى حلب	٢٢٤
٢ رجب يوم الأحد	٢٢٥
الشيخ محمد سليم الحمامي	٢٢٥
إجازته	٢٢٦
حديثه عن شيوخه	٢٢٦
الشيخ عصام عرار	٢٢٩
في منزل مصطفى قبوض	٢٢٩
حفلة عرس	٢٣٠

- ٢٣١ ٣ رجب يوم الاثنين
- ٢٣١ زيارة بيروت
- ٢٣١ ضريح الشيخ يوسف النبهاني
- ٢٣٤ الحاج حبيب اللمسي
- ٢٣٥ دار الغرب الإسلامي
- ٢٣٦ منزل الأخ محمد الشعار
- ٢٣٨ الشيخ عبد الله الشعار
- ٢٣٩ الشيخ مصطفى نجا
- ٢٤٠ يوسف المرعشلي
- ٢٤١ زهير الشاويش
- ٢٤٣ رجوع إلى دمشق
- ٢٤٤ ٤ رجب يوم الثلاثاء
- ٢٤٤ الشيخ تيسير المخزومي
- ٢٤٨ حفلة عزاء
- ٢٥٠ لقاء مع بعض الطلبة
- ٢٥٢ ٥ رجب يوم الأربعاء
- ٢٥٢ بعض آثار دمشق القديمة حمام نور الدين الشهيد
- ٢٥٢ خان أسعد باشا
- ٢٥٣ الشيخ محمد رجائي الخطيب
- ٢٥٣ مكالمة الأخ سلمان أبو غدة

٢٥٣	 محل الشيخ أحمد الحبال
٢٥٤	 المدرسة النورية الكبرى
٢٥٥	 المدرسة القلبجية
٢٥٥	 المدرسة العادلية الكبرى
٢٥٦	 المدرسة الظاهرية
٢٥٧	 جامع الرضوان
٢٥٨	 ٦ رجب يوم الخميس
٢٥٨	 الصالحية
٢٥٩	 المدرسة العمرية
٢٦٠	 حارة نعمة بنت علي
٢٦٠	 الجامع المظفري
٢٦١	 جامع ابن العربي
٢٦١	 حي المدارس
٢٦٢	 في منزل وائل الحنبلي
٢٦٣	 ترجمة محمد وائل الحنبلي
٢٦٧	 جلسة الوفاء
٢٧٠	 ٧ رجب يوم الجمعة
٢٧٠	 حرستا
٢٧٠	 دوما
٢٧٠	 حديقة الحيوانات

٢٧١	العودة إلى دمشق
٢٧٢	قصر العظم
٢٧٢	صلاة الجمعة
٢٧٣	استراحة
٢٧٣	جامع زيد بن ثابت
٢٧٤	مسجد التيروزي
٢٧٥	٨ رجب يوم السبت
٢٧٥	درس عن تاريخ القرآن الكريم والنظام فيه
٢٧٥	الفرق بين الدين والرأي
٢٧٥	السيد محمد الفاتح الكتاني
٢٧٦	السماع والإجازة
٢٧٧	المدرسة الماردانية
٢٧٨	وليمة الشيخ يعقوبي
٢٨١	٩ رجب يوم الأحد
٢٨١	الأستاذ صلاح الدين كفتارو
٢٨٢	المسند المعمر محمد بن عبد الرزاق الخطيب
٢٨٢	سماع عليه وإجازة
٢٨٣	التصويب لرواية الخطيب
٢٨٧	تخريج حديث من طريقه
٢٨٩	محمد عصام الشطي

- ٢٨٩ الشيخ أبو الحسن الكردي
- ٢٩٠ إجازة
- ٢٩١ زيارة الشيخ حسام الدين فرفور
- ٢٩٣ ١٠ رجب يوم الاثنين
- ٢٩٣ دار الكتب الظاهرية
- ٢٩٣ الشيخ عمر الصباغ
- ٢٩٥ دار الحديث الأشرفية
- ٢٩٥ الشيخ محمد عربي الدُّغلي
- ٢٩٧ جامع الشيخ محيي الدين ابن العربي
- ٢٩٨ ضريح الشيخ عبد الغني النابلسي
- ٢٩٩ الشيخ عبد اللطيف الفرفور
- ٣٠١ ١١ رجب يوم الثلاثاء
- ٣٠١ رحلة إلى حمص
- ٣٠١ الشيخ محمد علي الدرة
- ٣٠٢ سماع وإجازة
- ٣٠٣ اجتماع لتربية الدعاة
- ٣٠٣ الشيخ وصفي المسدي
- ٣٠٦ سماع وإجازة
- ٣٠٦ سعيد الرشد الديرعطاني
- ٣٠٨ سماع وإجازة

- ١٢ رجب يوم الأربعاء ٣١٠
- قراءة على الشيخ محمد ديب الكلاس ٣١٠
- أمر الدعوة والتعليم في بريطانيا ٣١٠
- الشيخ بكري الطرايشي ٣١٠
- قراءة وإجازة ٣١١
- السوق ٣١٣
- ١٣ رجب يوم الخميس ٣١٥
- مع عمر النشوقاتي ٣١٥
- ١٤ رجب يوم الجمعة ٣١٧
- مجلس الشيخ محمود الدرة ٣١٧
- المتحف الوطني ٣١٨
- التكية السليمانية ٣١٩
- مقبرة باب الصغير ٣٢٠
- ضريح الحافظ ابن القيم ٣٢٠
- ضريح المحدث الأكبر ٣٢٢
- أضرحة أخرى ٣٢٢
- ضريح الحافظ ابن عساكر ٣٢٣
- جامع بدر ٣٢٨
- تحقيق الرواية عن عبد الله التلي ٣٢٩
- الشيخ بشير الباني ٣٣١

- ٣٣٣ ١٥ رجب يوم السبت
- ٣٣٣ الشيخ سامر النص
- ٣٣٣ إجازة الشيخ عبد الرزاق الحلبي
- ٣٣٤ الشيخ نور الدين خزنة كاتبي
- ٣٣٥ مكتب عنبر
- ٣٣٧ ١٦ رجب يوم الأحد
- ٣٣٧ سماع على الشيخ محمد مطيع الحافظ
- ٣٣٩ الشيخ أحمد رمضان
- ٣٤٠ الزاوية الصمادية
- ٣٤٢ الشيخ نعيم عرقسوسي
- ٣٤٣ الشيخ عدنان المجد
- ٣٤٤ ١٧ رجب يوم الاثنين
- ٣٤٤ الشيخ نذر الحفيظ الندوي
- ٣٤٤ الشيخ سلمان الحسيني
- ٣٤٤ سماع الأربعين العجلونية
- ٣٤٧ مأدبة علاء الدين الفرفور
- ٣٤٨ ١٨ رجب يوم الثلاثاء
- ٣٤٨ الشيخ محمد مجير الخطيب
- ٣٤٩ إجازة
- ٣٥٠ الشيخ كُرَيْم راجح

٣٥١	إجازة.....
٣٥٢	الشيخ عبد الكريم الهندي.....
٣٥٢	سماع وإجازة.....
٣٥٤	١٩ رجب يوم الأربعاء.....
٣٥٤	مغارة الدم.....
٣٥٥	مكتب الطيران.....
٣٥٥	قراءة الموطأ.....
٣٥٦	٢٠ رجب يوم الخميس.....
٣٥٦	مع الأخ عمر النشوقاتي.....
٣٥٦	الشيخ ماجد الدرويش.....
٣٥٨	الشيخ يحيى الغوثاني.....
٣٥٩	سماع وإجازة.....
٣٥٩	تسوق وغداء.....
٣٥٩	قراءة الموطأ.....
٣٦٠	٢١ رجب يوم الجمعة.....
٣٦٠	دار الحديث النورية.....
٣٦١	رحلة إلى بصرى.....
٣٦١	بصرى.....
٣٦٢	الجامع العمري.....
٣٦٢	جامع مبرك الناقة.....

٣٦٣	مدرسة أبي الفداء
٣٦٣	دير بحيرا الراهب
٣٦٣	الكاتدرائية
٣٦٣	قلعة بصرى ومسرحها
٣٦٤	ومن أهم آثار بصرى
٣٦٤	شلالات تل شهاب
٣٦٥	بحيرة المزيريب
٣٦٥	قرية الشيخ سعد
٣٦٥	نوى
٣٦٩	الماء المعدني
٣٦٩	معرض دمشق الدولي للكتاب
٣٦٩	قراءة الموطأ
٣٧٠	٢٢ رجب يوم السبت
٣٧٠	درس سنن الترمذي
٣٧٠	مع الشيخ محمد مطيع الحافظ
٣٧٠	مع الشيخ عدنان المجد
٣٧١	مع الشيخ يعقوبي
٣٧١	سماع عليه
٣٧٢	بعض المخطوطات
٣٧٢	الشيخ أيمن سويد المقرئ

٣٧٣	سماع وإجازة
٣٧٤	٢٣ رجب يوم الأحد
٣٧٤	زيارات
٣٧٤	ضريح دحية الكلبي
٣٧٦	جوبر
٣٧٦	ضريح صلاح الدين الأيوبي
٣٧٧	الشيخ أحمد الحبال
٣٧٧	غداء ورجوع إلى المنزل
٣٧٧	اتصال من الشيخ نور الدين عتر
٣٧٨	٢٤ رجب يوم الإثنين
٣٨١	وثائق وإجازات
٣٩٧	فهرس الموضوعات

أبجد حلال في بيان الإشارات

دار الحديث الكتانية

الجمهورية اللبنانية

بيروت - شارع برج أبي حيدر

ص.ب. ٥٥٥٦ - ١٤ بيروت

٠٠٩٠٥٣١٥٩٠٣٥٩٣

دار الحديث الكتانية

المملكة المغربية

طنجة - شارع لبنان - إقامة يامنة

الطابق الثالث - رقم ٤٧

٠٠٢١٢٦٥٦٩٩٣١٤٧

dar.alkatani@gmail.com

